الوقت من ذهب

مكتبة القراءة والثقافة الادبية

التذييل

تاليف

د. احمد فريد رفاعى

الناشر

شركة نوابغ الفكر

obeikandl.com

شركة نوابغ الفكر ، القاهرة

البريد الالكترونى :

Nawabgh_elfakr@hotmail.com

هاتف: 25936402

فاكس: 27865553

فهرست الهيئة المصرية العامة

لدار الكتب والوثائق القومية :

التذييل

تأليف : د/ احمد فريد رفاعى

ط-1 القاهرة : شركة نوابغ الفكر2014

عدد الصفحات :

ا- الادب العربى

ا-العنوان

رقم الايداع : 2014/26935

الترقيم الدولي978-977-6415-35-8:

obeikandl.com

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا
فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ فِي غَدِهِ: لَوْ غُيِّرَ هَذَا
لَكَانَ أَحْسَنَ، وَلَوْ زِيدَ كَذَا لَكَانَ يُسْتَحْسَنُ
وَلَوْ قُدِّمَ هَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ، وَلَوْ تُرِكَ
هَذَا لَكَانَ أَجْمَلَ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ،
وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيلَاءِ النَّقْصِ عَلَى
جُمْلَةِ الْبَشَرِ. الْعِمَادُ الْأَصْفَهَانِي

obeikandl.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّذْيِيلُ

بِسْمِ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ، وَالِاسْتِمْسَاكُ بِعُرْوَةِ اللهِ ، وَالْتِمَاسُ الْعَوْنِ مِنَ اللهِ ، وَالِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ ، « وَبَعْدُ » فَهَذَا كِتَابُنَا الثَّالِثُ ، كِتَابُ التَّذْيِيلِ عَلَى الْمُقَدِّمَةِ ، رَاجِينَ أَنْ تَضْرِبَ فِيهِ بِكَدِّكَ وَوَكْدِكَ ، فِي أَبْوَابِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِسَهْمٍ وَافِرٍ ، وَتُصِيبَ مِنْ وَرَاءِ أَفَاوِيقِ زُعَمَائِهِ ، مِنْ بُلَغَاءِ الْكُتَّابِ ، وَمَصَاقِعِ الْخُطَبَاءِ ، بِكِفْلٍ زَاخِرٍ ،

وَتَتَذَوَّقَ مِنْ نِصَاحِ أَسَالِيبِ أَقْطَابِهِ ، وَعُيُونِ كَلاَمِهِ ، بِثَمَرٍ زَاهِرٍ ، وَوَجْهٍ سَافِرٍ ، وَسَنًى نَاضِرٍ ، وَتَرْمِي بَعْدَ اسْتِيعَابِكَ لِمُفَصَّلِهِ وَمُجْمَلِهِ ، وَدُرَرِهِ وَغُرَرِهِ ، فِي حِذْقِ لُغَةِ سَحْبَانَ عِنْدَ هَدْرِ الشَّقَاشِقِ ، وَأَنْ تَمْضِيَ بَعْدَ اسْتِزَادَتِكَ مِنْ أَسَالِيبِ الْأُوَلِ ، ثَابِتَ الْقَدَمِ ، ضَلِيعَ الْمَادَّةِ ، ذَرِبَ اللِّسَانِ ، فَتُصِيبَ الْهَدَفَ بِالْكَلِمِ الرَّوَاشِقِ ، وَلَيْسَ لَنَا مِنْ نَصِيحَةٍ نَتَقَدَّمُ بِهَا إِلَيْكَ ، إِلَّا أَنْ تَتَدَرَّعَ بِالصَّبْرِ وَالْجَلَدِ ، فِيمَا أَخَذْتَ نَفْسَكَ بِهِ مِنْ طُولِ مِرَانِهَا عَلَى الِاطِّلَاعِ ، وَدُؤُوبِ إِكْبَابِكَ عَلَى مُسْتَدِيمِ رِيَاضَتِهَا ، وَإِدْمَانِكَ فِي مَغْدَاتِكَ وَمَرَاحَتِكَ تَنْمِيَةَ بِضَاعَتِهَا ، وَقَرْعِكَ الْحَازِمِ لِشَبَاةِ شَكِيمَتِهَا ،

وَمُتَطَلِّعِ شَهْوَتِهَا ، وَإِضْرَامِكَ الصَّادِقِ لِجَذْوَةِ حَمَاسَتِهَا ، وَأُوَارِ حَرَارَتِهَا ، وَتَغْذِيَتِكَ بِرَائِعِ الْأَدَبِ وَنَافِعِ الْعِلْمِ حَمِيَّةَ رَغْبَتِهَا ، وَنَأْمُلُ بِمَا رُكِّبَ فِيكَ مِنْ كِيَاسَةِ الْمُسْتَزِيدِ ، وَحَزَامَةِ الْمُسْتَفِيدِ ، وَأَصَالَةِ الْمُرِيدِ ، أَنْ تَصِلَ إِلَى تَحْقِيقِ لُبَانَتِكَ ، وَتُسْعَفَ بِنَبِيلِ أُمْنِيَّتِكَ . فِي حَمَاسَةِ الطَّالِبِ وَحَزَامَةِ الرَّاغِبِ .

وَسَنُحَدِّثُكَ فِيهِ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ عَنِ الرِّسَالَةِ الْعَذْرَاءِ ثُمَّ نُعَرِّجُ بِكَ كَمَا أَرْتَهَنَّا بِالْقَوْلِ مَعَكَ ، عَلَى مَا رَوَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي أَبْوَابِ الْبَيَانِ ، وَكُتُبِ الْأَمَانِ ، ثُمَّ نُشْرِفُ بِكَ عَلَى شَتَاتٍ مِنْ أَمْشَاجِ مَقْرُوءَاتِنَا عَلَى شَيْخِنَا حَمْزَةَ فَتْحِ اللهِ — رَحِمَهُ اللهُ — وَطَيَّبَ ثَرَاهُ ، عَنِ الْأَدَبِ وَفِي الْأَدَبِ ، وَنُطْلِعُكَ عَلَى

نِثَارٍ فِي تَفْضِيلِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ عَلَى الْأَدَبِ الْأَعْجَمِيِّ، فَنَصْقُلُ خَاطِرَكَ بِعُيُونِ الْأَدَبِ، وَمُخْتَارَاتٍ مِنَ النَّقْدِ وَالْخُطَبِ، مِنْ نَفَائِسِ الْعَرَبِ، لِتُؤْمِنَ مَعَنَا أَنَّ الْبَيَانَ الْخَطَابِيَّ قَدْ مَحَّصَهُ اللهُ، وَأَلْقَى بِزُبْدَتِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاطِقِينَ بِالضَّادِ مِنْ سَلَفِكَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْإِسْلَامِ، الَّذِينَ آتَاهُمُ اللهُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَسَوَاطِعَ الْحِكَمِ، فَلَمْ يَدَعِ الْمُتَقَدِّمُ لِلْمُتَأَخِّرِ خَصَاصَةً يَسْتَظْهِرُ عَلَى سَدِّهِ بِهَا، وَلَا أُنْشُوطَةً يَسْتَنْهِضُهُ لِشَدِّهَا، كَمَا يَقُولُ الزَّمَخْشَرِيُّ. وَكُلٌّ إِزَاءَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مُتَفَكِّكُ الرَّحْلِ، فَارِغُ السَّجْلِ، بَاهِتُ الْمَبْنَى، جَامِدُ الْمَعْنَى، فِي غَيْرِ جَرْسٍ أَخَّاذٍ، وَلَا رَنِينٍ نَفَّاذٍ، وَنَرْجُو أَنْ يُوَفِّقَنَا

رَحِمَهُ اللهُ ، وَمِنْ تَلَامِيذِهِ الْأَجِلَّاءِ مِنْ خَرِيجِي دَارِ الْعُلُومِ ، فِي عَهْدِهَا النَّضِيرِ السَّالِفِ ، وَغَيْرِهِمْ ، أَيَّامَ كَانَ لِلْعَرَبِيَّةِ شَأْنٌ غَيْرُ الشَّأْنِ ، وَلِلْهِمَمِ وَثَبَاتٌ فِي غَيْرِ وَهْنٍ ، وَخَشِنِ الْعَيْشِ ، وَقَهْرِ النَّفْسِ ، وَحَلْقَةِ الدَّرْسِ ، وَسَهَرِ اللَّيْلِ ، وَقَنَاعَةِ الشَّخْصِ ، وَحَيَاةِ الْعِلْمِ ، وَشَظَفِ الطَّلَبِ ، وَطُولِ الْجَلَدِ ، مَعْنًى غَيْرُ الْمَعْنَى وَحَالٌ غَيْرُ الْحَالِ . وَفَّقَكَ اللهُ وَسَدَّدَكَ ، وَهَدَاكَ وَأَمْتَعَكَ .

وَالآنَ هَلُمَّ بِنَا إِلَى قِرَاءَةِ الرِّسَالَةِ الْعَذْرَاءِ رَاجِينَ مِنْكَ إِطَالَةَ التَّبَصُّرِ وَإِنْعَامَ النَّظَرِ ، وَفَّقَكَ اللهُ لِمَا يُفِيدُ وَيَنْفَعُ . وَجَدَّدَ فِيكَ هَذَا العَزْمَ الْمُتَّقِدَ ، وَتِلْكَ الرَّغْبَةَ الصَّادِقَةَ ، بِحَوْلِهِ وَطَوْلِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ . قَالَ :

* * *

المقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فَتَقَ اللهُ بِالْحِكْمَةِ ذِهْنَكَ ، وَشَرَحَ بِهَا صَدْرَكَ ، وَأَنْطَقَ بِالْحَقِّ لِسَانَكَ وَشَرَّفَ بِهِ بَيَانَكَ ، وَصَلَ إِلَيَّ كِتَابُكَ الْعَجِيبُ ، الَّذِي اسْتَفْهَمْتَنِي فِيهِ بِجَوَامِعِ كَلِمِكَ ، جَوَامِعَ أَسْبَابِ الْبَلَاغَةِ ، وَاسْتَكْشَفْتَنِي عَنْ غَوَامِضِ آدَابِ أَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ ، سَأَلْتَنِي أَنْ أَقِفَ بِكَ عَلَى وَزْنِ عُذُوبَةِ اللَّفْظِ وَحَلَاوَتِهِ ، وَحُدُودِ فَخَامَةِ الْمَعْنَى وَجَزَالَتِهِ ،

وَرَشَاقَةِ نَظْمِ الْكِتَابِ وَمُشَاكَلَةِ سَرْدِهِ ، وَحُسْنِ افْتِتَاحِهِ وَخَتْمِهِ ، وَانْتِهَاءِ فُصُولِهِ ، وَاعْتِدَالِ وُصُولِهِ وَسَلَامَتِهِمَا مِنَ الزَّلَلِ ، وَبُعْدِهِمَا مِنَ الْخَطَلِ(١) ، وَمَتَى يَكُونُ الْكَاتِبُ مُسْتَحِقًّا اسْمَ الْكِتَابَةِ ، وَالْبَلِيغُ مُسْلَمًا لَهُ مَعَانِيَ الْبَلَاغَةِ فِي إِشَارَتِهِ وَعِبَارَتِهِ ، وَإِلَى أَيِّ أَدَوَاتِهِ هُوَ أَحْوَجُ ، وَبِأَيِّ آلَاتِهِ هُوَ أَعْمَلُ ، إِذَا حَصْحَصَ(٢) الْحَقُّ ، وَدُعِيَ إِلَى السَّبْقِ وَفَهِمْتُهُ(٣) ، وَأَنَا رَاسِمٌ لَكَ — أَيَّدَكَ اللهُ — مِنْ ذَلِكَ مَا يَجْمَعُ أَكْثَرَ شَرَائِطِكَ(٤) ، وَيُعَبِّرُ عَنْ جُمْلَةِ سُؤَالِكَ ، وَإِنْ طَوَّلْتَ فِي الْكِتَابِ وَعَرَّضْتَ(٥) ،

---

(١) الخطل : فساد الرأى (٢) حصحص : ظهر (٣) وفهمته : معطوفة على جملة وصلنى فى أول الكلام . (٤) شرائط : جمع شريطة (٥) عَرضت : جعلته عريضاً : أى واسعاً كبيراً وهو تعبير نادر الوقوع

وَأَطْنَبْتَ فِي الْوَصْفِ وَأَسْهَبْتَ ، وَمُسْتَقْصٍ عَلَى نَفْسِي فِي الْجَوَابِ عَلَى قَدْرِ اسْتِقْصَائِكَ فِي السُّؤَالِ ، وَإِنْ أَخَلَّ بِهِ الْتِيَاثُ[1] الْحَالِ ، وَسُكُونُ الْحَرَكَةِ ، وَفُتُورُ النَّشَاطِ ، وَانْتِشَارُ[2] الرَّوِيَّةِ ، وَتَقَسُّمُ الْفِكْرِ ، وَاشْتِرَاكُ الْقَلْبِ ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ .

☆
☆ ☆

حرص الكاتب على الحكمة

إِعْلَمْ — أَيَّدَكَ اللهُ — أَنَّ أَدَوَاتِ دِيوَانِ جَمِيعِ الْمَحَاسِنِ وَآلَاتِ الْمَكَارِمِ طَائِعَةٌ مُنْقَادَةٌ لِهَذِهِ الصِّنَاعَةِ الَّتِي خَطَبْتَهَا ، وَتَالِيَةٌ تَابِعَةٌ لَهَا ، وَغَيْرُ خَارِجَةٍ إِلَى جَحْدِ أَحْكَامِهَا ، وَلَا دَافِعَةٍ لِمَا يَلْزَمُهَا الْإِقْرَارُ بِهِ لَهَا ، إِضْرَاراً مِنْهَا إِلَيْهَا ، وَعَجْزاً عَنْهَا ، فَإِنْ تَقَاضَتْكَ

(١) التياث الحال : اضطراب الحال (٢) انتشار الروية : تشتيت الفكر

نَفْسُكَ عِلْمَهَا ، وَنَازَعَتْكَ هِمَّتُكَ إِلَى طَلَبِهَا ، فَاتَّخِذِ الْبُرْهَانَ دَلِيلًا شَاهِداً ، وَالْحَقَّ إِمَامًا قَائِدًا ، يُقَرِّبُ مَسَافَةَ ارْتِيَادِكَ ، وَيُسَهِّلُ عَلَيْكَ سُبُلَ مَطَالِبِهَا ، وَاسْتَوْهِبِ اللهَ تَوْفِيقاً تَسْتَنْجِحُ بِهِ مَطَالِبَكَ ، وَاسْتَمْنِحْهُ رُشْداً يُقْبِلُ إِلَيْكَ بِوَجْهِ مَذَاهِبِكَ ، فَاقْصِدْ[1] فِي ارْتِيَادِكَ ، وَتَأَمَّلِ الصَّوَابَ فِي قَوْلِكَ وَفِعْلِكَ ، وَلَا تَسْكُنْ إِلَى جُحُودِ قَصْدِ السَّابِقِ بِاللَّجَاجِ ، وَلَا تَخْرُجْ إِلَى إِهْمَالِ حَقِّ الْمُصِيبِ بِالْمُعَانَدَةِ وَالْإِنْكَارِ ، وَلَا تَسْتَخِفَّ بِالْحِكْمَةِ وَلَا تُصَغِّرْهَا حَيْثُ وَجَدْتَهَا ، فَتَرْحَلَ نَافِرَةً عَنْ مَوَاطِنِهَا مِنْ قَلْبِكَ ، وَتَظْعَنَ[2] شَارِدَةً عَنْ مَكَانِهَا مِنْ بَالِكَ ،

(١) القصد : التوسط ومنه قوله تعالى « واقصد فى مشيك » أى توسط فيه فلا تدب كدبيب النمل . ولا تسرع كهرولة اليهود

(٢) الظعن : السفر ومنه قوله تعالى « ويوم ظعنكم »

وَتَتَعَفَّى[1] بَعْدَ الْعِمَارَةِ مِنْ قَلْبِكَ آثَارُهَا ، وَتَنْطَمِسَ بَعْدَ الْوُضُوحِ أَعْلَامُهَا .

ثقافته وَاعْلَمْ أَنَّ الِاكْتِسَابَ بِالتَّعَلُّمِ وَالتَّكَلُّفِ وَطُولِ الِاخْتِلَافِ[2] إِلَى الْعُلَمَاءِ ، وَمُدَارَسَةِ كُتُبِ الْحُكَمَاءِ ، فَإِنْ أَرَدْتَ خَوْضَ بِحَارِ الْبَلَاغَةِ ، وَطَلَبْتَ أَدَوَاتِ الْفَصَاحَةِ ، فَتَصَفَّحْ مِنْ رَسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ مَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ ، وَمِنْ رَسَائِلِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ : فِي تَلْقِيحِ ذِهْنِكَ ، وَاسْتِنْجَاحِ بَلَاغَتِكَ ، وَمِنْ نَوَادِرِ كَلَامِ النَّاسِ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ ، وَمِنَ الْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ

(١) تتعفى : تخلو وتزول (٢) المراد به التردد إلى العلماء

وَالسِّيَرِ وَالْأَسْمَارِ[١]، مَا يَتَّسِعُ بِهِ مَنْطِقُكَ، وَيَعْذُبُ بِهِ لِسَانُكَ، وَيَطُولُ بِهِ قَلَمُكَ.

تضمينه للشعر والأمثال

وَانْظُرْ فِي كُتُبِ الْمَقَامَاتِ[٢] وَالْخُطَبِ، وَمُحَاوَرَاتِ الْعَرَبِ، وَمَعَانِي الْعَجَمِ، وَحُدُودِ الْمَنْطِقِ، وَأَمْثَالِ الْفُرْسِ وَرَسَائِلِهِمْ، وَعُهُودِهِمْ وَتَوْقِيعَاتِهِمْ، وَسِيَرِهِمْ وَمَكَايِدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ، بَعْدَ أَنْ تَتَوَسَّطَ فِي عِلْمِ النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ، وَاللُّغَةِ وَالْوَثَائِقِ وَالشُّرُوطِ، كَكُتُبِ السِّجِلَّاتِ وَالْأَمَانَاتِ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْكَاتِبُ، وَتَمَهَّرْ فِي نَزْعِ آيِ الْقُرْآنِ فِي

(١) الأسمار: جمع سمر والمراد هنا ما تحدث به أو يتحدث به
(٢) المقامات: جمع مقامة

مَوَاضِعِهَا ، وَاجْتِلَابِ الْأَمْثَالِ فِي أَمَاكِنِهَا ، وَاخْتِرَاعِ الْأَلْفَاظِ الْجَزْلَةِ ، وَقَرْضِ[1] الشِّعْرِ الْجَيِّدِ ، وَعِلْمِ الْعَرُوضِ فَإِنَّ تَضْمِينَ الْمَثَلِ السَّائِرِ ، وَالْبَيْتِ الْغَابِرِ[2] ، مِمَّا يَزِينُ كِتَابَتَكَ ، مَا لَمْ تُخَاطِبْ خَلِيفَةً أَوْ مَلِكاً جَلِيلَ الْقَدْرِ ، فَإِنَّ اجْتِلَابَ الشِّعْرِ فِي كُتُبِ الْخُلَفَاءِ وَالْجِلَّةِ[3] الرُّؤَسَاءِ ، عَيْبٌ وَاسْتِهْجَانٌ لِلْكُتُبِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ هُوَ الْقَارِضَ لِلشِّعْرِ وَالصَّانِعَ لَهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي أُبَّهَتِهِ ، وَيَدُلُّ عَلَى بَرَاعَتِهِ ، وَإِنْ شَدَوْتَ مِنْ هَذِهِ الْعُلُومِ مَا لَا يَشْغَلُكَ مَحَلُّهُ ، وَتَنَقَّبْتَ مِنْ هَذِهِ الْفُنُونِ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى إِطَالَةِ قَلَمِكَ ، وَتَقْوِيمِ أَوَدِ[4] بَيَانِكَ .

---

(١) قرض الشعر : صَوْغُهُ (٢) ما قيل فى الأزمان الغابرة أعني الماضية (٣) جمع جليل وهو العظيم (٤) الأود : الأعوجاج

صفات الكاتب

بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ صَحِيحَ الْقَرِيحَةِ ، حُلْوَ الشَّمَائِلِ[١] ، عَذْبَ الْأَلْفَاظِ ، دَقِيقَ الْفَهْمِ ، حَسَنَ الْقَامَةِ ، بَعِيداً عَنِ الْفَدَامَةِ[٢] ، خَفِيفَ الرُّوحِ ، حَاذِقَ الْحِسِّ ، مُحَنَّكاً بِالتَّجْرِبَةِ ، عَالِماً بِحَلَالِ[٣] الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَحَرَامِهِمَا ، وَبِالْمُلُوكِ وَسِيَرِهَا وَأَيَّامِهَا ، وَبِالدُّهُورِ فِي تَقَلُّبِهَا وَتَدَاوُلِهَا ، مَعَ بَرَاعَةِ الْأَدَبِ ، وَتَأْلِيفِ الْأَوْصَافِ ، وَمُشَاكَلَةِ الِاسْتِعَارَةِ ، وَحُسْنِ الْإِشَارَةِ ، وَشَرْحِ الْمَعْنَى بِمِثْلِهِ مِنَ الْقَوْلِ ، حَتَّى تُنْصَبَ صُوَرًا مَنْطِقِيَّةً تُعْرِبُ عَنْ أَنْفُسِهَا ، وَتَدُلُّ عَلَى أَعْيَانِهَا ، لِأَنَّ الْحُكَمَاءَ قَدْ شَرَطُوا فِي صِفَاتِ الْكُتَّابِ طُولَ الْقَامَةِ ، وَصِغَرَ الْهَامَةِ ، وَخِفَّةَ

(١) المراد بالشمائل الخصال (٢) الفدامة : العى (٣) أى ما ثبت حله وحرمته من الكتاب وكذلك السنة

اللَّهَازِمِ[١]، وَكَثَافَةَ[٢] اللِّحْيَةِ، وَصِدْقَ الْحِسِّ، وَلُطْفَ الْمَذْهَبِ، وَحَلَاوَةَ الشَّمَائِلِ، وَمَلَاحَةَ الزِّيِّ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْمَهَالِبَةِ لِوَلَدِهِ.

☆
☆ ☆

أزياء الكتاب

تَزَيَّوْا بِزِيِّ الْكُتَّابِ، فَإِنَّ فِيهِمْ أَدَبَ الْمُلُوكِ، وَتَوَاضُعَ السُّوقَةِ، وَمِنْ كَمَالِ آلَةِ الْكَاتِبِ، أَنْ يَكُونَ بَهِيَّ الْمَلْبَسِ، نَظِيفَ الْمَجْلِسِ[٣]، ظَاهِرَ الْمُرُوءَةِ، عَطِرَ الرَّائِحَةِ، دَقِيقَ الذِّهْنِ، صَادِقَ الْحِسِّ، حَسَنَ الْبَيَانِ، رَقِيقَ حَوَاشِي اللِّسَانِ، حُلْوَ الْإِشَارَةِ، مَلِيحَ الِاسْتِعَارَةِ، لَطِيفَ الْمَسْلَكِ، مُسْتَفْرَهَ[٤] الْمَرْكَبِ، وَلَا يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ فَضْفَاضَ[٥] الْجُبَّةِ،

(١) اللهازم: جمع لهزمة وهى عظم ينتأ تحت الأذن (٢) الكثيف: الغزير
(٣) المجلس: المراد به مكان الجلوس (٤) مستفره: أى يركب الجواد المطهم أو البرذون الجميل (٥) فضفاض: الجثة كناية عند ضخامة الجسم

مُتَفَاوِتَ[1] الْأَجْزَاءِ ، طَوِيلَ اللِّحْيَةِ ، عَظِيمَ الْهَامَةِ ، فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ ، لَا يَلِيقُ بِصَاحِبِهَا الذَّكَاءُ وَالْفِطْنَةُ ، فَخَاطِبْ كُلاًّ عَلَى قَدْرِ أُبَّهَتِهِ وَجَلَالَتِهِ ، وَعُلُوِّهِ وَارْتِفَاعِهِ وَفِطْنَتِهِ وَانْتِبَاهِهِ .

طبقات الكلام

وَاجْعَلْ طَبَقَاتِ الْكَلَامِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَقْسَامٍ ، وَالطَّبَقَاتُ الْأُخْرَى وَهِيَ دُونَهَا أَرْبَعٌ ، وَلِكُلٍّ طَبَقَةٍ مِنْهَا دَرَجَةٌ ، وَلِكُلِّ قِسْمَةٍ حَظٌّ ، لَا يَتَّسِعُ لِلْكَاتِبِ الْبَلِيغِ أَنْ يُقَصِّرَ بِأَهْلِهَا عَنْهَا ، وَيَقْلِبَ مَعْنَاهَا إِلَى غَيْرِهَا ، فَالْحَدُّ الْأَوَّلُ ، الطَّبَقَاتُ الْعُلْيَا ، وَغَايَتُهَا الْقُصْوَى الْخِلَافَةُ ، الَّتِي أَجَلَّ اللهُ قَدْرَهَا عَنْ مُسَاوَاتِهَا بِأَحَدٍ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فِي التَّعْظِيمِ

(١) عدم تناسب الأعضاء

وَالتَّوْقِيرِ وَالْمُخَاصَبَةِ وَالتَّرَسُّلِ ، وَالطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ ، الْوُزَرَاءُ وَالْكُتَّابُ الَّذِينَ يُخَاطِبُونَ الْخُلَفَاءَ بِعُقُولِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ ، وَيَرْتُقُونَ(١) الْفُتُوقَ بِآرَائِهِمْ ، وَيَتَحَمَّلُونَ بِآدَابِهِمْ ، وَالطَّبَقَةُ الثَّالِثَةُ أُمَرَاءُ ثُغُورِهِمْ ، وَقُوَّادُ جُيُوشِهِمْ ، يُخَاطِبُ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ عَلَى قَدْرِهِ ، وَبِمَا حُمِّلَ مِنْ أَعْبَاءِ أُمُورِهِمْ ، وَجَلَائِلِ أَعْمَالِهِمْ ، وَالطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ الْقُضَاةُ ، فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانَ لَهُمْ تَوَاضُعُ الْعُلَمَاءِ ، وَحِلْيَةُ الْفُضَلَاءِ ، فَعَهُمْ أُبَّهَةُ السُّلْطَةِ وَهَيْبَةُ الْأُمَرَاءِ .

بقية الطبقات

أَمَّا الطَّبَقَاتُ الْأَرْبَعُ الْأُخْرَى ، فَالْمُلُوكُ الَّذِينَ أَوْجَبَتْ نِعَمُهُمْ تَعْظِيمَهُمْ فِي الْكُتُبِ ، وَأَفْضَالُهُمْ

(١) الرتق : السد وهو ضد الفتق . والمراد هنا انسجام الكلام ووصله

تَفْضِيلَهُمْ فِيهَا. وَالثَّانِيَةُ وُزَرَاؤُهُمْ وَكُتَّابُهُمْ، وَأَتْبَاعُهُمُ الَّذِينَ بِهِمْ تُقْرَعُ أَبْوَابُهُمْ، وَبِعِنَايَتِهِمْ تُسْتَمَاحُ[1] أَمْوَالُهُمْ، وَالثَّالِثَةُ هُمُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ يَجِبُ تَوْقِيرُهُمْ فِي الْكُتُبِ لِشَرَفِ الْعِلْمِ وَعُلُوِّ دَرَجَةِ أَهْلِهِ. الرَّابِعَةُ أَهْلُ الْقَدْرِ وَالظَّرْفِ، وَالْجَلَالَةِ وَالْحَلَاوَةِ وَالطَّلَاوَةِ، وَالْادَبِ، فَإِنَّهُمْ يَضْطَرُّونَكَ بِحِدَّةِ أَذْهَانِهِمْ، وَشِدَّةِ تَمْيِيزِهِمْ وَانْتِقَادِهِمْ وَأَدَبِهِمْ، إِلَى الِاسْتِقْصَاءِ[2] عَلَى نَفْسِكَ فِي مُكَاتَبَتِهِمْ.

* * *

سائر المخاطبين

وَاسْتَغْنَيْنَا عَنِ التَّرْتِيبِ لِلتُّجَارِ وَالسُّوقَةِ وَالْعَوَامِّ لِاسْتِغْنَائِهِمْ بِتِجَارَتِهِمْ عَنْ هَذِهِ الْآلَاتِ، وَاشْتِغَالِهِمْ بِمُهِمَّاتِهِمْ عَنْ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ، وَلِكُلٍّ

(١) استماحه: طلب نواله وعطاءه (٢) الاستقصاء: المبالغة وبذل الهمة

طَبَقَةٍ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ مَعَانٍ وَمَذَاهِبُ ، يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَرْعَاهَا فِي مُرَاسَلَتِكَ إِيَّاهُمْ فِي كُتُبِكَ ، وَتَزِنَ كَلَامَكَ فِي مُخَاطَبَتِهِمْ بِمِيزَانِهِ ، وَتُعْطِيَهُ قِسْمَهُ ، وَتُوَفِّيَهُ نَصِيبَهُ ، فَإِنَّكَ مَتَى أَهْمَلْتَ ذَلِكَ لَمْ آمَنْ عَلَيْكَ أَنْ تَعْدِلَ بِهِمْ عَنْ طَرِيقِهِمْ ، وَتَسْلُكَ بِهِمْ غَيْرَ مَسْلَكِهِمْ ، وَتُجْرِيَ شُعَاعَ بَلَاغَتِكَ فِي غَيْرِ مَجْرَاهُ ، وَتَنْظِمَ جَوْهَرَ كَلَامِكَ فِي غَيْرِ سِلْكِهِ ، فَلَا يُفِيدَ الْمَعْنَى الْجَزْلَ[1] مَا لَمْ تُلْبِسْهُ لَفْظًا جَزْلًا لَائِقًا بِمَنْ كَاتَبْتَهُ . وَمُشَابِهًا لِمَنْ رَاسَلْتَهُ ، وَإِنَّ إِلْبَاسَكَ الْمَعْنَى وَإِنْ شَرُفَ وَصَلُحَ لَفْظًا مُخْتَلِفًا عَنْ قَدْرِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، لَمْ تَجْرِ بِهِ عَادَتُهُمْ تَهْجِينٌ[2]

(١) الجزل : البليغ (٢) تهجين : تقبيح

لِلْمَعْنَى ، وَإِخْلَالٌ بِقَدْرِهِ ، وَظُلْمٌ لِحَقِّ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، وَنَقْصٌ مِمَّا يَجِبُ لَهُ ، كَمَا أَنَّ فِي اتِّبَاعِ تَعَارُفِهِمْ ، وَمَا انْتَشَرَتْ بِهِ عَادَاتُهُمْ ، وَجَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُمْ(١) ، قَطْعاً لِعُذْرِهِمْ ، وَخُرُوجاً مِنْ حُقُوقِهِمْ ، وَبُلُوغاً إِلَى غَايَةِ مُرَادِهِمْ ، وَإِسْقَاطاً لِحُجَّةِ أَدَبِهِمْ .

☆
☆ ☆

تخير الألفاظ

فَمِنَ الْأَلْفَاظِ الْمَرْغُوبِ(٢) عَنْهَا ، وَالصُّدُورِ(٣) الْمُسْتَوْحَشِ مِنْهَا فِي كُتُبِ السَّادَاتِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْمُلُوكِ عَلَى اتِّفَاقِ الْمَعَانِي ، مِثْلُ : « أَبْقَاكَ اللهُ طَوِيلًا ، وَعَمَّرَكَ مَلِيًّا » . وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ لَا فُرْقَانَ بَيْنَ قَوْلِهِمْ : « أَطَالَ اللهُ بَقَاءَكَ » وَبَيْنَ قَوْلِهِمْ : « أَبْقَاكَ اللهُ

(١) السنة الطريقة. والمراد هنا العادة (٢) رغب عن الشيء : كرهه. ورغب فيه أحبه (٣) الصدور : فواتح الرسائل وما يسمى ببراعة المطلع .

طَوِيلًا » وَلَـكِنَّهُمْ جَعَلُوا هَذَا أَرْجَحَ وَزْنًا ، وَأَنْبَهَ قَدْرًا ، فِي مُخَاطَبَةِ الْمُلُوكِ ، كَمَا أَنَّهُمْ جَعَلُوا « أَكْرَمَكَ اللهُ وَأَبْقَاكَ » أَحْسَنَ مَنْزِلَةً فِي كُتُبِ الظُّرَفَاءِ وَالْأُدَبَاءِ ، مِنْ « جُعِلْتُ فِدَاكَ » عَلَى اشْتِرَاكِ مَعْنَاهُ وَاحْتِمَالِهِ أَنْ يَكُونَ فِدَاءً مِنَ الْخَيْرِ ، كَمَا يَكُونَ فِدَاءً لَهُ مِنَ الشَّرِّ ، وَلَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ : « إِرْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » ، لَكَرِهْتُ أَنْ يَكْتُبَ بِهَا أَحَدٌ ، عَلَى أَنَّ كُتَّابَ الْعَسْكَرِ وَعَوَامَّهُمْ ، قَدْ أُولِعُوا بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ ، حَتَّى اسْتَعْمَلُوهَا فِي جَمِيعِ مُحَاوَرَاتِهِمْ ، وَجَعَلُوهَا هِجِّيرَاهُمْ[1] فِي مُخَاطَبَةِ الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ ، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ مَحْمُودٌ الْوَرَّاقُ :

(١) هجيراهم : أى دأبهم وشأنهم

كُلُّ مَنْ حَلَّ سُرَّ مَنْ رَا مِنَ النَّا
سِ وَمِمَّنْ يُدَاخِلُ الْأَمْلَاكَا
لَوْ رَأَى الْكَلْبَ مَاثِلاً[1] فِي طَرِيقٍ
قَالَ لِلْكَلْبِ يَا جُعِلْتُ فِدَاكَا

وَكَذَلِكَ لَمْ يُجِيزُوا أَنْ يَكْتُبُوا بِمِثْلِ « أَبْقَاكَ اللهُ وَأَمْتَعَ بِكَ » إِلَّا إِلَى الْحُرْمَةِ وَالْأَهْلِ وَالتَّابِعِ وَالْمُنْقَطِعِ إِلَيْكَ ، وَأَمَّا فِي كُتُبِ الْإِخْوَانِ فَغَيْرُ جَائِزٍ ، بَلْ مَذْمُومٌ مَرْغُوبٌ عَنْهُ ، وَلِذَلِكَ كَتَبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتِ :

أَحُلْتَ عَمَّا عَهِدْتُ مِنْ أَدَبِكْ
أَمْ نِلْتَ مُلْكاً قَتِهْتَ[2] فِي كُتُبِكْ

(١) الماثل : الواقف (٢) التيه : العجب والخيلاء

أَمْ هَلْ تَرَى أَنَّ فِي مُلَاطَفَةِ الْ
إِخْوَانِ نَقْصًا عَلَيْكَ فِي أَدَبِكْ
أَتَعَبْتَ كَفَّيْكَ فِي مُكَاتَبَتِي
حَسْبُكَ مِمَّا لَقِيتَ فِي تَعَبِكْ
أَكَانَ حَقًّا كِتَابُ ذِي مِقَةٍ(١)
يَكُونُ فِي صَدْرِهِ : وَأَمْتَعَ بِكْ(٢)

فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ :

أَنْكَرْتَ شَيْئًا فَلَسْتُ فَاعِلَهُ
وَلَنْ تَرَاهُ يُخَطُّ فِي كُتُبِكْ
فَاعْفُ فَدَتْكَ النُّفُوسُ عَنْ رَجُلٍ
يَعِيشُ حَتَّى الْمَمَاتِ فِي أَدَبِكْ

(١) المقة : المحبة . من ومق بمعنى أحب (٢) أى هذه العبارة .

كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءَ يَا أَمَلِي
وَكُلُّ خَيْرٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكْ
إِنْ يَكُ جَهْلًا أَتَاكَ مِنْ قِبَلِي
فَعُدْ بِفَضْلٍ عَلَيَّ مِنْ حَسَبِكْ

☆
☆ ☆

صدور كتب السلف

وَأَمَّا صُدُورُ[1] كُتُبِ السَّلَفِ فَإِنَّهَا كَانَتْ : مِنْ فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ . كَذَلِكَ جَرَتْ كُتُبُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، وَإِلَى أَقْيَالِ[2] الْيَمَنِ ، وَإِلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَكُتُبُ أَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ كَذَلِكَ ، حَتَّى اسْتَخْلَصَ الْكُتَّابُ هَذِهِ الْمُحْدَثَاتِ مِنْ بَدَائِعِ الصُّدُورِ ، وَاسْتَنْبَطُوا

(١) أى فواتحها : والسلف : المتقدمون (٢) الأقيال : الملوك .

لَطِيفَ الْكَلَامِ ، وَرَتَّبُوا لِكُلٍّ رُتْبَةً ، وَجَرَوْا عَلَى تِلْكَ السُّنَّةِ الْمَاضِيَةِ إِلَى عَصْرِنَا هَذَا ، فِي كُتُبِ الْخُلَفَاءِ وَالْأُمَرَاءِ . وَثَبَتُوا عَلَى ذَلِكَ الْمِنْهَاجِ[1] فِي كُتُبِ الْفُتُوحَاتِ ، وَالْأَمَانَاتِ ، وَالسِّجِلَّاتِ .

العبارات المنتقدة

وَلِكُلٍّ مَكْتُوبٍ إِلَيْهِ قَدْرٌ وَوَزْنٌ ، يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَلَّا يَتَجَاوَزَ بِهِ عَنْهُ ، وَلَا يُقَصِّرَ بِهِ دُونَهُ ، وَقَدْ رَأَيْتُهُمْ عَابُوا الْأَحْوَصَ حِينَ خَاطَبَ الْمُلُوكَ بِمُخَاطَبَةِ الْعَوَامِّ فِي قَوْلِهِ :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ
مَذِقٌ[2] الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ

(١) المنهاج : الطريق (٢) مذق الحديث أى بغيضه

فَهَذَا مَعْنًى صَحِيحٌ فِي الْمَدْحِ ، وَلَكِنَّهُمْ أَجَلُّوا أَقْدَارَ الْمُلُوكِ ، أَنْ يُمْدَحُوا بِمَا يُمْدَحُ بِهِ الْعَوَامُّ ، لِأَنَّ صِدْقَ الْحَدِيثِ وَإِنْجَازَ الْوَعْدِ ، وَإِنْ كَانَ مَدْحًا فَهُوَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ ، وَالْمُلُوكُ لَا يُمْدَحُونَ بِالْفُرُوضِ الْوَاجِبَةِ ، وَإِنَّمَا يَحْسُنُ مَدْحُهُمْ بِالنَّوَافِلِ[1] ، لِأَنَّ الْمَادِحَ لَوْ قَالَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ : إِنَّكَ لَا تَزْنِي بِحَلِيلَةِ جَارِكَ ، وَإِنَّكَ لَا تَخُونُ مَا اسْتُودِعْتَ ، وَإِنَّكَ تَصْدُقُ فِي وَعْدِكَ ، وَتَفِي بِعَهْدِكَ ، كَانَ قَدْ أَثْنَى بِمَا يَجِبُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَصِلْ بِثَنَائِهِ إِلَى مَقْصِدِهِ ، وَقَالَ مَا لَا يُسْتَحْسَنُ مِثْلُهُ فِي الْمُلُوكِ .

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَمِيرٍ يَتَوَلَّى مِنْ أُمُورِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا فَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ

(١) النوافل : ما زاد عن الواجب من الكماليات .

يُطْلِقُوا هَذِهِ اللَّفْظَةَ إِلاَّ لِلْخُلَفَاءِ خَاصَّةً ، وَنَعْلَمُ أَنَّ الْكَيْسَ هُوَ الْعَقْلُ ، إِذَا عَنَوْا[1] بِهِ ، ضِدَّ الْحُمْقِ ، وَلَكِنَّكَ لَوْ وَصَفْتَ رَجُلاً فَقُلْتَ : إِنَّ فُلاَنًا لَعَاقِلٌ ، كُنْتَ قَدْ مَدَحْتَهُ عِنْدَ النَّاسِ ، وَلَوْ قُلْتَ : إِنَّهُ كَيِّسٌ ، كُنْتَ قَدْ قَصَّرْتَ فِي وَصْفِهِ ، وَصَغَّرْتَ مِنْ قَدْرِهِ ، إِلَّا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ ، إِذْ كَانَ اسْتِعْمَالُ الْعَامَّةِ ، لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مَعَ الْحَدَاثَةِ وَالْغِرَّةِ[2] ، وَخَسَاسَةِ الْقَدْرِ ، وَصِغَرِ السِّنِّ ، فَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَكَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : أَنَّهُ تَسَمَّى بِالْمُكَيَّسِ ، حِينَ بَنَى سِجْنَ الْكُوفَةِ . وَقَالَ : —

(١) قصدوا وأرادوا (٢) الغرة الحداثة والسذاجة

أَمَا تَرَانِي كَيِّسًا مُكَيَّسًا بَنَيْتُ بَعْدَ نَافِعٍ مُخَيَّسَا[١]

حِصْنًا حَصِينًا وَأَمِيرًا كَيِّسَا

وَقَالَ آخَرُ : —

مَا يَصْنَعُ الْأَحْمَقُ[٢] الْمَرْزُوقُ بِالْكَيَسِ

وَكَذَلِكَ نَعْلَمُ أَنَّ الصَّلَاةَ رَحْمَةٌ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ حَرَّمُوهَا إِلَّا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ، كَذَلِكَ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَسَمِعَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ابْنَ أَخٍ لَهُ يُلَبِّي وَيَقُولُ : يَاذَا الْمَعَارِجِ ، فَقَالَ : نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ ذُو الْمَعَارِجِ[٣] ، وَلَكِنْ لَيْسَ كَذَلِكَ كُنَّا نُلَبِّي[٤]

---

(١) مخيساً : سجن بالكوفة بناه أمير المؤمنين على ابن أبي طالب

(٢) الأحمق : سريع الغضب (٣) المعارج جمع معرج وهو المصعد والسلم ومنه قوله تعالى من الله ذى المعارج تعرج الملائكة (٤) أى نقول لبيك الخ

عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِنَّمَا كُنَّا نَقُولُ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ .

وَكَانَ ابْرهِيمُ الْمُزَنِيُّ قَالَ : فِي بَعْضِ مَا طَالَبَ بِهِ دَاوُدَ بْنَ خَلَفٍ الْأَصْبهَانِيَّ وَإِنْ قَالَ كَذَا : فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْمِلَّةِ وَالْحَمْدُ لِلّهِ ، فَنَقَضَ[1] عَلَيْهِ ذَلِكَ دَاوُدُ وَقَالَ : تَحْمَدُ اللهَ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ مُسْلِمٌ مِنَ الْإِسْلَامِ ، هَذَا مَوْضِعُ اسْترجَاعٍ ، وَلِلحَمْدِ مَكَانٌ يَلِيقُ بِهِ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ فِي الْمُصِيبَةِ « إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » .

(١) نقض عليه : أنكر عليه

رعاية الالفاظ والمعانى

فَامْتَثِلْ هَذِهِ الرُّسُومَ وَالْمَذَاهِبَ وَاجْرِ عَلَى آدَابِهِمْ، فَلِكُلِّ رُسُومٌ امْتَثَلُوهَا، وَتَحَفَّظْ فِي صُدُورِ كُتُبِكَ وَفُصُولِهَا، وَافْتِتَاحِهَا وَخَاتِمَتِهَا، وَضَعْ كُلَّ مَعْنًى فِي مَوْضِعٍ يَلِيقُ بِهِ، وَتَخَيَّرْ لِكُلِّ لَفْظَةٍ مَعْنًى يُشَاكِلُهَا، وَلْيَكُنْ مَا تَخْتِمُ بِهِ فُصُولَكَ، فِي مَوْضِعِ ذِكْرِ الشَّكْوَى بِمِثْلِ: وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَفِي مَوْضِعِ ذِكْرِ الْبَلْوَى: نَسْأَلُ اللهَ دَفْعَ الْمَحْذُورِ، وَنَسْأَلُ اللهَ صَرْفَ السُّوءِ، وَفِي مَوْضِعِ ذِكْرِ الْمُصِيبَةِ بِمِثْلِ: إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَفِي مَوْضِعِ ذِكْرِ النِّعَمِ بِمِثْلِ: وَالْحَمْدُ لِلهِ خَالِصًا، وَالشُّكْرُ لِلهِ وَاجِبًا، فَإِنَّ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَتَفَقَّدَهَا وَيَحْتَفِظَ بِهَا. فَإِنَّ الْكَاتِبَ

إِنَّمَا يَصِيرُ كَاتِباً ، إِذَا وَضَعَ كُلَّ مَعْنًى فِي مَوْضِعِهِ ، وَعَلَّقَ كُلَّ لَفْظَةٍ عَلَى طِبْقِهَا مِنَ الْمَعْنَى ، فَلَا يَجْعَلُ أَوَّلَ مَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُكْتَبَ فِي آخِرِ كِتَابِهِ ، وَلَا آخِرَهُ فِي أَوَّلِهِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبَ يَقُولُ : لَا يَكُونُ الْكَاتِبُ كَاتِباً حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يُؤَخِّرَ أَوَّلَ كِتَابِهِ ، وَلَا يُقَدِّمَ آخِرَهُ

محاكاة القرآن

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي الرَّسَائِلِ ، اسْتِعْمَالُ مَا أَتَتْ بِهِ آيُ الْقُرْآنِ ، مِنَ الاقْتِصَارِ وَالْحَذْفِ ، وَمُخَاطَبَةِ الْخَاصِّ بِالْعَامِّ ، وَالْعَامِّ بِالْخَاصِّ ، لِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، إِنَّمَا خَاطَبَ بِالْقُرْآنِ أَقْوَاماً فُصَحَاءَ فَهِمُوا عَنْهُ — جَلَّ ثَنَاؤُهُ — أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ

وَمُرَادَهُ ، وَالرَّسَائِلُ إِنَّمَا يُخَاطَبُ بِهَا قَوْمٌ دُخَلَاءُ عَلَى اللُّغَةِ ، لَا عِلْمَ لَهُمْ بِلِسَانِ الْعَرَبِ ، وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ ، أَنْ يَتَجَنَّبَ اللَّفْظَ الْمُشْتَرَكَ ، وَالْمَعْنَى الْمُلْتَبِسَ(١) ، فَإِنَّهُ إِنْ ذَهَبَ عَلَى مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا » وَقَوْلِهِ تَعَالَى : « بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » احْتَاجَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ مَعْنَاهُ : وَاسْأَلْ أَهْلَ الْقَرْيَةِ وَأَهْلَ الْعِيرِ ، وَبَلْ مَكْرُكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ

* * *

كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ فِي الرَّسَائِلِ مَا يَجُوزُ فِي الشِّعْرِ ، لِأَنَّ الشِّعْرَ مَوْضِعُ اضْطِرَارٍ ، فَاغْتَفَرُوا فِيهِ الْإِغْرَابَ

مايصوغ شعراً لا كتابة

(١) اللبس : الشك . والملتبس : ما يقع فى شك

وَسُوءَ النَّظْمِ ، وَالتَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ ، وَالْإِضْمَارَ فِي مَوْضِعِ الْإِظْهَارِ .

كَمَا لَا يَجُوزُ أَيْضًا فِي الرَّسَائِلِ وَالْبَلَاغَاتِ الْمَنْثُورَةِ . مَا يَجُوزُ فِي الْأَشْعَارِ الْمَوْزُونَةِ ، لِأَنَّ الشَّاعِرَ مُضْطَرٌّ ، وَالشِّعْرُ مَقْصُورٌ مُقَيَّدٌ بِالْوَزْنِ وَالْقَوَافِي[1] ، فَلِذَلِكَ أَجَازُوا لَهُمْ صَرْفَ مَا لَا يَنْصَرِفُ مِنَ الْأَسْمَاءِ ، وَحَذْفَ مَا لَا يُحْذَفُ مِنْهَا ، وَذَلِكَ كُلُّهُ غَيْرُ سَائِغٍ فِي الرَّسَائِلِ ، وَلَا جَائِزٍ فِي الْبَلَاغَاتِ .

فَمِنَ الْحَذْفِ قَوْلُ الْحُطَيْئَةِ :

فِيهَا الرِّمَاحُ وَفِيهَا كُلُّ سَابِغَةٍ[2]

جَدْلَاءَ[3] مَسْرُودَةٍ مِنْ صُنْعِ سَلَّامِ

(١) القوافي جمع قافية : وهي آخر البيت من الشعر (٢) السابغة : الدرع الفضفاضة (٣) جدلاء : محكمة السرد .

يُرِيدُ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ، وَكَقَوْلِ الْآخَرِ، وَالشَّيْخُ عُثْمَانُ أَبُو عَفَّانَ . وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

وَسَائِلَةٍ بِثَعْلَبَـــةَ بْنِ سَيْرٍ
وَقَدْ عَلِقَتْ بِثَعْلَبَةَ الْعَلُوقُ[1]

أَرَادَ بْنَ سَيَّارٍ ، وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَكُلُّ صَمُوتٍ نَثْـــلَةٌ ثَعْلَبِيَّـةٌ
وَنَسْجُ سُلَيْمٍ كُلَّ قَضَّاءَ[2] ذَائِلِ[3]

يُرِيدُ سُلَيْمَانَ .

وَقَوْلِ الْآخَرِ :

قَوَاطِنَاً[4] مَكَّةَ مِنْ وُرْقِ الْحَمَى يَعْنِي : الْحَمَامِ

وَقَوْلِ الْآخَرِ :

---

(١) العَلوق بالفتح : المنيه (٢) قضاء : الدرع المحكمة
(٣) ذائل : طويلة (٤) قواطنا : ساكنات

صُفْرُ الْوشَاحَيْنِ[1] صَمُوتٌ[2] الْخَلْخَلِ يُرِيدُ : الْخَلْخَالَ

وَقَوْلِ الْآخَرِ :

دَارٌ لِسَلْمَى إِذْهِ مِنْ هَوَاكَ يُرِيدُ : إِذْ هِيَ

وَقَوْلُ الْآخَرِ :

وَلَسْتُ بِآتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ

وَلَاكِ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَاؤُكَ ذَا فَضْلِ

أَرَادَ وَلَكِنْ .

وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي فِي الرَّسَائِلِ أَلَّا يُصَغِّرَ الِاسْمَ مَوْضِعَ التَّعْظِيمِ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزاً عَلَى مِثْلِ قَوْلِهِمْ : دُوَيْهِيَةٌ[3] فِي قَوْلِ لَبِيدٍ :

وَكُلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ

دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

(١) الوشاحين مثنى وشاح وهو ما يتشح به الانسان أى يلتفح به .

(٢) كناية عن سمن الساقين (٣) دويهية تصغير داهية . وهى الأمر العظيم

وَجُذَيْلٌ وَعُذَيْقٌ فِي قَوْلِ الْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ يَوْمَ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ : أَنَا عُذَيْقُهَا(١) الْمُرَجَّبُ(٢) وَجُذَيْلُهَا(٣) الْمُحَكَّكُ ، وَمِمَّا لَا يَجُوزُ فِي الرَّسَائِلِ . كَلَّمْتُ إِيَّاكَ وَأَعْنِي إِيَّاكَ ، وَهُوَ جَائِزٌ فِي الشِّعْرِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَحْسِنْ وَأَجْمِلْ فِي أَسِيرِكَ إِنَّهُ
ضَعِيفٌ وَلَمْ يَأْسِرْ كَإِيَّاكَ آسِرٌ

وَإِسَاءَةُ النَّظْمِ فِي الشِّعْرِ كَثِيرٌ .

وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ بَشِعَةً ، حَتَّى إِذَا وُضِعَتْ مَوْضِعَهَا ،

---

(١) عذيقها : تصغير عذق : وهى النخلة بحملها (٢) المرجب : من رجب الشجرة إذا دعمها بما يمنعها من الانكسار (٣) جذيل تصغير جذل بالكسر وهو عود ينتصب للجربى من الابل لتحتك به . يريد قائل ذلك أنه صاحب الأمر المضروب فيه المثل . وهو زعيم لا يضعف عن احتماله والنهوض به .

وَقُرِنَتْ مَعَ أَخَوَاتِهَا ، حَسُنَ حَالُهَا وَرَاقَتْ ، كَقَوْلِ الْحَسَنِ بْنِ هَانِئٍ :

ذُو حُضُرٍ أَفْلَتَ مِنْ كَدِّ الْقُبَلْ

وَالْكَدُّ كَلِمَةٌ قَلِقَةٌ ، لَا سِيَّمَا فِي الْغَزَلِ وَالتَّشْبِيبِ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَمَّا وَقَعَتْ فِي مَوْضِعِهَا حَسُنَتْ ، كَمَا أَنَّ اللَّفْظَةَ الْعَذْبَةَ إِذَا لَمْ تُوْضَعْ مَوْضِعَهَا نَفَرَتْ . قَالَ :

رَأَتْ عَارِضًا جَوْنًا فَقَامَتْ غَرِيرَةً

بِمِسْحَاتِهَا قَبْلَ الظَّلَامِ تُبَادِرُهْ

فَأَوْقَعَ الْخَلْفُ الْجَافِي هَذِهِ اللَّفْظَةَ غَيْرَ مَوْقِعِهَا ، وَظَلَمَهَا إِذْ جَعَلَهَا فِي غَيْرِ مَكَانِهَا ، لِأَنَّ الْمَسَاحِيَ لَا تَكُونُ وَلَا تَصْلُحُ لِلْغَرَائِرِ . وَأَيْنَ كَانَ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

غَرَائِرُ مَا حَدَّثْنَ يُهْدِينَ أُنْسَةً
لِمَا فَوْقَهُ مِنْهُنَّ غَيْرُ غَرَائِرِ (١)

حَدِيثٌ لَوَ انَّ الْعُصْمَ (٢) تُدْعَى بِهِ أَتَتْ
وَدُونَ يَدِ الْفَحْشَاءِ (٣) حَدُّ الْبَوَاتِرِ (٤)

فَتَخَيَّرْ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَرْجَحَهَا وَزْنًا ، وَأَجْزَلَهَا مَعْنًى ، وَأَلْيَقَهَا فِي مَكَانِهَا ، وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا .

* * *

فوائح الرسائل وخواتيمها

وَلْيَكُنْ فِي صَدْرِ كِتَابِكَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى مُرَادِكَ ، وَفِي افْتِتَاحِ كَلَامِكَ بُرْهَانٌ شَاهِدٌ عَلَى

(١) غرائر جمع غريرة . وهى الساذجة . والغريرة هى ذات الخلق الحسن والمراد أن أولئك الحسان تغلب عليهن الغرة والسذاجة حتى يكون الحديث لمحض الأنس فاذا أريد بالحديث ما فوق ذلك من أمارات الريبة . عدن غير غرائر . واعتصمن بسوء الظن (٢) العصم جمع أعصم والوعول : تعتصم برءوس الجبال (٣) جمع فاحشة وهى كل شيء يستحق فاعله العقاب عليه كالزنا (٤) البواتر جمع باتر وهو السيف القاطع

مَقْصِدِكَ ، حَيْثُمَا جَرَيْتَ فِيـــهِ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ ، وَنَزَعْتَ(٥) نَحْوَهُ مِنْ مَذَاهِبِ الْخُطَبِ وَالْبَلَاغَاتِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْزَلُ لِمَعْنَاكَ ، وَأَحْسَنُ لِاتِّسَاقِ كَلَامِكَ ، وَلَا تُطِيلَنَّ صَدْرَ كَلَامِكَ إِطَالَةً تُخْرِجُهُ مِنْ حَدِّهِ ، وَلَا تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ حَقِّهِ .

وَلَوْ صُوِّرَ اللَّفْظُ وَكَانَ لَه حَدٌّ لَوَقَفْتُكَ عَلَيْهِ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ فِي الْجُمْلَةِ كَرِهُوا أَنْ يَزِيدُوا سُطُورَ كُتُبِ الْمُلُوكِ عَلَى سَطْرَيْنِ ، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ لَا تُعَبِّرُ إِلَّا عَنِ الْجُمْلَةِ مِنَ الْمَقْصُودِ إِلَيْهِ ، لِأَنَّ الْأَسْطُرَ غَيْرُ مَحْدُودَةٍ .

(٥) نزع نحوه : مال اليه

شأن الدواة فى الكتابة

وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَنْبَغِي لَكَ ، أَنْ تُصْلِحَ آلَتَكَ الَّتِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْهَا ، وَأَدَوَاتِكَ الَّتِي لَا تَتِمُّ صِنَاعَتُكَ إِلَّا بِهَا ، وَهِيَ دَوَاتُكَ ، فَابْدَأْ بِعِمَارَتِهَا وَإِصْلَاحِهَا ، وَتَخَيَّرْ لَهَا لِيقَةً(١) نَقِيَّةً مِنَ الشَّعْرِ وَالْوَذَرِ(٢) ، لِئَلَّا يَخْرُجَ عَلَى حَرْفِ قَلَمِكَ مَا يُفْسِدُ كِتَابَكَ ، وَيَشْغَلُكَ بِتَنْقِيَتِهِ .

وَخُذْ مِنَ الْمِدَادِ الْفَارِسِيِّ خَمْسَةَ دَرَاهِمَ ، وَمِنَ الصَّمْغِ الْعَرَبِيِّ دِرْهَماً ، وَعَصْفاً مَسْحُوقاً نِصْفَ دِرْهَمٍ ، وَرَمَادَ الْقِرْطَاسِ الْمُحْرَقِ دِرْهَمَيْنِ ، ثُمَّ تَسْحَقُهَا وَتُغَرْبِلُهَا وَتَجْمَعُهَا بِبَيَاضِ الْبَيْضِ ، ثُمَّ بَنْدِقْهَا وَاجْعَلْهَا فِي الظِّلِّ ، فَإِذَا احْتَجْتَ إِلَيْهَا أَخَذْتَ مِنْهَا مِقْدَارَ

(١) اللبقة ما يوضع فى الدواة من صوف أو خرقة (٢) ما تعلق بأصواف الغنم

حَاجَتِكَ ، فَكَسَرْتَهُ وَحَشَوْتَ بِهِ دَوَاتَكَ ، وَإِذَا نَقَعْتَهُ فِي مَاءِ السِّلْقِ حَتَّى يَنْحَلَّ وَيَذُوبَ وَيَخْتَمِرَ ، ثُمَّ أَمْدَدْتَ مِنْ مَائِهِ دَوَاتَكَ ، كَانَ أَجْوَدَ وَأَنْقَى ، ثُمَّ اخْتَرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَنَابِيبِ[1] الْقَلَمِ ، الَّذِي يَصْلُحُ لِكِتَابَةِ الْقَرَاطِيسِ[2] ، أَقَلَّهُ عُقَدًا ، وَأَكْثَفَهُ لَحْمًا ، وَأَصْلَبَهُ قِشْرًا ، وَأَعْدَلَهُ اسْتِوَاءً ، وَتَجَنَّبِ الْأَقْلَامَ الْفَارِسِيَّةَ مَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّهَا مَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلْكَوَاغِدِ[3] وَالرُّقُوقِ[4] .

* * *

الاقلام والقراطيس

وَاجْعَلْ لِقَلَمِكَ بَرَّاءَةً حَادَّةً ، فَإِنَّ تَعَثُّرَ يَدِ

(١) أنابيب جمع أنبوب : وهو من القصب والقنا : والمراد به «البوص والبسط» (٢) القراطيس جمع قرطاس وهو القطعة من الورق الرقيق (٣) الكواغد جمع كاغد وهو الورق السميك (٤) والرقوق جمع رق وهو الصحيفة من الجلد التى يكتب فيها

الْكَاتِبِ وَقْتَ قَطْعِ الْقِرْطَاسِ نَاقِصٌ مُرُوءَتَهُ، وَمُخِلٌّ بِظَرْفِهِ ، وَإِنْ قَدَرْتَ أَلَّا تَقْطَعَ الْقِرْطَاسَ إِذَا فَرَغْتَ مِنْ كِتَابِكَ ، إِلَّا بِخُرْطُومِ قَلَمِكَ فَافْعَلْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَكْمَلُ لِمُرُوءَتِكَ ، وَأَبْدَعُ لِظَرْفِكَ وَقَطْعِكَ ، وَاسْتَعْمِلْ لِبَرْيِ الْقَلَمِ سِكِّينًا طَوَاوِيسِيًّا[1]، مُذَلَّقَ[2] الْحَدِّ ، وَمِيضَ[3] الطَّرَفِ ، فَيَكُونَ ذَلِكَ عَوْنًا لَكَ عَلَى بَرْيِ قَلَمِكَ ، فَإِنَّ مَحَلَّ الْقَلَمِ مِنَ الْكَاتِبِ مَحَلُّ الرُّمْحِ مِنَ الْفَارِسِ ، وَلَئِنْ قِيلَ كَأَنَّهُ الرُّمْحُ الرُّدَيْنِيُّ ، فَقَدْ قَالَ الْكَاتِبُ : كَأَنَّهُ الْقَلَمُ الْبَحَرِيُّ ، وَتَفَقَّدِ الْأُنْبُوبَةَ قَبْلَ بَرْيِهَا ، لِئَلَّا تَجْعَلَهَا مَنْكُوسَةً ، وَابْرِهَا مِنْ نَاحِيَةِ نَبَاتِ الْقَصَبَةِ ، وَأَرْهِفْ

(١) نسبة الى الطاووس والمراد سكينة حسنة حادة (٢) مذلق الحد : رقيقه (٣) وميض الطرف : براق الطرف ..

مَا قَدَرْتَ جَانِبَيْ قَلَمِكَ ، لِيَرُدَّ مَا انْتَشَرَ مِنَ الْمِدَادِ ، وَلَا تُطِلْ شَقَّهُ ، فَإِنَّ الْقَلَمَ لَا يَمُجُّ الْمِدَادَ مِنْ شِقِّهِ ، إِلَّا مِقْدَارَ مَا احْتَمَلَتْ شَبَتَاهُ ، فَارْفَعْ شَبَتَيْهِ لِيَجْمَعَ لَكَ حَوَاشِيَ تَحْضِيرِهِ ، وَأَمَّا قَطُّ الْقَلَمِ فَعَلَى قَدْرِ الْقَلَمِ الَّذِي يَتَعَاطَاهُ الْكَاتِبُ مِنَ الْخَطِّ ، غَيْرَ أَنَّ الْمُسَلْسَلَ لَا يَكَادُ يَتَسَلْسَلُ إِلَّا بِالْقَلَمِ الْمُرَبَّعِ الْقَطِّ ، كَمَا أَنَّ كُتُبَ الْمُلُوكِ وَالسِّجِلَّاتِ ، لَا تَحْسُنُ إِلَّا بِالْقَلَمِ الْمُحَرَّفِ الْكُوفِيِّ ، وَأَمَّا قَلَمُ اللَّازَوَرْدِ ، فَهُوَ الْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ ، وَالْمَقْصُودُ إِلَيْهِ فِي النَّوَائِبِ وَالْمُهِمَّاتِ .

وَرَأَيْتُ كَثِيراً مِنَ الْكُتَّابِ يَخْتَارُونَ قَلَمَ النَّرْجِسِ لِتَجَعُّدِهِ وَتَجَانُسِهِ ، وَاللَّازَوَرْدُ أَبْسَطُ مِنْهُ وَأَقْوَمُ حُرُوفاً ، وَأَمَّا الْمُوَشَّعُ وَالْمُوَلَّعُ ، وَالْمُدَبَّجُ وَالْمُنَمْنَمُ

وَالْمُسَهَّمُ ، فَعَلَى قَدْرِ رَشَاقَةِ خَطِّ الْكَاتِبِ وَحَلَاوَةِ قَلَمِهِ ، وَأَمَّا حُسْنُ الْخَطِّ فَلَا حَدَّ لَهُ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ زَيْزٍ النَّصْرَانِيُّ الْكَاتِبُ : أُعَلِّمُكَ الْخَطَّ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ لَا تَكْتُبَنَّ حَرْفًا حَتَّى تَسْتَفْرِغَ مَجْهُودَكَ فِي كِتَابَةِ الْحَرْفِ الْمَبْدُوءِ بِهِ ، وَتَجْعَلَ فِي نَفْسِكَ أَنَّكَ لَا تَكْتُبُ غَيْرَهُ ، حَتَّى لَا تَعْجَلَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ .

* * *

النقط والشكل

وَإِيَّاكَ وَالنَّقْطَ وَالشَّكْلَ فِي كِتَابِكَ ، إِلَّا أَنْ تَمُرَّ بِالْحَرْفِ الْمُعْضِلِ[1] ، الَّذِي تَعْلَمُ أَنَّ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ يَعْجِزُ عَنِ اسْتِخْرَاجِهِ ، فَلَأَنْ يُشْكِلَ عَلَيَّ الْحَرْفُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُعَابَ بِالنَّقْطِ وَالْإِعْجَامِ ،

(١) المعضل : الصعب

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِكُتَّابِهِ : إِيَّاىَ وَالشَّوْنِيزَ[1] فِي كُتُبِكُمْ يَعْنِي النَّقْطَ . وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ هَانِئٍ :

لَمْ تَرْضَ بِالْإِعْجَامِ حِينَ كَتَبْتَهُ
حَتَّى شَكَلْتَ عَلَيْهِ بِالْإِعْرَابِ

* * *

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

وَلَا تُغْفِلِ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَقَدْ قَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ : إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا أَمَرُوا كُتَّابَهُمْ فَطَرَحُوا ذَلِكَ مِنْ كُتُبِهِمْ ، فَجَرَتْ عَادَةُ الْكُتَّابِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا عَلَى مَا سَنُّوهُ . وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّاكِبِ ، وَلَكِنِ اجْعَلُونِي فِي أَوَّلِ الدُّعَاءِ وَأَوْسَطِهِ

(١) الشونيز : الحية السوداء . والكلام على التشبيه .

وَآخِرِهِ » صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، أَوَّلًا وَأَوْسَطَ وَآخِرًا .

إتراب الكتب

وَأُحِبُّ أَنْ تَجْعَلَ بَدَلَ الْأُشَارَةِ[1] التُّرَابَ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَتْرِبُوا كُتُبَكُمْ فَإِنَّهُ أَنْجَحُ[2] لِلْحَاجَةِ » .

* * *

التاريخ

وَلَا تَدَعِ التَّارِيخَ ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى تَحْقِيقِ الْأَخْبَارِ وَقُرْبِهَا وَبُعْدِهَا ، وَانْظُرْ إِلَى مَا مَضَى مِنَ الشَّهْرِ وَمَا بَقِيَ مِنْهُ ، فَإِنْ كَانَ الْمَاضِي أَقَلَّ مِنْ نِصْفِ الشَّهْرِ ، قُلْتَ لِكَذَا لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ كَذَا ، وَإِنْ كَانَ الْبَاقِي أَقَلَّ مِنَ النِّصْفِ ، قُلْتَ لِكَذَا أَيْضًا بَقِيَتْ ،

(١) الأشارة : النشارة من الخشب (٢) أنجح : أقضى

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : إِنَّ الْمَاضِيَ مِنَ الشَّهْرِ تُحْصِيهِ ، وَالبَاقِيَ لاَ تُحْصِيهِ ، لِأَنَّكَ لاَ تَدْرِي ، أَيَتِمُّ الشَّهْرُ أَمْ يَنْقُصُ ؟ وَلَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ ، لِأَنَّ تَارِيخَ الْكِتَابِ لَيْسَ مِنَ الْإِحْكَامِ فِي شَيْءٍ ، وَمَا عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَكْتُبَ إِلَّا بِمَا ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ ، لاَ بِمَا يَظُنُّ .

إسحاء الكتب وختمها

وَلاَ تَجْعَلْ سَحَاةَ[1] كُتُبِكَ غَلِيظَةً ، إِلَّا فِي الْعُهُودِ وَالسِّجِلَّاتِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى خَوَاتِمِهَا وَطَوَابِعِهَا ، فَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عِيسَى الْكَاتِبَ ، كَاتِبَ آلِ طَاهِرٍ ، أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ طَاهِرٍ ، كَتَبَ إِلَى الْعِرَاقِ فِي إِشْخَاصِ كَاتِبٍ ، كَانَ كَتَبَ إِلَيْهِ ، فَكَتَبَ

(١) السحاة : وهى ما شد به الكتاب من خيط ونحوه

وَغَلَّظَ سَحَاةَ كِتَابِهِ ، فَرَدَّ الْكِتَابَ إِلَيْهِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ رَاجِياً لِبِرِّهِ وَجَائِزَتِهِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ : إِنْ كَانَ مَعَكَ مِسْحَاةٌ(١) فَاقْطَعْ خَزْمَ(٢) كِتَابِكَ وَانْصَرِفْ وَرَاءَكَ . وَكَذَلِكَ لاَ تُعَظِّمِ الطِّينَةَ(٣) ، فَفِي الْمَثَلِ : مَنْ عَظَّمَ الطِّينَةَ فَإِنَّهُ مَلُومٌ ، وَلاَ تَطْبَعْهَا إِلَّا بَعْدَ عُنْوَانَاتِهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُرَادٌ يُهِمُّ .

الصاق الفراطيس

وَقَدْ يَجِبُ عَلَيْكَ عِلْمُ إِلْصَاقِ الْقَرَاطِيسِ وَمَحْوِهَا ، وَلَمْ أَرَ شَيْئاً فِي إِلْصَاقِهَا أَلْطَفَ مِنْ أَنْ يُنْقَعَ الصَّمْغُ الْعَرَبِيُّ فِي الْمَاءِ سَاعَةً حَتَّى يَذُوبَ ثُمَّ يُلْصَقَ بِهِ ، وَكَذَلِكَ مَاءُ الْكَثِيرِ(٤) ، أَوِ النَّشَاسْتِجِ ، ثُمَّ تَطْوِيهِ

(١) المسحة : القوس (٢) خزم كتابك : أى منظومه
(٣) الطينة : هي الشمع الآن وأما قبل ذلك فكانت الطينة الطابع والصك
(٤) الكثير : طلع النخل . وهو فى كتب اللغة الكثر بالفتح والتحريك

طَيًّا رَقِيقاً وَتَجْعَلَهُ فِي مِنْدِيلٍ نَظِيفٍ ، وَيُوضَعَ تَحْتَ وِسَادَةٍ حَتَّى يَجِفَّ ، وَأَمَّا مَحْوُهَا فَعَلَى قَدْرِ لُطْفِ الْكَاتِبِ وَتَأَنِّيهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ أَلَّا يَلْقُطَ السَّوَادَ مِنَ الْقِرْطَاسِ إِلَّا بِمِثْلِ الشَّمَعِ الْمُسَخَّنِ وَاللُّبَانِ الْمَمْضُوغِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا ، ثُمَّ يَكُونُ لَقْطُهُ رُوَيْداً رُوَيْداً ، كُلَّمَا لَقَطَ جَانِباً حَوَّلَهُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ

* * *

قراءة الكتب المختومة

وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْكُتُبِ الْمَخْتُومَةِ ، وَالتَّلَطُّفُ لِفَضِّ[1] خَوَاتِيمِهَا ، فَمِمَّا لَا نَذْكُرُهُ خَوْفاً مِنْ سَفِيهٍ .

وَأَمَّا تَضْمِينُ الْأَسْرَارِ حَتَّى لَا يَقْرَأَهَا غَيْرُ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، فَفِيهِ أَدَبٌ ، وَقَدْ تَعَلَّقَتِ الْعَامَّةُ

(١) الفض : الفتح

بِالْقُمِّيِّ وَالْأَصْبِهَانِيِّ ، فَيَجِبُ أَنْ تُبَدِّلَ الْحُرُوفَ تَبْدِيلًا يَخْفَى ، وَأَلْطَفُ مِنْ ذَلِكَ ، أَنْ تَأْخُذَ لَبَنًا حَلِيباً ، فَتَكْتُبَ بِهِ فِي قِرْطَاسٍ فَيَذُرَّ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ عَلَيْهِ رَمَادًا حَارًّا ، مِنْ رَمَادِ الْقَرَاطِيسِ فَإِنَّهُ يَظْهَرُ ، وَإِنْ كُتِبَ بِمَاءِ الزَّاجِ وَذُرَّ عَلَيْهِ الْعَفْصُ الْمَدْقُوقُ بِزَاجٍ ، أَوْ بِمَاءِ الْعَفْصِ ، وَذَرَّ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الزَّاجِ ، أَوْ يَنْقَعَ شَيْئًا مِنْ وَشَقٍ[1] ثُمَّ تَكْتُبَ بِهِ ، ثُمَّ نَثَرْتَ عَلَيْهِ الرَّمَادَ فَإِنَّهُ يَظْهَرُ ، وَإِنْ أَحْبَبْتَهُ لَا يُقْرَأُ بِالنَّهَارِ وَيُقْرَأُ بِاللَّيْلِ ، فَاكْتُبْهُ بِمَرَارَةِ السُّلَحْفَاةِ

(١) الوشق : نوع من العشب . وكانت العروس تبخر به عند الجلوة

تخير الألفاظ

وَإِنْ حَاوَلْتَ صَنْعَةَ رِسَالَةٍ ، أَوْ إِنْشَاءَ كِتَابٍ ، فَزِنِ اللَّفْظَةَ قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِمِيزَانِ التَّصْرِيفِ إِذَا عَرَضَتْ ، وَالْكَلِمَةَ بِعِيَارِهِ إِذَا سَنَحَتْ ، فَرُبَّمَا مَرَّ بِكَ مَوْضِعٌ يَكُونُ مَخْرَجُ الْكَلَامِ ، إِذَا حُسِبَ أَنَا فَاعِلٌ أَحْسَنَ مِنْ أَنَا أَفْعَلُ ، وَاسْتَفْعَلْتُ أَحْلَى مِنْ فَعَلْتُ ، وَأَدِرِ الْأَلْفَاظَ فِي أَمَاكِنِهَا ، وَاعْرِضْهَا عَلَى مَعَانِيهَا ، وَقَلِّبْهَا عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِهَا ، حَتَّى تَقَعَ مَوْقِعَهَا ، وَلَا تَجْعَلْهَا قَلِقَةً نَافِرَةً(١) ، فَمَتَى صَارَتْ كَذَلِكَ ، هَجَّنْتَ(٢) الْمَوْضِعَ الَّذِي أَرَدْتَ تَحْسِينَهُ ، وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي أَرَدْتَ إِصْلَاحَهُ .

(١) أى غير منسجمة (٢) التهجين : التقبيح

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَلْفَاظَ فِي غَيْرِ أَمَاكِنِهَا ، وَالْقَصْدَ بِهَا فِي غَيْرِ مَظَانِّهَا[١] ، كَتَرْقِيعِ الثَّوْبِ الَّذِي إِذَا لَمْ تَتَشَابَهْ رِقَاعُهُ ، وَلَمْ تَتَقَارَبْ أَجْزَاؤُهُ ، خَرَجَ عَنْ حَدِّ الْجِدَّةِ ، وَتَغَيَّرَ حُسْنُهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ : —

إِنَّ الْجَدِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلَقٍ[٢]
تَبَيَّنَ النَّاسُ أَنَّ الثَّوْبَ مَرْقُوعُ

أوقات الكتابة

وَارْتَصِدْ[٣] لِكِتَابِكَ فَرَاغَ قَلْبِكَ ، وَسَاعَةَ نَشَاطِكَ ، فَتَجِدَ مَا يَمْتَنِعُ عَلَيْكَ بِالْكَدِّ[٤] وَالتَّكَلُّفِ[٥] . لِأَنَّ سَمَاحَةَ النَّفْسِ بِمَكْنُونِهَا ، وَجُودَ[٦]

(١) المظان : المراجع (٢) الخلق : الثياب البالية (٣) وارتصد : ترقب (٤) الكد : التعب (٥) التكلف : حمل المشقة (٦) الجود : ضد البخل

الْأَذْهَانِ بِمَخْزُونِهَا ، إِنَّمَا هُوَ مَعَ الشَّهْوَةِ الْمُفْرِطَةِ فِي الشَّيْءِ ، وَالْمَحَبَّةِ الْغَالِبَةِ فِيهِ ، أَوِ الْغَضَبِ الْبَاعِثِ مِنْهُ ذَلِكَ ، قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : لِمَ لَا تَقُولُ الشِّعْرَ ؟ قَالَ : كَيْفَ أَقُولُهُ ! وَأَنَا لَا أَغْضَبُ وَلَا أَطْرَبُ .

وَهَذَا كُلُّهُ إِنْ جَرَيْتَ مِنَ الْبَلَاغَةِ عَلَى عِرْقٍ[1] ، وَظَهَرْتَ مِنْهَا عَلَى حَظٍّ ، فَأَمَّا إِنْ كَانَتْ غَيْرَ مُنَاسِبَةٍ لِطَبْعِكَ ، وَلَا وَاقِعَةٍ شَهْوَتُكَ عَلَيْهَا ، فَلَا تُنْضِ[2] مَطِيَّتَكَ فِي الْتِمَاسِهَا ، وَلَا تُتْعِبْ بَدَنَكَ فِي ابْتِغَائِهَا ، وَاصْرِفْ عِنَانَكَ عَنْهَا ، وَلَا تَطْمَعْ فِيهَا بِاسْتِعَارَتِكَ أَلْفَاظَ النَّاسِ وَكَلَامَهُمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ

(١) العرق : الاصل (٢) أى لا تتعب

مُثْمِرٍ لَكَ ، وَلَا مُجْدٍ[١] عَلَيْكَ . وَمَنْ كَانَ مَرْجِعُهُ فِيهَا إِلَى اغْتِصَابِ أَلْفَاظِ مَنْ تَقَدَّمَ ، وَالِاسْتِضَاءَةِ بِكَوْكَبِ مَنْ سَبَقَهُ ، وَسَحْبِ ذَيْلِ حُلَّةِ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَدَاةٌ تُوَلِّدُ لَهُ مِنْ بَنَاتِ قَلْبِهِ وَنَتَائِجِ ذِهْنِهِ ، الْكَلَامَ الْحُرَّ[٢] ، وَالْمَعْنَى الْجَزْلَ[٣] ، فَلَمْ يَكُنْ مِنَ الصِّنَاعَةِ فِي عِيرٍ[٤] وَلَا نَفِيرٍ[٥] .

☆
☆ ☆

آراء مختلفة فى الكتابة

عَلَى أَنَّ كَلَامَ الْعُظَمَاءِ الْمَطْبُوعِينَ ، وَدَرْسَ رَسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، مِمَّا يَفْتُقُ[٦] اللِّسَانَ ، وَيُوَسِّعُ الْمَنْطِقَ ، وَيُشْحِذُ الطَّبْعَ ، وَيَسْتَثِيرُ

(١) ولا مجد : أى ولا راجع عليه بالفائدة المنشودة (٢) الحر : الطليق (٣) الجزل : البليغ (٤) العير : الابل التى تحمل الميرة أى الطعام والمؤونة (٥) النفير : القوم الذاهبون للعمل . والمراد هنا أن من كان هذا شأنه لم يصل الى هذا ولا ذاك (ضائع لا عمل له) ويكون عالة على غيره (٦) يفتق : يحد

كَوَامِنَهُ ، إِنْ كَانَتْ فِيهِ سَجِيَّةٌ .

قَالَ الْعُتَابِيُّ : مَا رَأَيْنَا فِيمَا تَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ ، وَجَرَيْنَا فِيهِ مِنْ صُنُوفِ الْآدَابِ ، شَيْئًا أَصْعَبَ مَرَامًا وَلَا أَوْعَرَ[1] مَسْلَكًا ، وَلَا أَدَلَّ عَلَى نَقْصِ الرِّجَالِ وَرَجَاحَتِهِمْ ، وَأَصَالَةِ الرَّأْيِ ، وَحُسْنِ التَّمْيِيزِ مِنْهُ وَاخْتِيَارِهِ ، مِنَ الصِّنَاعَةِ الَّتِي خَطَبْتَهَا ، وَالْمَعْنَى الَّذِي طَلَبْتَهُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَصْعَبَ مِنِ اخْتِيَارِ الْأَلْفَاظِ ، وَقَصْدِكَ بِهَا إِلَى مَوْضِعِهَا ، لِأَنَّ اللَّفْظَةَ تَكُونُ أُخْتَ اللَّفْظَةِ وَقَسِيمَتَهَا ، فِي الْفَصَاحَةِ وَالْحُسْنِ ، وَلَا تَحْسُنُ فِي مَكَانِ غَيْرِهَا ، وَبِتَمْيِيزِ هَذِهِ الْمَعَانِي ، وَمُنَاسَبَةِ طَبَائِعِ جَهَابِذَتِهَا[2]

(١) أوعرَ : أصعبَ (٢) الجهابذة : جمع جِهْبِذْ . وهو النقاد الكبير

وَمُشَاكَلَةِ أَرْوَاحِهِمْ، جَعَلُوا الْكِتَابَةَ نَسَبًا وَقَرَابَةً، وَأَوْجَبُوا عَلَى أَهْلِهَا حِفْظَهَا.

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ: الْكِتَابَةُ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ، تَجَزَّأَتْ فِي أَبْدَانٍ مُفْتَرِقَةٍ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ فَضْلَهَا وَجَهِلَ أَهْلَهَا، وَتَعَدَّى بِهِمْ رُتْبَتَهُمْ، الَّتِي وَضَعَهُمُ اللهُ بِهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي شَيْءٍ.

قَالَتِ الْبَرَامِكَةُ: رَسَائِلُ الْمَرْءِ فِي كُتُبِهِ، دَلِيلٌ(١) عَلَى عَقْلِهِ، وَشَاهِدٌ عَلَى غَيْبِهِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَتُنْكِرُ وُدَّ الْمَرْءِ فِي لَحْظِ عَيْنِهِ
وَتَعْرِفُ عَقْلَ الْمَرْءِ حِينَ تُكَاتِبُهْ

(١) دليل: أمارة وعلامة

آخرُ :

وَشِعْرُ الْفَتَى يُبْدِي[1] غَرِيزَةَ طَبْعِهِ
وَبِالْكُتْبِ يَبْدُو عَقْلُهُ وَبَلَاغَتُهْ

قَالَ الشَّعْبِيُّ : يُعْرَفُ عَقْلُ الرَّجُلِ إِذَا كَتَبَ أَوْ أَجَابَ .

قَالَ الْعُتْبِيُّ : عُقُولُ النَّاسِ مُدَوَّنَةٌ فِي كُتُبِهِمْ .

قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : كَلَامُ الرَّجُلِ وَافِدُ عَقْلِهِ .

المعانى والألفاظ

وَشَبَّهَتِ الْحُكَمَاءُ الْمَعَانِيَ بِالْغَوَانِي[2] ، وَالْأَلْفَاظَ بِالْمَعَارِضِ[3] ، فَإِذَا كَسَا الْكَاتِبُ الْبَلِيغُ الْمَعْنَى

(١) يُبدى : يُظهرُ (٢) الغوانى : جمع غانية . وهى المرأة الحسناء (٣) المعارض : جمع معرض . وهو الثوب الذى تجلى فيه الجارية ليلة العرس .

الْجَزْلَ لَفْظًا رَائِقًا[١] ، وَأَعَارَهُ مَخْرَجًا سَهْلًا ، كَانَ لِلْقَلْبِ أَحْلَى ، وَلِلصَّدْرِ أَمْلَا ، وَلَكِنَّهُ بَقِيَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظِمَهُ فِي سِلْكِهِ مَعَ شَقَائِقِهِ ، كَاللُّؤْلُؤِ الْمَنْثُورِ[٢] الَّذِي يَتَوَلَّى نَظْمَهُ الْحَاذِقُ[٣] ، وَالْجَوْهَرِيُّ الْعَالِمُ ، يُظْهِرُ بِإِحْكَامِ الصَّنْعَةِ لَهُ حُسْنًا هُوَ فِيهِ ، وَيَمْنَحُهُ بَهْجَةً هِيَ لَهُ ، كَمَا أَنَّ الْجَاهِلَ إِذَا وَضَعَ بَيْنَ الْجَوْهَرَتَيْنِ خَرَزَةً ، هَجَّنَ نَظْمَهُ وَأَطْفَأَ نُورَهُ . كَانَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ ، رُبَّمَا وَقَعَ عَلَى جَوْهَرَةٍ ، فَجَعَلَهَا بَيْنَ بَعْرَتَيْنِ[٤] ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَوْ قَرَنْتَ بِدُرِّ فَاخِرٍ خَرَزَا
مِنَ الزُّجَاجِ لَقُلْنَا بِئْسَ مَا نَظَمَا

(١) الرائق : الصافى (٢) المنثور : غير المنظوم
(٣) الحاذق : الماهر (٤) البعرة : رجيع ذوات الخف والظلف

وَالْيَاقُوتُ حَسَنٌ، وَهُوَ فِي جِيدِ[1] الْحَسْنَاءِ أَحْسَنُ، وَكَذَلِكَ الشِّعْرُ الْجَيِّدُ مُونِقٌ[2]، وَلَكِنَّهُ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُظَمَاءِ آنَقُ، وَالتَّاجُ الشَّرِيفُ بَهِيُّ الْمَنْظَرِ، وَهُوَ عَلَى الْمَلِكِ أَبْهَى، كَمَا قَالَ ابْنُ قَيْسٍ الرُّقَيَّاتِ عُبَيْدُ اللهِ:

يَعْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ[3]

بين ابى العتاهية وابن مناذر

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ لِابْنِ مُنَاذِرٍ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ الشِّعْرَ فِي الدَّهْرِ، وَالْقَصِيدَةَ فِي الشَّهْرِ، فَقَالَ: نَعَمْ، لَوْ رَضِيتُ لِنَفْسِي أَنْ أُؤَلِّفَ تَأْلِيفَكَ، وَأَقُولَ:

يَا عُتْبُ يَا دُرَّةَ الْغَوَّاصِ

لَقُلْتُ: فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، أَلْفَ قَصِيدَةٍ.

(١) الجيد: العنق والرقبة (٢) المونق: الحسن المعجب
(٣) مفرقه: أي رأسه

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ لَجَإٍ لِشَاعِرٍ : أَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ ؛ قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ :

لِأَنَّكَ تَقُولُ الْبَيْتَ وَابْنَ عَمِّهِ ، وَأَنَا أَقُولُ الْبَيْتَ وَأَخَاهُ .

عرض الكتابة على العلماء

فَإِنْ مُنِيتَ(١) بِحُبِّ الْكِتَابَةِ وَصِنَاعَتِهَا ، وَالْبَلَاغَةِ وَتَأْلِيفِهَا ، وَجَاشَ(٢) صَدْرُكَ بِشِعْرٍ مَعْقُودٍ(٣) ، أَوْ دَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى تَأْلِيفِ الْكَلَامِ الْمَنْثُورِ ، وَتَهَيَّأَ لَكَ نَظْمٌ هُوَ عِنْدَكَ مُعْتَدِلٌ ، وَكَلَامٌ لَدَيْكَ مُتَّسِقٌ(٤) ، فَلَا تَدْعُوَنَّكَ الثِّقَةُ بِنَفْسِكَ ، وَالْعُجْبُ بِتَأْلِيفِكَ ، أَنْ تَهْجُمَ بِهِ عَلَى أَهْلِ الصِّنَاعَةِ ، فَإِنَّكَ تَنْظُرُ إِلَى

(١) وقعت — بليت (٢) جاش : أى اضطرب
(٣) أى غير ظاهر الدلالة . ولا واضح المعنى (٤) منسجم

تَأْلِيفِكَ بِعَيْنِ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ[١]، وَالْعَاشِقِ إِلَى عَشِيقِهِ[٢] كَمَا قَالَ حَبِيبٌ هُوَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ:

وَيُسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنْ
هُوَ بِابْنِهِ وَبِشِعْرِهِ مَفْتُونُ

وَلَكِنِ اعْرِضْهُ عَلَى الْبُلَغَاءِ وَالشُّعَرَاءِ وَالْخُطَبَاءِ، مَمْزُوجًا[٣] بِغَيْرِهِ، فَإِنْ أَصْغَوْا[٤] إِلَيْهِ، وَأَذِنُوا لَهُ، وَشَخَصُوا بِالْأَبْصَارِ وَاسْتَعَادُوهُ، وَطَلَبُوهُ مِنْكَ وَامْتَزَجَ[٥]، فَاكْشِفْ مِنْ تِلْكَ الرِّسَالَةِ وَالْخُطْبَةِ وَالشِّعْرِ اسْمَهُ، وَانْسُبْهُ إِلَى نَفْسِكَ، وَإِنْ رَأَيْتَ عَنْهُ الْأَسْمَاعَ مُنْصَرِفَةً، وَالْقُلُوبَ عَنْهُ لَاهِيَةً، فَاسْتَدِلَّ

(١) أي بالشفقة والرأفة (٢) أي بالمحبة والرضا والعطف. والمراد التغاضي عن العيوب (٣) ممزوجاً: مخلوطاً بغيره
(٤) الاصغاء: الانصات (٥) اختلط بغيره من الجيد

بِهِ ، عَلَى تَخَلُّفِكَ عَنِ الصِّنَاعَةِ ، وَتَقَاصُرِكَ عَنْهَا ، وَاسْتَرِبْ[١] رَأْيَكَ عِنْدَ رَأْيِ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْبَلَاغَةِ ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ دَعَا إِنْسَاناً إِلَى مُؤَانَسَتِهِ ، حَتَّى ارْتَفَعَتِ الْحِشْمَةُ[٢] بَيْنَهُمَا ، فَأَخْرَجَ لَهُ كِتَاباً قَدْ غَشَّاهُ[٣] بِالْجُلُودِ ، وَجَمَعَ أَطْرَافَهُ بِالْإِبْرَيْسَمِ[٤] ، وَسَوَّى وَرَقَهُ ، وَزَخْرَفَ كِتَابَتَهُ ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ كَلَاماً قَدْ حَبَّرَهُ[٥] فِيهِ ، وَنَمَّقَهُ عِنْدَ نَفْسِهِ ، وَجَعَلَ يَسْتَحْسِنُ مَا لَا يَحْسُنُ ، وَيَقِفُ عَلَى مَا لَا يَسْتَثْقِلُ قِرَاءَتَهُ ، حَتَّى أَتَى عَلَى الْكِتَابِ ؛ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ مَا قَرَأْتُ عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ :

---

(١) استرب رأيك : شك فيه (٢) الحشمة : أى الكلفة
(٣) غشاه : أى غطاه (٤) الأبريسم : الحرير الخالص (٥) حبره : كتبه بالمداد

أَرَى عَقْلَ صَانِعِ هَذَا الْكَلَامِ أَكْثَرَ مِنْ كَلَامِهِ ، فَفَطِنَ لَهُ وَلَمْ يُعَاوِدْهُ ، إِلَى أَنْ وَقَفَ بِهِ عَلَى تَنُّورٍ مَسْجُورٍ[1] ثُمَّ قَذَفَ بِالْكِتَابِ فِي النَّارِ . وَهَذَا رَجُلٌ فِي عَقْلِهِ فَضْلَةٌ[2] ، وَفِيهِ تَمْيِيزٌ .

وَإِنَّمَا الْبَلِيَّةُ ، فِيمَنْ إِذَا بَيَّنْتَ لَهُ سُوءَ نَظْمِهِ وَاخْتِيَارِهِ ، وَوَقَفْتَهُ عَلَى سَخَافَةِ لَفْظِهِ ، هَجَرَكَ وَعَادَاكَ .

تعرف أقدار المخاطبين

فَاجْعَلْ هَذَا الْأَصْلَ مِيزَاناً تَزِنُ بِهِ مَذْهَبَكَ ، فِي رَسَائِلِكَ وَبَلَاغَتِكَ ، وَلَا تُخَاطِبَنَّ خَاصًّا بِكَلَامٍ عَامٍّ ، وَلَا عَامًّا بِكَلَامٍ خَاصٍّ ، فَمَتَى خَاطَبْتَ أَحَداً بِغَيْرِ مَا يُشَاكِلُهُ ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ الْكَلَامَ غَيْرَ مَجْرَاهُ

(١) المسجور : الموقد (٢) فضلة : أى قوة وزيادة .

وَكَشَفْتَهُ ، وَقَصْدُكَ بِالْكَلاَمِ الشَّرِيفِ ، لِلرَّجُلِ الشَّرِيفِ ، تَنْبِيهٌ لِقَدْرِ كَلاَمِكَ ، وَرَفْعٌ لِدَرَجَتِهِ ، قَالَ :

فَلَمْ أَمْدَحْكَ تَفْخِيماً لِشِعْرِي
وَلَكِنِّي مَدَحْتُ بِكَ الْمَدِيحَا

فَلَا تُخْرِجَنَّ كَلِمَةً حَتَّى تَزِنَهَا بِمِيزَانِهَا ، فَتَعْرِفَ تَمَامَهَا وَنِظَامَهَا ، وَمَوَارِدَهَا وَمَصَادِرَهَا ، وَتَجَنَّبْ مَا قَدَرْتَ الْأَلْفَاظَ الْوَحْشِيَّةَ ، وَارْتَفِعْ عَنِ الْأَلْفَاظِ السَّخِيفَةِ ، وَاقْتَضِبْ[1] كَلاَماً بَيْنَ الْكَلاَمَيْنِ .

أبلغ الكلام

قَالَ الْجَاحِظُ : مَا رَأَيْتُ قَوْماً أَمْثَلَ طَرِيقَةً فِي الْبَلاَغَةِ مِنْ هَؤُلاَءِ الْكُتَّابِ ، فَإِنَّهُمُ الْتَمَسُوا مِنَ

(١) اقتضب : اقتطع واختصر

الْأَلْفَاظِ ، مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعِّراً[١] وَحْشِيًّا ، وَلَا سَاقِطًا سُوقِيًّا[٢] ، وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : أَبْلَغُ الْكَلَامِ ، مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى كَلَامٍ ، وَأَحْسَنُهُ مَا لَمْ يَكُنْ بِالْبَدَوِيِّ الْمُغْرِبِ[٣] ، وَلَا الْقَرَوِيِّ الْمُخْدِجِ[٤] ، الَّذِي صَحَّتْ مَبَانِيهِ ، وَحَسُنَتْ مَعَانِيهِ ، وَدَارَ عَلَى أَلْسُنِ الْقَائِلِينَ ، وَخَفَّ عَلَى آذَانِ السَّامِعِينَ ، وَيَزْدَادُ حُسْناً عَلَى مَرِّ السِّنِينَ ، بِتَجْلِيَةِ الرُّوَاةِ ، وَتَنْقِيَةِ السَّرَاةِ[٥] .

وَالْكَاتِبُ الْمُسْتَحِقُّ اسْمَ الْكِتَابَةِ ، وَالْبَلِيغُ الْمَحْكُومُ لَهُ بِالْبَلَاغَةِ ، مَنْ إِذَا حَاوَلَ صَنْعَةَ كِتَابٍ ،

---

(١) المتوعر : الثقيل على السمع الذى يمجه الذوق (٢) سوقياً نسبة الى السوقة وهم العامة والمراد ألا يكون الكلام شبيهاً بكلامهم .

(٣) المغرب اسم فاعل من أغرب : وهو الكلام الغريب (٤) المخدج : الناقص (٥) سراة القوم : سادتهم ورؤساؤهم

سَالَتْ عَلَى قَلَمِهِ عُيُونُ الْكَلَامِ مِنْ يَنَابِيعِهَا ، وَظَهَرَتْ مِنْ مَعَادِنِهَا ، وَبَدَرَتْ[١] مِنْ مَوَاطِنِهَا ، عَنْ غَيْرِ اسْتِكْرَاهٍ وَلَا اغْتِصَابٍ .

تقدير المعانى

حَدَّثَنَا صَدِيقٌ لِلْعَتَّابِيِّ ، قَالَ لَهُ : اعْمَلْ لِي رِسَالَةً ، فَاسْتَمَدَّهُ[٢] مُدَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَرَى بَلَاغَتَكَ إِلَّا شَارِدَةً ، فَقَالَ لَهُ الْعَتَّابِيُّ : لَمَّا تَنَاوَلْتُ الْقَلَمَ ، تَدَاعَتْ[٣] عَلَيَّ الْمَعَانِي مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتْرُكَ كُلَّ مَعْنًى يَرْجِعُ إِلَى مَوْضِعِهِ ، ثُمَّ أَجْتَنِيَ[٤] لَكَ أَحْسَنَهَا .

---

(١) بدرت : أسرعت (٢) استمده : طلب منه طول المدة
(٣) تداعت : تساقطت : والمراد تواترت (٤) أجتنى : أقتطف

أَمْلَى يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَخُو زُبْيَانَ عَلَى كَاتِبٍ لَهُ ، وَأَعْجَلَ عَلَيْهِ الْإِمْلَالَ[١] ، فَتَعَثَّرَ قَلَمُ الْكَاتِبِ عَنْ تَقْيِيدِ إِمْلَالِهِ ، فَقَالَ مُتَحَرِّشًا[٢] : اكْتُبْ يَا حِمَارُ ! فَقَالَ الْكَاتِبُ : — أَصْلَحَ اللهُ الْأَمِيرَ — ! إِنَّهُ لَمَّا هَطَلَتْ شَآبِيبُ[٣] الْكَلَامِ ، وَتَدَافَقَتْ سُيُولُهُ ، عَلَى حَرْفِ الْقَلَمِ ، كَلَّ[٤] الْقَلَمُ عَنْ إِدْرَاكِ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ تَقْيِيدُهُ ، فَلْيَتَذَكَّرِ الْأَمِيرُ عُذْرِي ، فَكَانَ جَوَابُهُ أَبْلَغَ مِنْ بَلَاغَةِ يَزِيدَ .

الرقة والجزالة

وَكُلَّمَا احْلَوْلَى الْكَلَامُ ، وَعَذُبَ وَرَقَّ ،

(١) الامالل : ما يملى (٢) المتحرش : المتخشن (٣) شآبيب : مطر الكلام (٤) كل : تعب

وَسَهُلَتْ مَخَارِجُهُ ، كَانَ أَسْهَلَ وُلُوجًا[1] فِي الْأَسْمَاعِ وَأَشَدَّ اتِّصَالاً بِالْقُلُوبِ ، وَأَخَفَّ عَلَى الْأَفْوَاهِ ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ ، مُتَرْجَمًا بِلَفْظٍ مُونِقٍ شَرِيفٍ ، وَمُعَبَّرًا بِكَلَامٍ مُؤَلَّفٍ رَشِيقٍ[2] ، لَمْ يَسِمْهُ التَّكَلُّفُ بِمِيسَمِهِ ، وَلَمْ يُفْسِدْهُ التَّعَقُّدُ بِاسْتِهْلَاكِهِ ، كَقَوْلِ ابْنِ أَبِي كَرِيمَةَ :

قَفَاهُ وَجْهُ حُسْنٍ وَالَّذِي قَفَاهُ وَجْهٌ يُشْبِهُ الشَّمْسَا

فَهَجَّنَ الْمَعْنَى بِتَوَعُّرِ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ ، وَأَخَذَهُ الْحَسَنُ بْنُ هَانِئٍ فَسَهَّلَهُ وَقَالَ :

بَدَّ حُسْنَ الْوُجُوهِ حُسْنُ قَفَاكَا

وَكِلَاهُمَا مِنْ حَسَّانَ حَيْثُ يَقُولُ :

قَفَاؤُكَ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ وَأُمُّكَ خَيْرٌ مِنَ الْمُنْذِرِ

(١) الوُلوج : الدخول (٢) رشيق : حسن منسجم .

وَانْظُرْ إِلَى سَلاَسَةِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ حَيْثُ قَالَ :

شَرِسْتَ[١] بَلْ لِنْتَ بَلْ قَابَلْتَ ذَاكَ بِذَا
فَأَنْتَ لَا شَكَّ فِيكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ[٢]

وَكَتَبَ عِيسَى بْنُ لَهِيعَةَ كِتَابًا إِلَى أَخِيهِ أَبِي الْحَسَنِ ، فَعَقَّدَ كَلَامَهُ ، وَجَازَ الْمِقْدَارَ فِي التَّنَطُّعِ ، فَوَقَّعَ لَهُ :

أَنَّى يَكُونُ بَلِيغًا مَنِ اسْمُهُ كَانَ عِيًّا
وَثَالِثُ الْحَرْفِ مِنْهُ إِذَا كَتَبْتَ مُسِيًّا

✡
✡ ✡

تنطع الكتاب

وَدَخَلَ كَاتِبٌ عَلَى مَرِيضٍ فَوَجَدَهُ يَئِنُّ ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَوَجَدَ طَائِرًا يُقَالُ لَهُ الشَّفَانِينُ

(١) الشرس : السيء الخلق الشديد الخلاف (٢) الجبل : ما ارتفع من الصخور : والمراد به الصعب .

« بِبَابِ الطَّاقِ » فَاشْتَرَاهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ ، وَكَتَبَ كِتَابًا يَتَنَطَّعُ فِيهِ ، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ يُقَالُ لَهُ الشَّفَانِينُ ، شِفَاءٌ مِنَ الْأَنِينِ ، فَأَجَابَهُ : لَوْ عَطَسْتَ ضَبًّا ، لَمْ تَكُنْ عِنْدِى إِلَّا نَبَطِيًّا[1] ، فَأَقْصِرْ عَنْ بُغْضِكَ ، وَسَهِّلْ كَلَامَكَ ، وَتَمَثَّلْ بِقَوْلِ مُخَلَّدٍ الْمَوْصِلِيِّ ، يَهْجُو حَبِيبَ بْنَ أَوْسٍ الطَّائِيَّ :

أَنْتَ عِنْدِى عَرَبِيٌّ لَيْسَ فِى ذَاكَ كَلَامْ
شَعْرُ سَاقَيْكَ وَفَخْذَيْكَ خُزَامَى وَثُمَامْ
أَنَا مَا ذَنْبِيَ إِنْ كَذَّ بَنِى فِيكَ الْأَنَامْ
وَقَفًا يَحْلِفُ مَا إِنْ أَعْرَقَتْ فِيهِ الْكِرَامْ

وَسَأَلَنِى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنْ أَكْتُبَ لَهُ قِصَّةَ ،

(١) النبطى : غير العربى . من قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين .

إِلَى جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْقَاضِى ، وَقَالَ : اكْتُبْ لِى قِصَّةً سَهْلَةً ، بَلِيغَةَ الْأَلْفَاظِ . فَقُلْتُ لَهُ : دَعْنِى أَكْتُبْ لَكَ مَا يَصْلُحُ لِلْقُضَاةِ ، فَغَضِبَ وَقَالَ : مَا أَسْأَلُ أَنْ تُعْطِيَنِى شَيْئًا ، إِنَّمَا أَسْأَلُكَ هَذَا الْمَعْنَى الرَّخِيصَ ، فَاحْتَمَلْتُ عَتْبَهُ لِذِمَامٍ[1] فَكَتَبْتُ لَهُ قِصَّةً ، لَا تَصْلُحُ أَنْ تُدْفَعَ ، إِلَّا لِرُؤْبَةَ بْنِ الْعَجَّاجِ يَقْرَؤُهَا ، أَوْ الطِّرِمَّاحِ ، فَلَمَّا حَصَلَتْ بِيَدِ الْقَاضِى أَرَادَ قِرَاءَتَهَا ، فَإِذَا هِىَ مُغْلَقَةٌ[2] عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ كَتَبْتَ هَذِهِ الْقِصَّةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : إِذًا فَاقْرَأْهَا ، فَذَهَبَ لِيَقْرَأَهَا ، فَإِذَا هِىَ أَشْبَهُ بِالسُّودَانِيَّةِ اسْتِعْجَامًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : — أَصْلَحَ اللهُ الْقَاضِى —

(١) لذمام : لعهد (٢) مغلقة : صعب فهمها .

إِنَّمَا أَقْرَؤُهَا فِي بَيْتِي ، فَقَالَ لَهُ : فَاطْلُبْ حَاجَتَكَ إِذَنْ فِي بَيْتِكَ ! فَرَجَعَ إِلَيَّ غَضْبَانَ أَسِفاً نَشْتُمُ وَيُؤْذِي ، وَسَأَلَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَهُ قِصَّةً عَلَى مَا أَرَى ، فَكَتَبْتُ لَهُ كِتَاباً ، يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مِثْلِهِ إِلَى الْقُضَاةِ ، فَقَرَأَهَا وَقَضَى حَاجَتَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَكْتُبْ وَاحِدَةً مِنْهُمَا !

وَالْكِتَابُ إِذَا لَمْ يَكُنْ شَبِيهاً بِحَاجَةِ صَاحِبِهِ كَانَ أَحَدَ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ .

* * *

المعانى والالفاظ

وَالْمَعَانِي كُلُّهَا مُتَمَاثِلَةٌ ، وَالْكَلَامُ مُشَعَّبٌ ، وَلَكِنْ سِيَاسَتُهُ صَعْبَةٌ ، وَتَأْلِيفُهُ شَدِيدٌ ، إِلَّا عَلَى جَهَابِذَتِهِ وَفُرْسَانِهِ ، أُمَرَاءِ الْكَلَامِ ، يُصَرِّفُونَهُ

كَيْفَ شَاءُوا ، وَلَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ الْبَلَاغَةِ ، حَتَّى يُسَابِقَ مَعْنَاهُ لَفْظَهُ ، وَلَفْظُهُ مَعْنَاهُ ، وَيَكُونَ اللَّفْظُ أَسْبَقَ إِلَى الْأَسْمَاعِ ، مِنْ مَعْنَاهُ إِلَى الْقُلُوبِ .

الْجَاحِظُ : كَانَ لَفْظُهُ فِي وَزْنِ إِشَارَتِهِ ، وَطَبْعُهُ فِي مَعْنَاهُ ، فِي مُطَابَقَةِ مَعْنَاهُ .

ذَكَرَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ ، أَحْمَدَ ابْنَ يُوسُفَ فَقَالَ : مَا كُنْتُ أَدْرِي أَلَفْظُهُ آنَقُ أَمْ مَعْنَاهُ ؟ وَمَعْنَاهُ أَجْزَلُ أَمْ لَفْظُهُ ؟ .

وَالْمَعَانِي وَإِنْ كَانَتْ كَامِنَةً فِي الصُّدُورِ ، فَإِنَّهَا مُصَوَّرَةٌ فِيهَا ، وَمُتَّصِلَةٌ بِهَا ، وَهِيَ كَاللَّآلِئِ الْمَنْظُومَةِ فِي أَصْدَافِهَا ، وَالنَّارِ الْمَخْبُوءَةِ فِي أَحْجَارِهَا ، فَإِنْ أَظْهَرْتَهُ مِنْ أَكْنَانِهِ وَأَصْدَافِهِ ، تَبَيَّنَ حُسْنُهُ ،

وَإِنْ قَدَحْتَ النَّارَ مِنْ مَكَامِنِهَا وَأَحْجَارِهَا انْتَفَعْتَ بِهَا ، وَإِلَّا بَقِيَتْ مَحْجُوبَةً مَسْتُورَةً ، وَرُبَّمَا يُسْتَثَارُ الْكَامِنُ مِنْهَا ، وَيُسْتَخْرَجُ الْمُسْتَسِرُّ[1] مِنْ جَوَاهِرِهَا ، بِقَدْرِ حِذْقِ الْمُسْتَنْبِطِ ، وَصَوَابِ حَرَكَاتِ الْمُسْتَخْرِجِ وَقَصْدِ إِشَارَتِهِ ، وَلُطْفِ مَذَاهِبِهِ ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ كُلُّ نَاطِقٍ وَلَا كَاتِبٍ ، يُوَضِّحُ عَنِ الْمَعْنَى ، وَلَا يُصِيبُ إِشَارَتَهُ ، وَكُلَّمَا كَانَ الْكَلَامُ أَفْصَحَ ، وَالْبَيَانُ أَوْضَحَ ، كَانَ أَدَلَّ عَلَى حُسْنِ وَجْهِ الْمَعْنَى .

وَقَدْ شَبَّهُوا الْمَعْنَى الْخَفِيَّ بِالرُّوحِ الْخَفِيِّ ، وَاللَّفْظَ الظَّاهِرَ بِالْجُثْمَانِ الظَّاهِرِ ، وَإِذَا لَمْ يَنْهَضْ بِالْمَعْنَى الشَّرِيفِ ، لَفْظٌ شَرِيفٌ جَزْلٌ ، لَمْ تَكُنِ الْعِبَارَةُ وَاضِحَةً ، وَلَا النِّظَامُ مُتَّسِقًا .

(١) المستسر : المستتر .

☆
☆ ☆

الدال على المعنى

وَالدَّالُّ عَلَى الْمَعْنَى أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ : لَفْظٌ ، وَإِشَارَةٌ ، وَعَقْدٌ ، وَخَطٌّ ، وَذَكَرَ أَرِسْطَاطَالِيسُ خَامِساً ، وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى النَّصْبَةَ ، وَهِيَ الْحَالَةُ الدَّالَّةُ ، الَّتِي تَقُومُ مَقَامَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ الْأَرْبَعَةِ ، النَّاطِقَةُ بِغَيْرِ لَفْظٍ ، وَالْمُشِيرَةُ إِلَيْهِ بِغَيْرِ يَدٍ ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَفِي كُلِّ صَامِتٍ وَنَاطِقٍ ، وَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي جُمْلَةِ هَذِهِ الْمَعَانِي الْأَرْبَعَةِ ، وَخَارِجَةٌ مِنْهَا بِالْحِلْيَةِ .

وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الدَّلَائِلِ ، صُورَةٌ مُخَالِفَةٌ لِصُورَةِ صَاحِبَتِهَا ، وَحِلْيَةٌ غَيْرُ مُشَاكِلَةٍ لِحِلْيَةِ أُخْتِهَا ؛ غَيْرَ أَنَّهَا فِي الْجُمْلَةِ ، كَاشِفَةٌ عَنْ أَعْيَانِ

الْمَعَانِي ، وَأَوْضَحُ هَذِهِ الدَّلَائِلِ صِنْفَانِ : وَهُمَا اللِّسَانُ وَالْقَلَمُ ، وَكِلَاهُمَا يُتَرْجِمَانِ وَيَدُلَّانِ عَلَى الْقَلْبِ ، وَيَسْتَمْلِيَانِ مِنْهُ ، وَيُؤَدِّيَانِ عَنْهُ مَا لَا تُؤَدِّي هَذِهِ الْأَصْنَافُ الْبَاقِيَةُ .

قدر اللسان

وَأَمَّا اللِّسَانُ ، فَهُوَ الْآلَةُ الَّتِي يَخْرُجُ الْإِنْسَانُ بِهَا مِنْ حَدِّ الِاسْتِبْهَامِ[1] ، إِلَى حَدِّ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ : حَدُّ الْإِنْسَانِ ، الْحَيُّ النَّاطِقُ (وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ) : إِنَّمَا يُبِينُ[2] عَنِ الْإِنْسَانِ ، اللِّسَانُ وَعَنِ الْمَوَدَّةِ ، الْعَيْنَانِ . (وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ) : وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ

(١) الاستبهام : الاستغلاق وأرتج عليه فلم يقدر على الكلام
(٢) يبين : يظهر ويخبر

رَفَعَ دَرَجَةَ اللِّسَانِ ، فَأَنْطَقَهُ مِنْ بَيْنِ الْجَوَارِحِ[1] بِتَوْحِيدِهِ ، وَمَا جَعَلَ اللهُ مَنْ عَبَّرَ عَنْ شَيْءٍ ، مِثْلَ مَنْ لَمْ يُعَبِّرْ عَنْهُ .

وَقَالَ آخَرُ : الرَّجُلُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . وَقَالُوا : الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ ، قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا الْأَصْغَرَانِ لِسَانُهُ
وَمَعْقُولُهُ وَالْجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرُ
فَإِنْ تَرَهَا رَاقَتْكَ يَوْماً فَرُبَّمَا
أَمَرَّ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ

(١) الجوارح : جمع جارحة . والمراد جميع الاعضاء .

وَقَالَ الْأَعْوَرُ التَّيْمِيُّ :

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

ويروى البيت لزهير

وَقَالَ آخَرُ :

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا
جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

وَقَالَ الطَّائِيُّ :

وَمِمَّا كَانَتِ الْحُكَمَاءُ قَالَتْ
لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ

☆
☆ ☆

فضيلة الخط والكتابة

وَلِلْخَطِّ صُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، وَحِلْيَةٌ مَوْصُوفَةٌ ، وَفَضِيلَةٌ بَارِعَةٌ ، لَيْسَتْ لِهَذِهِ الْأَوْصَافِ ، لِأَنَّهُ يَنُوبُ

عَنْهَا فِي الْإِيضَاحِ عِنْدَ الْمَشْهَدِ ، وَيَفْضُلُهَا فِي الْمَغِيبِ ،
« وَلِأَنَّ الْكُتُبَ تُقْرَأُ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُتَبَايِنَةِ ،
وَالْبُلْدَانِ الْمُتَفَرِّقَةِ ، وَتُدْرَسُ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ ،
وَبِكُلِّ لِسَانٍ ، وَاللِّسَانُ وَإِنْ كَانَ زَلِقًا فَصِيحًا ،
لَا يَعْدُو سَامِعَهُ ، وَلَا يُجَاوِزُهُ إِلَى غَيْرِهِ »

☆ ☆ ☆

فضيلة الخط والقلم

وَكَفَى بِفَضِيلَةِ الْقَلَمِ وَالْخَطِّ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ :
« الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .
وَأَقْسَمَ بِهِ كَمَا أَقْسَمَ بِغَيْرِهِ ، ثُمَّ أَقْسَمَ بِمَا يَكْتُبُهُ
الْقَلَمُ إِفْصَاحًا عَنْ حَالِهِ ، وَإِعْظَامًا لِشَأْنِهِ ، وَتَنْبِيهًا
لِذِكْرِهِ ، فَقَالَ : « نٓ — وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » .

وَمِنْ فَضِيلَةِ الْخَطِّ أَنَّهُ لِسَانُ الْيَدِ ، وَبَهْجَةُ الضَّمِيرِ ،
وَدَلِيلُ الْإِرَادَةِ ، وَالنَّاطِقُ عَنِ الْخَوَاطِرِ ، وَسَفِيرُ

الْعُقُولِ ، وَوَحْيُ الْفِكْرِ ، وَسِلَاحُ الْمَعْرِفَةِ ، وَمُحَادَثَةُ الْأَخِلَّاءِ عَلَى التَّنَائِي ، وَأُنْسُ الْإِخْوَانِ عِنْدَ الْفُرْقَةِ ، وَمُسْتَوْدَعُ الْأَسْرَارِ ، وَدِيوَانُ الْأُمُورِ ، وَتَرْجُمَانُ الْقُلُوبِ ، وَالْمُعَبِّرُ عَنِ النُّفُوسِ ، وَالْمُخْبِرُ عَنِ الْخَوَاطِرِ ، وَمُورِثُ الْآخِرِ مَكَارِمَ الْأَوَّلِ ، وَالنَّاقِلُ إِلَيْهِ مَآثِرَ الْمَاضِي ، وَالْمُخَلِّدُ لَهُ حِكْمَتَهُ وَعِلْمَهُ ، وَالْمُسَامِرُ لِلْعَيْنِ بِسِرِّ الْقَلْبِ ، وَالْمُخَاطِبُ عَنِ النَّاصِتِ ، وَالْمُجَادِلُ عَنِ السَّاكِتِ ، وَالْمُفْصِحُ عَنِ الْأَبْكَمِ ، وَالْمُتَكَلِّمُ عَنِ الْأَخْرَسِ ، الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ آثَارُهُ بِفَضَائِلِهِ ، وَأَخْبَارُهُ بِمَنَاقِبِهِ .

* * *

فضيلة البلاغة

وَقَدْ وَضَعَتِ الْبَلَاغَةُ مِنَ الْقَلَمِ عَلِيَّ الْقَدْرِ ،

وَبَاذِخَ[١] الْعِزِّ ، كَأَبِي مُسْلِمٍ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ ، فَرَّقَتْ شَمْلَهُ ، وَبَدَّدَتْ جَمْعَهُ ، وَنَقَضَتْ[٢] بَرْمَهُ ، وَأَفْسَدَتْ صَلَاحَهُ ، وَضَعْضَعَتْ[٣] بُنْيَانَهُ مَعَ ذَكَائِهِ وَتَفَطُّنِهِ ، وَمَكَايِدِهِ وَدَهَائِهِ ، وَأَصَالَةِ رَأْيِهِ ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ[٤] ، وَامْتِنَاعِهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَنِفَارِهِ عَنْهُ ، كَيْفَ اسْتَفَزَّهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ ، وَصَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ ، وَجَبَلُ بْنُ يَزِيدَ ، وَاسْتَمَالُوهُ بِسِحْرِ أَلْفَاظِهِمْ ، وَبَلَاغَةِ أَقْلَامِهِمْ ، حَتَّى نَزَلَ مِنْ بَاذِخِ عِزِّهِ وَجَاءَ مُبَادِرًا[٥] ، حَتَّى وَقَعَ فِي الشَّرَكِ[٦] الْمَنْصُوبِ لَهُ ، فَتَفَرَّقَ جَمْعُهُ وَانْطَفَأَ نُورُهُ ، وَصَارَ خَبَرًا سَائِرًا ، وَرَسْمًا دَاثِرًا[٧] ، وَرَفَعَ الْقَلَمُ ،

(١) الباذخ : العالى الشأن (٢) نقضت : فكت وحلت
(٣) ضعضعت : هدمت (٤) الشكيمة : الأنفة والشمم
(٥) مبادراً : مسارعاً (٦) الشرك : حبائل الصيد
(٧) الدثر : البالى : والمراد أنه صار أثراً بعد عين

خَاشِعَ الطَّرْفِ ، صَغِيرَ الْخَطَرِ ، لَئِيمَ الْجِنْسِ ، دَرَجَ مِنْ عُشِّ التُّجَّارِ ، وَنَشَأَ بَيْنَ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ ، كَيْفَ أَشَالَتِ[1] الْبَلَاغَةُ بِضَبُعَيْهِ ، وَرَفَعَتْ مِنْ نَاظِرَيْهِ ، حَتَّى شَافَهَتْ[2] بِهِ عَنَانَ السَّمَاءِ ، وَرَفَعَتْ بِنَاءَهُ فَوْقَ الْبِنَاءِ ، حَتَّى طَلَبَهُ الرَّاكِبُ ، وَقَصَدَهُ الطَّالِبُ ، وَخَشَعَتْ لَهُ الرِّجَالُ ، وَلَحَظَتْهُ الْعُيُونُ بِالْوَقَارِ ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الصَّنَائِعِ ، وَمُدَّتْ نَحْوَهُ الْأَصَابِعُ ، فَشُكِرَتْ مِنْهُ اللَّفْظَةُ ، وَرُجِيَتْ مِنْهُ اللَّحْظَةُ ، كَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الزَّيَّاتِ ، وَفِيهِ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ : ابن الزيات

أَحْسَنُ مِنْ عِشْرِينَ بَيْتاً سُدًى
جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي بَيْتِ

(١) أشالت : رفعت (٢) شافهت : قاربت

مَا أَحْوَجَ الْمُلْكَ إِلَى مَطْرَةٍ(١)

تَغْسِلُ عَنْهُ وَضَرَ(٢) الزَّيْتِ

فَأَجَابَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ :

رَقِيتَ فِي الْقَوْلِ إِلَى خُطَّةٍ

قَدْرَكَ فِيهَا قَدْ تَعَدَّيْتْ

قَيَّرْتُمُ(٣) الْمُلْكَ فَلَمْ نُنْقِهِ

حَتَّى غَسَلْنَا الْقَارَ بِالزَّيْتْ

وَقَالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ يَمْدَحُهُ وَيَصِفُ قَلَمَهُ :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَاتِهِ(٤)

تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلَى وَالْمَفَاصِلُ

---

(١) المطرة : المرة من المطر (٢) وضر الزيت : وسخه

(٣) قيرتم الملك : سودتموه حتى غسلناه بالزيت فلم ننقه

(٤) فى المقد الفريد بسنانه

وَكَانَ مُحَمَّدٌ مِنْ أَلْطَفِ النَّاسِ ذِهْناً ، وَأَرَقِّهِمْ طَبْعاً . وَأَصْدَقِهِمْ حِسًّا . وَأَرْشَقِهِمْ قَلَماً ، وَأَمْلَحِهِمْ إِشَارَةً ، إِذَا قَالَ أَصَابَ ، وَإِذَا كَتَبَ أَبْلَغَ ، وَإِذَا شَعَرَ أَحْسَنَ ، وَإِذَا اخْتَصَرَ أَغْنَى عَنِ الْإِطَالَةِ : أَمَرَهُ الْوَاثِقُ أَنْ يَتَلَطَّفَ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَيُعْلِمَهُ أَنَّهُ صَرَفَهُ عَنْ أَمْرِ الْجَزَائِرِ وَالْعَوَاصِمِ ، وَفَوَّضَ ذَلِكَ لِابْنِ عَمِّهِ ، اسْحَاقَ بْنِ ابْرَهِيمَ ؛ فَكَتَبَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَأَى أَنْ يَخْلَعَ مَا فِي يَمِينِكَ مِنْ أَمْرِ الْجَزَائِرِ وَالْعَوَاصِمِ ، فَيَجْعَلَهُ فِي شِمَالِكَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

سَهْلُ بْنُ بَرَكَةَ يَهْجُو أَبَا نُوحٍ النَّصْرَانِيَّ الْكَاتِبَ فَقَالَ :

بِأَبِي وَأُمِّي ضَاعَتِ الْأَحْلَامُ(١) ؟
أَمْ ضَاعَتِ الْأَذْهَانُ وَالْأَفْهَامُ ؟
مَنْ صَدَّ عَنْ دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
أَلَهُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ قِيَامُ ؟
إِلاَّ تَكُنْ أَسْيَافُهُمْ مَشْهُورَةً(٢)
فِينَا فَتِلْكَ سُيُوفُهُمْ أَقْلَامُ ؟

☆
☆ ☆

البلاغة قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَيْسَانَ : اُسْتِعْمَالُ الْقَلَمِ أَجْدَرُ بِإِحْضَارِ الذِّهْنِ عِنْدَ تَصْحِيحِ الْكِتَابِ ، مِنِ اسْتِعْمَالِ اللِّسَانِ عَلَى تَصْحِيحِ الْكَلَامِ .

(١) الأحلام : العقول (٢) مشهورة : مسلولة

وَلَمْ يُخْتَلَفْ فِي شَرَفِ الْقَلَمِ ، وَإِنَّمَا اخْتُلِفَ فِي كَيْفِيَّةِ الْبَلَاغَةِ وَمَاهِيَّتِهَا ، وَقَدْ مَدَحَهَا كُلُّ قَوْمٍ بِأَوْضَحِ عِبَارَتِهِمْ ، وَأَحْسَنِ بَيَانِهِمْ ، فَقَالَ صَاحِبُ الْيُونَانِيِّينَ : الْبَلَاغَةُ تَصْحِيحُ الْأَقْسَامِ ، وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ .

الرُّومِيُّ : الْبَلَاغَةُ وُضُوحُ الدَّلَالَةِ ، وَانْتِهَازُ الْفُرْصَةِ ، وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ .

الْفَارِسِيُّ : هِيَ مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ مِنَ الْوَصْلِ .

الْهِنْدِيُّ : هِيَ الْبَصَرُ بِالْحُجَّةِ ، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَوَاضِعِ الْفُرْصَةِ ، ثُمَّ أَنْ يَدَعَ الْإِفْصَاحَ بِهَا ، إِلَى الْكِنَايَةِ عَنْهَا ، إِذَا كَانَ الْإِفْصَاحُ أَوْعَرَ طَرِيقًا ، وَرُبَّمَا كَانَ الْإِطْرَاقُ عَنْهَا ، أَبْلَغَ فِي الدَّرْكِ ، وَأَحَقَّ بِالظَّفَرِ .

غَيْرُهُ : جِمَاعُ الْبَلَاغَةِ ، الْتِمَاسُ حُسْنِ الْمَوْقِعِ ، وَالْمَعْرِفَةُ بِسَاعَاتِ الْقَوْلِ ، وَقِلَّةُ الْحِذْقِ بِمَا الْتَبَسَ مِنَ الْمَعَانِي وَغَمَضَ ، وَبِمَا شَرَدَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّفْظِ وَتَعَذَّرَ ، ثُمَّ قَالَ : وَزَيْنُ ذَلِكَ كُلِّهِ وَبَهَاؤُهُ ، وَحَلَاوَتُهُ وَسَنَاؤُهُ ، أَنْ تَكُونَ الشَّمَائِلُ مُعْتَدِلَةً ، وَالْأَلْفَاظُ مَوْزُونَةً ، وَاللَّهْجَةُ نَقِيَّةً ، فَإِنْ جَامَعَ ذَلِكَ السِّنَّ وَالسَّمْتَ وَالْجَمَالَ وَطُولَ الصَّمْتِ ، فَقَدْ تَمَّ كُلَّ التَّمَامِ ، وَكَمُلَ كُلَّ الْكَمَالِ .

وَقِيلَ لِهِنْدِيٍّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً مَكْتُوبَةً عِنْدَهُمْ فِيهَا : أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ ، اجْتِمَاعُ آلَةِ الْبَلَاغَةِ ، وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْبَلِيغُ ، رَابِطَ الْجَأْشِ ،

سَاكِنَ الْجَوَارِحِ ، قَلِيلَ اللَّحْظِ ، مُتَخَيِّرَ اللَّفْظِ ، لَا يُكَلِّمُ سَيِّدَ الْأُمَّةِ بِكَلَامِ الْأُمَّةِ ، وَلَا الْمُلُوكَ بِكَلَامِ السُّوقَةِ ، وَيَكُونُ فِي قُوَاهُ فَضْلٌ لِلتَّصَرُّفِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ ، وَلَا يُدَقِّقُ الْمَعَانِيَ كُلَّ التَّدْقِيقِ ، وَلَا يُنَقِّحُ الْأَلْفَاظَ كُلَّ التَّنْقِيحِ ، وَيُصَفِّيهَا كُلَّ التَّصْفِيَةِ ، وَيُهَذِّبُهَا غَايَةَ التَّهْذِيبِ ، وَلَا يَكُونُ كَذَلِكَ ، حَتَّى يُصَادِفَ فَيْلَسُوفًا ، حَكِيمًا عَلِيمًا ، وَمَنْ قَدْ تَعَوَّدَ حَذْفَ فُضُولِ الْكَلَامِ ، وَإِسْقَاطَ مُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَاظِ .

أَنُوشَرْوَانُ لِبُزُرْجُمِهْرَ : مَتَى يَكُونُ الْعِيُّ بَلِيغًا ؟ فَقَالَ إِذَا وَصَفَ بَلِيغًا .

أَرِسْطَاطَالِيسُ : الْبَلَاغَةُ حُسْنُ الِاسْتِعَارَةِ .

بِشْرُ بْنُ جَعْفَرٍ : الْبَلَاغَةُ التَّقَرُّبُ مِنَ الْمَعْنَى الْبَعِيدِ ، وَالتَّبَاعُدُ عَنْ خَسِيسِ الْكَلَامِ ، وَالدَّلَالَةُ بِالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ .

خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : لَيْسَ الْبَلَاغَةُ بِخِفَّةِ اللِّسَانِ ، وَلَا بِكَثْرَةِ الْهَذَيَانِ ، وَلَكِنَّهَا إِصَابَةُ الْمَعْنَى ، وَالْقَصْدُ لِلْحُجَّةِ .

عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : الْبَلِيغُ مَنْ إِذَا وَجَدَ كَثِيراً مَلَأَهُ ، وَإِذَا وَجَدَ قَلِيلًا كَفَاهُ .

ابْنُ عُتْبَةَ : الْبَلَاغَةُ دُنُوُّ الْمَأْخَذِ ، وَقَرْعُ الْحُجَّةِ ، وَالِاسْتِغْنَاءُ بِالْقَلِيلِ عَنِ الْكَثِيرِ .

بَعْضُهُمْ : إِنِّي لَأَكْرَهُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ مِقْدَارُ لِسَانِهِ ، فَاضِلًا عَنْ مِقْدَارِ عَقْلِهِ ، كَمَا أَكْرَهُ أَنْ

يَكُونَ مِقْدَارُ عَقْلِهِ ، فَاضِلًا عَنْ مِقْدَارِ لِسَانِهِ وَعِلْمِهِ .

يَكْفِي مِنْ حَظِّ الْبَلَاغَةِ ، أَلَا يُؤْتَى[1] السَّامِعُ مِنْ سُوءِ إِفْهَامِ النَّاطِقِ ، وَلَا يُؤْتَى النَّاطِقُ مِنْ سُوءِ فَهْمِ السَّامِعِ .

قِيلَ لِعَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : مَا بَلَّغَكَ الْجَنَّةَ ، وَعَدَلَ بِكَ عَنِ النَّارِ ، وَمَا بَصَّرَكَ بِمَوَاقِعِ رُشْدِكَ ، وَعَوَاقِبِ غَيِّكَ ، فَقَالَ السَّائِلُ « حَفْصُ بْنُ سَالِمٍ » : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ . فَقَالَ : مَنْ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْكُتَ ، لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْتَمِعَ ، وَمَنْ لَمْ يُحْسِنْ الِاسْتِمَاعَ ، لَمْ يُحْسِنِ الْقَوْلَ ؛ قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ . « قَالَ » : قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ

(١) يؤتى : يصاب

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ بَكَّاءُونَ[١] »
وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَنْ عَقْلِهِ .
فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ . قَالَ : كَانُوا
يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ ، وَمِنْ سَقَطَاتِ الْكَلَامِ ،
مَا لَا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ السُّكُوتِ ، وَمِنْ سَقَطَاتِ
الصَّمْتِ ، فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ . فَقَالَ :
فَكَأَنَّكَ إِنَّمَا تُرِيدُ تَخَيُّرَ اللَّفْظِ فِي حُسْنِ إِفْهَامٍ
« قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ » : إِنَّكَ « إِنْ أَرَدْتَ تَقْرِيرَ
حُجَّةِ اللهِ فِي عُقُولِ الْمُكَلَّفِينَ ، وَتَخْفِيفَ الْمُؤُونَةِ[٢]
عَنِ الْمُسْتَمِعِينَ ، وَتَزْيِينَ تِلْكَ الْمَعَانِي فِي قُلُوبِ
الْمُرِيدِينَ ، بِالْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسَنَةِ فِي الْآذَانِ ، الْمَقْبُولَةِ

(١) بكؤت العين : قل ماؤها : وألسنة بكاء : قل كلامها . وفينا معاشر الأنبياء بكاء : أى قلة كلام (٢) تخفيف المؤونة : تحمل المؤونة

عِنْدَ الْأَذْهَانِ ، رَغْبَةً فِي سُرْعَةِ اسْتِجَابَتِهِمْ ، وَنَفْيِ الشَّوَاغِلِ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ فَصْلَ الْخِطَابِ ، وَاسْتَوْجَبْتَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ جَزِيلَ الثَّوَابِ .

الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ : كُلُّ مَا أَدَّى إِلَى قَضَاءِ الْحَاجَةِ فَهُوَ بَلَاغَةٌ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ لِمَعْنَاكَ طِبْقًا ، وَلِتِلْكَ الْحَالِ وَفْقًا ، وَآخِرُ كَلَامِكَ لِأَوَّلِهِ مُشَابِهًا ، وَمَوْرِدُهُ لِمَصْدَرِهِ مُوَازِنًا ، فَافْعَلْ . وَقِيلَ لِلْخَلِيلِ ابْنِ أَحْمَدَ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : مَا قَرُبَ طَرَفَاهُ ، وَبَعُدَ مُنْتَهَاهُ ، وَاحْرِصْ أَنْ تَكُونَ لِكَلَامِكَ مُتَمِّمًا وَإِنْ ظَرُفَ ، وَلِنِظَامِكَ مُسْتَرِيبًا

وَإِنْ لَطُفَ ، بِمُوَاتَاةِ آلَتِكَ لَكَ ، وَتَصَرُّفِ إِرَادَتِكَ مَعَكَ ، فَافْعَلْ إِنْ شَاءَ اللهُ .

☆
☆ ☆

ختام الرسالة

وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ عَذْرَاءُ ، لِأَنَّهَا بِكْرُ مَعَانٍ ، لَمْ تَفْتَرِعْهَا بَلَاغَةُ النَّاطِقِينَ ، وَلَا لَمَسَتْهَا أَكُفُّ الْمُفَوَّهِينَ ، وَلَا غَاصَتْ عَلَيْهَا فِطَنُ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَلَا سَبَقَ إِلَى أَلْفَاظِهَا أَذْهَانُ النَّاطِقِينَ ؛ فَاجْعَلْهَا مِثَالًا بَيْنَ عَيْنَيْكَ ، وَمُصَوَّرَةً بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَمُسَامِرَةً لَكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، تَهْطِلْ عَلَيْكَ شَآبِيبَ مَنَافِعِهَا ، وَيُظِلُّكَ مِنْهَا بَرَكَاتُهَا ، وَتُورِدُكَ مَنَاهِلَ بَلَاغَتِهَا ، وَتَدُلُّ عَلَى مَهْيَعِ[1] رُشْدِهَا ، وَتُصْدِرُكَ[2] وَقَدْ نُقِعَ ظَمَؤُكَ بِيَنَابِيعِ بَحْرِ إِحْسَانِهَا ، إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ .

(١) المهيع : الطريق الواسع (٢) وتصدرك : تصرفك.

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

الخاتمة

وَالآنَ وَقَدْ وَفَّقَنَا اللّٰهُ إِلَى إِتْمَامِ الرِّسَالَةِ الْعَذْرَاءِ لِابْنِ الْمُدْبِرِ ، وَوَقَفْتَ مِنْهَا عَلَى وِجْهَاتِ نَظَرِ شُيُوخِ الْأَدَبِ ، وَاسْتَفَدْتَ مِنْهَا الْكَثِيرَ ، مِمَّا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ عُدَّةً فِيمَا أَنْتَ رَاغِبٌ فِيهِ حَقًّا ، مِنْ عَدَمِ حِرْمَانِكَ — وَأَنْتَ مَاضٍ فِي ثَقَافَتِكَ الْحَدِيثَةِ — مِنْ قِسْطٍ وَافِرٍ مِنَ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الصَّحِيحِ مَعْنًى وَمَبْنًى ، لَفْظًا وَرُوحًا ، سِيَاقًا وَأُسْلُوبًا ، سَلَاسَةً وَفَرَاهَةً — الْآنَ وَقَدْ

وَقَفْتَ عَلَى ذَلِكَ وَأَشْبَاهِهِ فَإِنَّكَ سَائِلُنِي لِمَاذَا تُصِرُّ عَلَى الشَّكْلِ وَالضَّبْطِ وَالتَّرْقِيمِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ ، وَقَدْ نَهَانَا عَنْ مِثْلِهِ ابْنُ الْمُدْبِرِ ، وَإِنِّي مَعَ فَارِطِ إِعْجَابِي بِيَقَظَتِكَ وَتَوَقُّدِكَ ، أُبَصِّرُكَ بِأَمْرٍ لَا إِخَالُكَ ذَا كِرَهُ وَمُقَدِّرَهُ : ذَلِكَ أَنَّ الْعَصْرَ غَيْرُ الْعَصْرِ ، وَالزَّمَانَ غَيْرُ الزَّمَانِ ، وَاللُّغَةَ غَيْرُ اللُّغَةِ ، وَحَاشَايَ أَنْ أَقُولَ لَكَ بَالِغًا إِنَّ لُغَةَ كُلِّ رُقْعَةٍ عَرَبِيَّةٍ فِي التَّقْسِيمِ الْجُغْرَافِيِّ ، لَيْسَتْ بِخَالِصَةِ اللِّسَانِ فِي الْأُسْلُوبِ الْعَرَبِيِّ ، وَهُنَاكَ أَمْرٌ حَرِيٌّ بِلَفْتَتِكَ : ذَلِكَ أَنَّ اللُّغَاتِ الْغَرْبِيَّةَ لَهَا حُرُوفٌ لِمُخْتَلِفِ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ وَالْمُخَفَّفَاتِ مِنْهَا وَالثَّقِيلَاتِ ، وَذَوَاتِ الْأَصْوَاتِ الْكَامِلَاتِ ، وَالْمَخْطُوفَاتِ .... وَنَحْنُ

سِيَّمَا فِي عَصْرِنَا وَجِيلِنَا وَزَمَانِنَا بِحَاجَةٍ إِلَى الْمُعْجَمِ مِنْ نَاحِيَةٍ ، وَإِلَى الشَّكْلِ مِنْ نَاحِيَةٍ ، وَإِلَى التَّرْقِيمِ مِنْ نَاحِيَةٍ ثَالِثَةٍ . . . « وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا » .

وَلْنَنْتَقِلْ بِكَ الْآنَ إِلَى مَقْرُوءَاتِنَا فِي ابْنِ قُتَيْبَةَ وَإِنَّا بِحَمْدِ اللهِ قَدِ اخْتَرْنَا لَكَ مَا يَتَّصِلُ وَالسِّيَاقَ وَالْغَايَةَ مِنْ تَفَهُّمِ الْأَدَبِ وَالْبَيَانِ وَبَلِيغِ الْأَقْوَالِ وَالْأَشْعَارِ وَالْعُهُودِ « الْأَمَانِ » وَمَا إِلَى ذَلِكَ ؛ مُبْتَهِلِينَ إِلَى اللهِ تَعَالَى حُسْنَ إِفَادَتِكَ : إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ .

البيان (١) حَدَّثَنِي عَبْدَةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ عَنْ قَيْسٍ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ عِمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً » فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ . وَأَقْصِرُوا الْخُطَبَ .

وَقَالَ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، فِيمَ الْجَمَالُ ؟ قَالَ : « فِي اللِّسَانِ » .

وَكَانَ يُقَالُ : عَقْلُ الرَّجُلِ مَدْفُونٌ تَحْتَ لِسَانِهِ .

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ : أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ عَقْلُ الرَّجُلِ عَلَى طَرَفِ لِسَانِهِ . يُرِيدُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ عَقْلُهُ إِلَّا فِي الْكَلَامِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

(١) راجع صفحة ١٦٨ من كتاب عيون الأخبار ج ٢

كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْباً أَنْ تَرَاهُ
لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ لِسَانُ

وَمَا حُسْنُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِزَيْنٍ
إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الْحُسْنَ الْبَيَانُ

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِرَجُلٍ : رَحِمَ اللهُ أَبَاكَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَقْرِي الْعَيْنَ جَمَالًا ، وَالْأُذُنَ بَيَانًا . وَقَالَ النَّمِرُ بْنُ تَوْلَبٍ :

أَعِذْنِي رَبِّ مِنْ حَصَرٍ وَعِيٍّ
وَمِنْ نَفْسٍ أُعَالِجُهَا عِلَاجَا

وَمِنْ حَاجَاتِ نَفْسِي فَاعْصِمَنِّي
فَإِنَّ لِمُضْمَرَاتِ النَّفْسِ حَاجَا

وَصَفَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ فَيُحْسِنُ ، فَقَالَ : يَضَعُ الْهِنَاءَ[١] مَوَاضِعَ النُّقَبِ[٢] .

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ : فُلَانٌ يُجِيدُ الْحَزَّ ، وَيُصِيبُ الْمِفْصَلَ ، وَرُبَّمَا قَالُوا : يُقِلُّ[٣] الْحَزَّ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا وَلَمْ يَقِفْ
لِعِيٍّ وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرِ[٤]
يُصَرِّفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى
وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ

---

(١) الهناء : القطران (٢) النقب جمع نقبة . وهى أول ما يبدو من الجرب . (٣) من الامثال التى تضرب فى البلاغة قولهم : فلان يقل الكلام ويصيب المعانى (٤) الهجر : الفحش من القول .

وَقَالَ حَسَّانُ فِيهِ :

إِذَا قَالَ لَمْ تَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ
بِمُلْتَقَطَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَصْلًا

شَفَى وَكَفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ
لِذِي إِرْبَةٍ فِي الْقَوْلِ جَدًّا وَلَا هَزْلَا

سَمَوْتَ إِلَى الْعَلْيَا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ
فَنِلْتَ ذُرَاهَا[1] لَا دَنِيًّا وَلَا وَغْلًا[2]

وَيُقَالُ : الصَّمْتُ مَنَامٌ وَالْكَلَامُ يَقَظَةٌ . وَيُقَالُ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا لَمْ يُحْتَجْ بَعْدَهُ إِلَى الْكَلَامِ .

ذَكَرَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحَسَنِ الطَّالِبِيُّ رَجُلًا فَقَالَ : أَلْفَاظُهُ قَوَالِبُ مَعَانِيهِ .

(١) الذروة : السنام ومن كل شيء أعلاه (٢) الوغل : الذل الضعيف

وَمَدَحَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : كَلَامُهُ الْوَبْلُ[١] عَلَى الْمَحْلِ[٢] ، وَالْعَذْبُ الْبَارِدُ عَلَى الظَّمَاءِ .

وَقَالَ الْحُطَيْئَةُ :

وَأَخَذْتُ أَقْطَارَ[٣] الْكَلَامِ فَلَمْ أَدَعْ

ذَمًّا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ

وَكَانَ الْحُطَيْئَةُ يَقُولُ : إِنَّمَا شِعْرِي حَسَبٌ مَوْضُوعٌ ، فَسَمِعَ ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ فَقَالَ : كَذَبَ ، تَرَّحَهُ[٤] اللهُ ، إِنَّمَا ذَلِكَ التَّقْوَى .

قِيلَ لِعَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : مَا بَلَّغَكَ الْجَنَّةَ ، وَعَدَلَ بِكَ عَنِ النَّارِ . قَالَ

---

(١) الوبل : المطر الشديد (٢) المحل : الجدب (٣) أقطار الكلام : نواحيه (٤) ترحه الله : أحزنه ونغصه

السَّائِلُ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ؛ قَالَ : فَمَا بَصَّرَكَ مَوَاقِعَ رُشْدِكَ ، وَعَوَاقِبَ غَيِّكَ[١] ؛ قَالَ السَّائِلُ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ؛ قَالَ : مَنْ لَمْ يُحْسِنْ الِاسْتِمَاعَ لَمْ يُحْسِنِ الْقَوْلَ ؛ قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ بِكَاءٌ[٢] »

وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ ؛ قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ؛ قَالَ : كَانُوا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ ، وَمِنْ سَقَطَاتِ الْكَلَامِ مَا لَا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ السُّكُوتِ . وَمِنْ سَقَطَاتِ الصَّمْتِ ؛ قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ؛ قَالَ : فَكَأَنَّكَ إِنَّمَا تُرِيدُ تَخَيُّرَ اللَّفْظِ ، فِي حُسْنِ إِفْهَامٍ . قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ :

(١) الغي : الضلال (٢) بكاء : جمع بكيء : وهو قليل الكلام

إِنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ تَقْرِيرَ حُجَّةِ اللهِ فِي عُقُولِ الْمُكَلَّفِينَ وَتَخْفِيفَ الْمَؤُونَةِ[1] عَلَى الْمُسْتَمِعِينَ ، وَتَزْيِينَ تِلْكَ الْمَعَانِي فِي قُلُوبِ الْمُرِيدِينَ ، بِالْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسَنَةِ فِي الْآذَانِ ، الْمَقْبُولَةِ عِنْدَ الْأَذْهَانِ ، رَغْبَةً فِي سُرْعَةِ اسْتِجَابَتِهِمْ ، وَنَفْيِ الشَّوَاغِلِ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ فَصْلَ الْخِطَابِ ، وَاسْتَوْجَبْتَ عَلَى اللهِ جَزِيلَ الثَّوَابِ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : مَا رَأَيْتُ زِيَاداً كَاسِراً إِحْدَى عَيْنَيْهِ ، وَاضِعاً إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ، يُخَاطِبُ رَجُلًا إِلَّا رَحِمْتُ الْمُخَاطَبَ . وَقَالَ آخَرُ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ فَيُحْسِنُ ، إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ يَصْمُتَ خَوْفًا

(١) المؤونة : العدة للأمر والقوت

مِنْ أَنْ يُسِيءَ إِلَّا زِيَادًا ، فَإِنَّهُ كُلَّمَا زَادَ ، زَادَ حُسْنًا ، وَقَالَ :

وَقَبْلَكَ مَا أَعْيَيْتُ كَاسِرَ عَيْنِهِ
زِيَادًا فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَيَّ حَبَائِلُهْ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَّامٍ : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا رَأَى رَجُلًا يُلَجْلِجُ[1] فِي كَلَامِهِ قَالَ : خَالِقُ هَذَا وَخَالِقُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَاحِدٌ !

وَتَكَلَّمَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ الْأَشْدَقِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَقَدْ رَجَوْتُ عَثْرَتَهُ[2] لَمَّا تَكَلَّمَ ، فَأَحْسَنَ حَتَّى خَشِيتُ عَثْرَتَهُ إِنْ سَكَتَ .

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : قَالَ مُعَاوِيَةُ لِصُحَارٍ الْعَبْدِيِّ :

(١) يلجلج فى الأمر : يتردد فيه (٢) عثرته : زلته

مَا هَذِهِ الْبَلاَغَةُ الَّتِي فِيكُمْ ؟ فَقَالَ : شَيْءٌ تَجِيشُ بِهِ صُدُورُنَا ، ثُمَّ نَقْذِفُهُ عَلَى أَلْسِنَتِنَا ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : هَؤُلاَءِ بِالْبُسْرِ[1] أَبْصَرُ ؛ فَقَالَ صُحَارٌ : أَجَلْ ، وَاللهِ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ الرِّيحَ تُلَقِّحُهُ ، وَأَنَّ الْبَرْدَ يُقْعِدُهُ ، وَأَنَّ الْقَمَرَ يَصْبُغُهُ ، وَأَنَّ الْحَرَّ يُنْضِجُهُ ؛ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : مَا تَعُدُّونَ الْبَلاَغَةَ فِيكُمْ ؟ فَقَالَ : الْإِيجَازُ ؛ قَالَ : وَمَا الْإِيجَازُ ؟ قَالَ : أَنْ تُجِيبَ فَلاَ تُبْطِئَ ، وَتَقُولَ فَلاَ تُخْطِئَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حُسْنُ الْإِيجَازِ أَلَّا تُبْطِئَ وَلَا تُخْطِئَ

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : وَفَدَ الْحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ عَلَى مُعَاوِيَةَ الشَّأْمَ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : إِنَّ الْحَسَنَ

---

(١) البسر : البلح قبل إنضاجه

رَجُلٌ أَفَهُّ[١] ، فَلَوْ حَمَلْتَهُ عَلَى الْمِنْبَرِ فَتَكَلَّمَ ، فَسَمِعَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِهِ عَابُوهُ ؛ فَأَمَرَهُ ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَتَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ ؛ وَكَانَ فِي كَلَامِهِ أَنْ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، لَوْ طَلَبْتُمُ ابْنًا لِنَبِيِّكُمْ مَا بَيْنَ جَابَرْسَ[٢] إِلَى جَابَلْقَ ، لَمْ تَجِدُوهُ غَيْرِي وَغَيْرَ أَخِي ، « وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ » . فَسَاءَ ذَلِكَ عَمْرًا وَأَرَادَ أَنْ يَقْطَعَ كَلَامَهُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، هَلْ تَنْعَتُ الرُّطَبَا ؟ فَقَالَ : أَجَلْ ، تُلَقِّحُهُ الشَّمَالُ ، وَتُخَرِّجُهُ الْجَنُوبُ ، وَيُنْضِجُهُ بَرْدُ اللَّيْلِ بِحَرِّ النَّهَارِ ؛ قَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، هَلْ تَنْعَتُ الْخِرَاءَةَ[٣] ؟ قَالَ :

---

(١) الافه العي فى المنطق (٢) جابرس : مدينة بأقصى المشرق : وجابلق : مدينة بأقصى المغرب (٣) الخراءة : التخلى والقعود لقضاء الحاجة

نَعَمْ ، تُبْعِدُ الْمَمْشَى فِي الْأَرْضِ الصَّحْصَحِ[1] ، حَتَّى تَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ ، وَلَا تَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرَهَا ، وَلَا تَسْتَنْجِيَ بِالرَّوْثَةِ وَلَا الْعَظْمِ ، وَلَا تَبُولَ فِي الْمَاءِ الرَّكِدِ ؛ وَأَخَذَ فِي كَلَامِهِ . . . .

وَكَانَ يُقَالُ : كُلُّ شَيْءٍ ثَنَيْتَهُ يَقْصُرُ مَا خَلَا الْكَلَامَ ، فَإِنَّكَ كُلَّمَا ثَنَيْتَهُ طَالَ . قَالَ الْحَسَنُ : الرِّجَالُ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ بِنَفْسِهِ ، وَرَجُلٌ بِلِسَانِهِ ، وَرَجُلٌ بِمَالِهِ .

تَكَلَّمَ صَعْصَعَةُ بْنُ صَوْحَانَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَعَرِقَ ؛ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : بَهَرَكَ[2] الْقَوْلُ ؟ فَقَالَ صَعْصَعَةُ :

---

(١) الصحصح : ما استوى من الارض واتسع

(٢) بهرك القول : غلبك

إِنَّ الْجِيَادَ نَضَّاحَةٌ بِالْمَاءِ . وَيُقَالُ : أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا سَابَقَ مَعْنَاهُ لَفْظَهُ .

وَفِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِيِّ : أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ ، اجْتِمَاعُ آلَةِ الْبَلَاغَةِ ؛ وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ رَابِطَ الْجَأْشِ[1] ، سَاكِنَ الْجَوَارِحِ ، قَلِيلَ اللَّحْظِ ، مُتَخَيِّراً لِلَّفْظِ ، لَا يُكَلِّمُ سَيِّدَ الْأُمَّةِ بِكَلَامِ الْأُمَّةِ ، وَلَا الْمُلُوكَ بِكَلَامِ السُّوقَةِ ، وَيَكُونَ فِي قُوَاهُ فَضْلٌ لِلتَّصَرُّفِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ ، وَلَا يُدَقِّقَ الْمَعَانِيَ كُلَّ التَّدْقِيقِ ، وَلَا يُلَقِّحَ الْأَلْفَاظَ كُلَّ التَّلْقِيحِ[2] ، وَلَا يُصَفِّيهَا كُلَّ التَّصْفِيَةِ (وَلَا يُهَذِّبَهَا غَايَةَ التَّهْذِيبِ ، وَلَا يَفْعَلَ ذَلِكَ حَتَّى يُصَادِفَ حَكِيماً أَوْ فَيْلَسُوفاً عَلِيماً) .

(١) الجأش : القلب . (٢) التلقيح : وضع طلع الذكور فى الاناث

وَيَكُونَ قَدْ تَعَوَّدَ حَذْفَ فُضُولِ الْكَلاَمِ ، وَإِسْقَاطَ مُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَاظِ ، قَدْ نَظَرَ فِي صِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ ، عَلَى جِهَةِ الصِّنَاعَةِ وَالْمُبَالَغَةِ ، لَا عَلَى جِهَةِ الِاعْتِرَاضِ وَالتَّصَفُّحِ .

وَنَحْوُ هَذَا قَوْلُ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبَرْمَكِيِّ وَقِيلَ لَهُ : مَا الْبَيَانُ ؟ فَقَالَ : أَنْ يَكُونَ الِاسْمُ يُحِيطُ بِمَعْنَاكَ ، وَيَحْكِي عَنْ مَغْزَاكَ ، وَتُخْرِجُهُ مِنَ الشَّرِكَةِ ، وَلَا تَسْتَعِينُ عَلَيْهِ بِالْفِكْرَةِ ، وَالَّذِي لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ ، أَنْ يَكُونَ سَلِيماً مِنَ التَّكَلُّفِ ، بَعِيداً مِنَ الصَّنْعَةِ ، بَرِيئاً مِنَ التَّعَقُّدِ ، غَنِيّاً عَنِ التَّأْوِيلِ .

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْبَلِيغُ مَنْ طَبَّقَ الْمَفْصِلَ ، وَأَغْنَاكَ عَنِ الْمُفَسِّرِ . قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : كَتَبَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى الْحَجَّاجِ يَشْكُو قِلَّةَ مَرْزِئَتِهِ(١) مِنَ الطَّعَامِ ، وَقِلَّةَ غِشْيَانِهِ النِّسَاءَ ، وَحَصَرَهُ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : اسْتَكْثِرْ مِنَ الْأَلْوَانِ لِتُصِيبَ مِنْ كُلِّ صَحْفَةٍ شَيْئًا ، وَاسْتَكْثِرْ مِنَ الطَّرُوقَةِ(٢) ، تَجِدْ بِذَلِكَ قُوَّةً عَلَى مَا تُرِيدُ ، وَأَنْزِلِ النَّاسَ مَنْزِلَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ وَخَاصَّتِكَ ، وَارْمِ بِبَصَرِكَ أَمَامَكَ ، تَبْلُغْ حَاجَتَكَ .

قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ :

إِنْ كَانَ فِي الْعِيِّ آفَاتٌ مُقَدَّرَةٌ
فَفِي الْبَلَاغَةِ آفَاتٌ تُسَاوِيهَا

(١) المرزئة من الطعام : الاصابة منه (٢) الطروقة : زوجة الفحل

تَكَلَّمَ رَجُلٌ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَهَذَرَ[1] ، فَلَمَّا أَطَالَ قَالَ : أَأَسْكُتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : وَهَلْ تَكَلَّمْتَ ؟ .

وَيُقَالُ أَعْيَا الْعِيِّ ، بَلاَغَةٌ بِعِيٍّ ، وَأَقْبَحُ اللَّحْنِ ، لَحْنٌ بِإِعْرَابٍ . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : الْحَظُّ لِلْمَرْءِ فِي أُذُنِهِ ، وَالْحَظُّ لِغَيْرِهِ فِي لِسَانِهِ . وَيُقَالُ : رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ دَعْنِي .

وَيُقَالُ : الصَّمْتُ أَبْلَغُ مِنْ عِيٍّ بِبَلاَغَةٍ .

وَنَحْوُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَرَى الصَّمْتَ أَدْنَى لِبَعْضِ الصَّوَابِ
وَبَعْضَ التَّكَلُّمِ أَدْنَى لِعِيِّ

(١) هذر فى كلامه : خلط وتكلم بما لا ينبغى

وَقَالَ جَعْفَرٌ الْبَرْمَكِيُّ : إِذَا كَانَ الْإِكْثارُ أَبْلَغَ ، كَانَ الْإِيجَازُ تَقْصِيراً ، وَإِذَا كَانَ الْإِيجَازُ كَافِياً ، كَانَ الْإِكْثارُ عِيًّا .

قَالَ ابْنُ السَّمَّاكِ : الْعَرَبُ تَقُولُ : الْعِيُّ النَّاطِقُ ، أَعْيَا مِنَ الْعِيِّ الصَّامِتِ .

قَالَ أَنُوشِرْوَانُ لِبُزُرْجُمِهْرَ : مَتَى يَكُونُ الْعِيُّ بَلِيغاً ؟ فَقَالَ : إِذَا وَصَفَ حَبِيباً .

قَالَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ : لَيْسَ لِعِيٍّ مَرُوءَةٌ ، وَلَا لِمَنْقُوصِ الْبَيَانِ بَهَاءٌ ، وَلَوْ بَلَغَ يَأْفُوخُهُ[1] أَعْنَانَ[2] السَّمَاءِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ .

---

(١) اليأفوخ : هو الموضع الذى يلتقى فيه عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره (٢) أعنان السماء : نواحيها

عَجِبْتُ لِإِدْلَالِ الْعَيِّ بِنَفْسِهِ
وَصَمْتِ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْحَقِّ أَعْلَمَا
وَفِي الصَّمْتِ سَتْرٌ لِلْعَيِّ وَإِنَّمَا
صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَا

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ : مَوْطِنَانِ لَا أَسْتَحْيِي مِنَ الْعِيِّ فِيهِمَا : إِذَا أَنَا خَاطَبْتُ جَاهِلًا ، وَإِذَا أَنَا سَأَلْتُ حَاجَةً لِنَفْسِي .

ذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا يَعْيَا فَقَالَ : رَأَيْتُ عَوْرَاتِ النَّاسِ بَيْنَ أَرْجُلِهِمْ ، وَعَوْرَةَ فُلَانٍ بَيْنَ فَكَّيْهِ .

وَعَابَ آخَرُ رَجُلًا فَقَالَ : ذَاكَ مِنْ يَتَامَى الْمَجْلِسِ أَبْلَغُ مَا يَكُونُ فِي نَفْسِهِ أَعْيَى مَا يَكُونُ عِنْدَ جُلَسَائِهِ .

قَالَ رَبِيعَةُ الرَّأْيِ : السَّاكِتُ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْأَخْرَسِ .

تَذَاكَرَ قَوْمٌ فَضْلَ الْكَلَامِ عَلَى الصَّمْتِ ، وَفَضْلَ الصَّمْتِ عَلَى الْكَلَامِ ، فَقَالَ أَبُو مُسْهِرٍ : كَلَّا ! إِنَّ النَّجْمَ لَيْسَ كَالْقَمَرِ ، إِنَّكَ تَصِفُ الصَّمْتَ بِالْكَلَامِ ، وَلَا تَصِفُ الْكَلَامَ بِالصَّمْتِ .

وَذَمَّ قَوْمٌ فِي مَجْلِسِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكَلَامَ فَقَالَ سُلَيْمَانُ : اللَّهُمَّ غَفْراً ، إِنَّ مَنْ تَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ ، قَدَرَ أَنْ يَصْمُتَ فَيُحْسِنَ ، وَلَيْسَ مَنْ صَمَتَ فَأَحْسَنَ ، قَادِراً عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ فَيُحْسِنَ .

قَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ : طُولُ الصَّمْتِ حُبْسَةٌ[1] وَنَحْوُهُ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : تَرْكُ الْحَرَكَةِ عُقْلَةٌ .

وَكَانَ نَوْفَلُ بْنُ مُسَاحِقٍ ، إِذَا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ

---

(١) الحبسة : تعذر الكلام عند إرادته

صَمَتَ ، وَإِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا تَكَلَّمَ ؛ فَقَالَتْ لَهُ : أَمَّا عِنْدِى فَتُطْرِقُ ، وَأَمَّا عِنْدَ النَّاسِ فَتَنْطِقُ ، فَقَالَ : أَدِقُّ[1] عَنْ جَلِيلِكِ ، وَتَجِلِّينَ عَنْ دَقِيقِ .

وَفِى حِكْمَةِ لُقْمَانَ : — يَا بُنَيَّ — قَدْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ ، وَلَمْ أَنْدَمْ عَلَى السُّكُوتِ .

قَالَ ٱبْنُ اسْحَاقَ : النَّسْنَاسُ خَلْقٌ بِالْيَمَنِ ، لِأَحَدِهِمْ عَيْنٌ وَيَدٌ وَرِجْلٌ يَقْفِزُ بِهَا ، وَأَهْلُ الْيَمَنِ يَصْطَادُونَهُمْ ، فَخَرَجَ قَوْمٌ فِى صَيْدِهِمْ ، فَرَأَوْا ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْهُمْ ، فَأَدْرَكُوا وَاحِداً فَعَقَرُوهُ وَذَبَحُوهُ ، وَتَوَارَى اثْنَانِ فِى الشَّجَرِ . فَقَالَ الَّذِى ذَبَحَهُ : إِنَّهُ لَسَمِينٌ ، فَقَالَ أَحَدُ الْاِثْنَيْنِ : إِنَّهُ أَكَلَ ضِرْوًا[2] فَأَخَذُوهُ فَذَبَحُوهُ

(١) أدق عن جليلك : أمتنع عن كلامك . وتجلين : تمتنعين عن كلامى
(٢) الضرو : حبة الخضراء

فَقَالَ الَّذِى ذَبَحَهُ : مَا أَنْفَعَ الصَّمْتَ ؟ قَالَ الثَّالِثُ : فَهَأَنَا الصِّمِّيتُ ، فَأَخَذُوهُ وَذَبَحُوهُ .

كَانَ يُقَالُ : إِذَا فَاتَكَ الْأَدَبُ ، فَالْزَمِ الصَّمْتَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا يَجْتَرِئُ عَلَى الْكَلَامِ إِلَّا فَائِقٌ(١) أَوْ مَائِقٌ(٢) .

وَقَالَ الشَّاعِرُ يَمْدَحُ رَجُلًا :

صَمُوتٌ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيَّنَ أَهْلَهُ

وَفَتَّاقُ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْمُخَتَّمِ

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : أَنْصِفْ أُذُنَيْكَ مِنْ فِيكَ ، فَإِنَّمَا جُعِلَ لَكَ أُذُنَانِ (اثْنَتَانِ) وَفَمٌ وَاحِدٌ ، لِتَسْمَعَ أَكْثَرَ مِمَّا تَقُول .

---

(١) الفائق : الأديب العالم . (٢) المائق : الهالك حمقاً وغباوة

حَضَرَ قُشَيْرِىٌّ مَجْلِسًا مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ فَأَطَالَ الصَّمْتَ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : بِحَقِّ سُمِّيتُمْ خُرْسَ الْعَرَبِ ؛ فَقَالَ الْقُشَيْرِىُّ : يَا أَخِى ، إِنَّ حَظَّ الرَّجُلِ فِى أُذُنِهِ لِنَفْسِهِ ، وَحَظَّهُ فِى لِسَانِهِ لِغَيْرِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَكْثِرِ الصَّمْتَ مَا لَمْ تَكُنْ مَسْئُولاً ، فَإِنَّ فَوْتَ الصَّوَابِ أَيْسَرُ مِنْ خَطَلِ[1] الْقَوْلِ ؛ وَإِذَا نَازَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى مَرَاتِبِ الْقَائِلِينَ الْمُصِيبِينَ ، فَاذْكُرْ مَا دُونَ الصَّوَابِ مِنْ وَجَلِ الْخَطَإِ ، وَفَضَائِحِ الْمُقَصِّرِينَ .

تَكَلَّمَ رَجُلٌ فِى مَجْلِسِ الْهَيْثَمِ بْنِ صَالِحٍ بِخَطَإٍ ، فَقَالَ لَهُ الْهَيْثَمُ : يَا هَذَا ، بِكَلَامِ مِثْلِكَ رُزِقَ

(١) الخطل من الكلام : ما ليس صوابا

أَهْلُ الصَّمْتِ الْمَحَبَّةَ ، وَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ :

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرَامِ وَامْضِ عَنْهُ بِسَلَامِ
مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْـــرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إِنَّمَا السَّالِمُ مَنْ أَلْـــجَمَ فَاهُ بِلِجَـــامِ

وَقَالَ آخَرُ :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيرَا

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا صَاحِبٌ لَنَا عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ ، أَنَّهُ قَالَ : « لَوْ كَانَتِ الصُّحُفُ مِنْ عِنْدِنَا لَأَقْلَلْنَا الْكَلَامَ »

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : إِذَا تَظَرَّفَ الْعَرَبِيُّ كَثُرَ كَلَامُهُ ، وَإِذَا تَظَرَّفَ الْفَارِسِيُّ كَثُرَ سُكُوتُهُ .

قَالَ حَاتِمُ طَيِّءٍ : إِذَا كَانَ الشَّيْءُ يَكْفِيكَهُ التَّرْكُ . فَاتْرُكْهُ .

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ لِابْنِهِ : اسْتَعِنْ عَلَى الْكَلاَمِ بِطُولِ الْفِكْرِ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَدْعُوكَ فِيهَا نَفْسُكَ إِلَى الْقَوْلِ ، فَإِنَّ لِلْقَوْلِ سَاعَاتٍ يَضُرُّ فِيهَا الْخَطَأُ ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا الصَّوَابُ .

وَقَالَ إِيَاسُ بْنُ قَتَادَةَ :

تُعَاقِبُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا
وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ

تَكَلَّمَ ابْنُ السَّمَّاكِ يَوْمًا ، وَجَارِيَةٌ لَهُ تَسْمَعُ كَلاَمَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهَا قَالَ : كَيْفَ رَأَيْتِ كَلاَمِي ؟ قَالَتْ : مَا أَحْسَنَهُ لَوْلاَ أَنَّكَ تُكْثِرُ تَرْدَادَهُ ؟

قَالَ : أُرَدِّدُهُ حَتَّى يَفْهَمَهُ مَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ ؛ قالَتْ : إِلَى أَنْ يَفْهَمَهُ مَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ ، قَدْ مَلَّهُ[1] مَنْ فَهِمَهُ !

قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ : مَنْ كَانَ مَنْطِقُهُ فِي غَيْرِ ذِكْرٍ فَقَدْ لَغَا ، وَمَنْ كَانَ نَظَرُهُ فِي غَيْرِ اعْتِبَارٍ فَقَدْ سَهَا ، وَمَنْ كَانَ صَمْتُهُ فِي غَيْرِ ذِكْرٍ فَقَدْ لَهَا .

كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ زُفَرَ ، لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا حَتَّى تَنْبَسِطَ الشَّمْسُ ، فَإِذَا انْفَتَلَ عَنْ صَلَاتِهِ ، ضَرَبَ الْأَعْنَاقَ وَقَطَعَ الْأَيْدِيَ وَالْأَرْجُلَ . وَكَانَ جَرِيرٌ لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى تَبْزُغَ[2] الشَّمْسُ ، فَإِذَا بَزَغَتْ ، قَذَفَ الْمُحْصَنَاتِ . قَالَ قَتَادَةُ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ ، لَا يُعَادُ الْحَدِيثُ مَرَّتَيْنِ . قَالَ : الزُّهْرِيُّ : إِعَادَةُ الْحَدِيثِ أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ الصَّخْرِ .

(١) مله : سئمه (٢) تبزغ : تطلع

وَفِي كُتُبِ الْعَجَمِ ، أَنَّ أَرْبَعَةً مِنَ الْمُلُوكِ اجْتَمَعُوا ، فَقَالُوا كُلُّهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً ، كَأَنَّهَا رَمْيَةٌ بِسَهْمٍ : مَلِكُ فَارِسَ ، وَمَلِكُ الْهِنْدِ ، وَمَلِكُ الرُّومِ ، وَمَلِكُ الصِّينِ .

قَالَ أَحَدُهُمْ : إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتْنِي وَلَمْ أَمْلِكْهَا ، وَقَالَ آخَرُ :

قَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا قُلْتُ ، وَلَمْ أَنْدَمْ عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ . وَقَالَ آخَرُ : أَنَا عَلَى رَدِّ مَا لَمْ أَقُلْ ، أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ . وَقَالَ آخَرُ : مَا حَاجَتِي إِلَى أَنْ أَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ ، إِنْ وَقَعَتْ عَلَيَّ ضَرَّتْنِي ، وَإِنْ لَمْ تَقَعْ عَلَيَّ لَمْ تَنْفَعْنِي .

قَالَ زُبَيْدٌ الْيَامِيُّ : أَسْكَتَتْنِي كَلِمَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ

عِشْرِينَ سَنَةً ؛ مَنْ كَانَ كَلَامُهُ لَا يُوَافِقُ فِعْلَهُ ، فَإِنَّمَا يُوَبِّخُ نَفْسَهُ .

« وَفِي كِتَابِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ » : ثَلَاثَةٌ يُؤْمَرُونَ بِالسُّكُوتِ ، الرَّاقِي فِي جَبَلٍ طَوِيلٍ ، وَآكِلُ السَّمَكِ ، وَالْمُرَوِّي فِي الْأَمْرِ الْجَسِيمِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ :

قَدْ أَفْلَحَ السَّالِمُ الصَّمُوتُ
كَلَامُ وَاعِي الْكَلَامِ قُوتُ
مَا كُلُّ نُطْقٍ لَهُ جَوَابٌ
جَوَابُ مَا يُكْرَهُ السُّكُوتُ
يَا عَجَبًا لِامْرِئٍ ظَلُومٍ
مُسْتَيْقِنٍ أَنَّهُ يَمُوتُ

بَلَغَنِي عَنِ ابْنِ أُسَامَةَ عَنِ ابْنِ عَوْنٍ عَنِ الْحَسَنِ

قَالَ : جَلَسُوا عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَتَكَلَّمُوا ، وَصَمَتَ الْأَحْنَفُ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : يَا أَبَا بَحْرٍ ، مَا بَالُكَ لَا تَتَكَلَّمُ ؟ قَالَ : أَخَافُكُمْ إِنْ صَدَقْتُكُمْ ، وَأَخَافُ اللهَ إِنْ كَذَبْتُ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ ، حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ قَالَ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْحَكَمِ مَرْوَانُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ ، عَنْ مُوسَى عَنْ أَبِي دِرْهَمٍ ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « كَفَى بِكَ ظَالِمًا أَلَّا تَزَالَ مُخَاصِمًا ، وَكَفَى بِكَ آثِمًا أَلَّا تَزَالَ مُمَارِيًا ، وَكَفَى بِكَ كَاذِبًا ، أَلَّا تَزَالَ مُحَدِّثًا بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى . »

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ
وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ

فَعَثَرْتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ

وَعَثَرْتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرَا عَلَى مَهْلِ

سُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ عَنِ الْبَلَاغَةِ ، فَقَالَ : مَنْ أَخَذَ مَعَانِيَ كَثِيرَةً ، فَأَدَّاهَا بِأَلْفَاظٍ قَلِيلَةٍ ، أَوْ أَخَذَ مَعَانِيَ قَلِيلَةً ، فَوَلَّدَ فِيهَا أَلْفَاظًا كَثِيرَةً .

بَلَغَنِي عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ قَالَ : كَانَ إِبْرَهِيمُ يُطِيلُ السُّكُوتَ ، فَإِذَا تَكَلَّمَ انْبَسَطَ ، فَقُلْتُ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ : لَوْ تَكَلَّمْتَ ؟ فَقَالَ : الْكَلَامُ عَلَى أَرْبَعَةِ وُجُوهٍ : فَمِنْهُ كَلَامٌ تَرْجُو مَنْفَعَتَهُ ، وَتَخْشَى عَاقِبَتَهُ ، فَالْفَضْلُ مِنْهُ السَّلَامَةُ . وَمِنْهُ كَلَامٌ لَا تَرْجُو مَنْفَعَتَهُ ، وَلَا تَخْشَى عَاقِبَتَهُ ، فَأَقَلُّ مَا لَكَ فِي تَرْكِهِ ، خِفَّةُ الْمَئُونَةِ عَلَى بَدَنِكَ وَلِسَانِكَ ، وَمِنْهُ

كَلَامٌ لَا تَرْجُو مَنْفَعَتَهُ ، وَتَخْشَى عَاقِبَتَهُ ، وَهَذَا هُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ ؛ وَمِنَ الْكَلَامِ كَلَامٌ تَرْجُو مَنْفَعَتَهُ ، وَتَأْمَنُ عَاقِبَتَهُ ، فَهَذَا الَّذِى يَجِبُ عَلَيْكَ نَشْرُهُ ؛ قَالَ : فَإِذَا هُوَ قَدْ أَسْقَطَ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْكَلَامِ .

الاستدلال بالعين والاشارة والنصبة

يُقَالُ : رُبَّ طَرْفٍ أَفْصَحُ مِنْ لِسَانٍ . قَالَ أَعْرَابِيٌّ :

إِنْ كَاتَمُونَا الْقِلَى نَمَّتْ عُيُونُهُمُ
وَالْعَيْنُ تُظْهِرُ مَا فِى الْقَلْبِ أَوْ تَصِفُ

وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا قُلُوبٌ أَظْهَرَتْ غَيْرَ مَا
تُضْمِرُهُ أَنْبَتْكَ عَنْهَا الْعُيُونُ

وَقَالَ آخَرُ :

أَمَا تُبْصِرُ فِى عَيْنَىَّ عُنْوَانَ الَّذِى أُبْدِى

وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

نَعَمْ هَاجَتِ الْأَطْلَالُ شَوْقًا كَفَى بِهِ
مِنَ الشَّوْقِ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ ظَاهِرِ
فَمَا زِلْتُ أَطْوِى النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّهَا
بِذِى الرِّمْثِ(١) لَمْ تَخْطُرْ عَلَى بَالِ ذَاكِرِ
حَيَاءً وَإِشْفَاقًا مِنَ الرَّكْبِ أَنْ يَرَوْا
دَلِيلًا عَلَى مُسْتَوْدَعَاتِ الضَّمَائِرِ

وَقَالَ الْحَارِثِىُّ يَذْكُرُ مَيْتًا :

أَتَيْنَاهُ زُوَّارًا فَأَمْجَدَنَا(٢) قِرًى
مِنَ الْبَثِّ(٣) وَالدَّاءِ الدَّخِيلِ الْمُخَامِرِ
وَأَوْسَعَنَا عِلْمًا بِرَدِّ جَوَابِنَا
فَأَعْجِبْ بِهِ مِنْ نَاطِقٍ لَمْ يُحَاوِرِ

(١) اسم واد لبنى أسد (٢) أمجدنا : أشبعنا (٣) البث : الغم والحزن . وقيل أشده

ومِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْقَائِلِ : سَلِ الْأَرْضَ فَقُلْ لَهَا ، مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكِ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكِ ، وَجَنَى ثِمَارَكِ ، فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَاراً ، أَجَابَتْكَ اعْتِبَاراً .

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَايِيسٌ وَأَشْبَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَاشَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ غِنًى لِلْعَيْنِ أَنْ تَنْطِقَ أَفْوَاهُ

الشعر يُقَالُ : خَيْرُ الشِّعْرِ مَا رَوَّاكَ نَفْسَهُ . وَيُقَالُ : خَيْرُ الشِّعْرِ الْحَوْلِيُّ ، الْمُنَقَّحُ الْمُحَكَّكُ . سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا يُنْشِدُ شِعْراً لِنَفْسِهِ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى ؟

قَالَ : سُكَّرٌ لَا حَلَاوَةَ لَهُ . قِيلَ لِبَعْضِ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ : أَرَأَيْتَ الشَّاعِرَيْنِ يَجْتَمِعَانِ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ ، فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ ؟ . فَقَالَ : عُقُولُ رِجَالٍ تَوَافَتْ[1] عَلَى أَلْسِنَتِهَا .

قَالَ بَشَّارٌ يَصِفُ نَفْسَهُ :

زَوْرٌ[2] مُلُوكٍ عَلَيْـــهِ أُبَّهَةٌ
يُعْرَفُ مِنْ شِعْرِهِ وَمِنْ خُطَبِهْ
لِلّٰهِ مَا رَاحَ فِي جَـــوَانِحِهِ
مِنْ لُؤْلُؤٍ لَا يُنَامُ عَنْ طَلَبِهْ
يَخْرُجْنَ مِنْ فِيهِ فِي النَّدِيِّ كَمَا
يَخْرُجُ ضَوْءُ السِّرَاجِ مِنْ لَهَبِهْ

(١) توافت : اجتمعت (٢) الزوْر : الزائر

تَرْنُو إِلَيْـــهِ الْحُدَّاثُ غَادِيَةً
وَلَا تَمَلُّ الْحَدِيثَ مِنْ عَجَبِهْ
تِلْعَابَةٌ(١) تَعْكُفُ الْمُلُوكُ بِهِ
تَأْخُذُ مِنْ جِدِّهِ وَمِنْ لَعِبِهْ
يَزْدَحِمُ النَّاسُ كُلَّ شَارِقَةٍ
بِبَابِهِ مُسْرِعِـــينَ فِي أَدَبِهْ

وَقَالَ الطَّائِيُّ يَذْكُرُ الشِّعْرَ :

إِنَّ الْقَوَافِيَ وَالْمَسَاعِيَ لَمْ تَزَلْ
مِثْلَ النِّظَامِ إِذَا أَصَابَ فَرِيداً
هِيَ جَوْهَرٌ نَثْرٌ فَإِنْ أَلَّفْتَهُ
بِالشِّعْرِ صَارَ قَلَائِداً وَعُقُوداً

(١) رجل تِلعابة : كثير المزْح والمداعبة

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتِ الْعَرَبُ الْأُلَى
يَدْعُونَ هَـذَا سُؤْدُداً مَجْدُودَا
وَتَنِدُّ عِنْدَهُمُ الْعُلَى إِلَّا عُـلَا
جُعِلَتْ لَهَا مِرَرُ[1] الْقَرِيضِ قُيُودَا

وَقَالَ أَيْضًا :

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ تُدْعَى حُقُوقُهُ
مَغَارِمَ فِي الْأَقْوَامِ وَهِيَ مَغَانِمُ
وَإِنَّ الْعُلَا مَا لَمْ تَرَ الشِّعْرَ بَيْنَهَا
لَكَالْأَرْضِ غُفْلاً[2] لَيْسَ فِيهَا مَعَالِمُ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْقَوْلُ يَسْرِي فَيَغْتَدِي
لَهُ غُرَرٌ فِي أَوْجُهٍ وَمَوَاسِمُ

(١) مِرَر : جمع مرة : وهى طاقة الحبل والمراد القريض المحكم
(٢) الغُفل من الأرض ما لا علامة فيه

يُرَى حِكْمَةً مَا فِيهِ وَهُوَ فُكَاهَةٌ

وَيُقْضَى بِمَا يَقْضِي بِهِ وَهُوَ ظَالِمُ

وَلَوْلَا خِلَالٌ سَنَّهَا الشِّعْرُ مَا دَرَى

بُغَاةُ الْعُلَا مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ لَجَإٍ لِبَعْضِ الشُّعَرَاءِ : أَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ ؛ قَالَ : وَلِمَ ذَاكَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَقُولُ الْبَيْتَ وَأَخَاهُ ، وَلِأَنَّكَ تَقُولُ الْبَيْتَ وَابْنَ عَمِّهِ . قِيلَ لِعَقِيلِ بْنِ عُلَّفَةَ : أَلَا تُطِيلُ الْهِجَاءَ ؟ فَقَالَ : يَكْفِيكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : خَيْرُ الشِّعْرِ الْمُطْمِعُ .

قِيلَ لِكُثَيِّرٍ : يَا أَبَا صَخْرٍ ، كَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا عَسُرَ عَلَيْكَ قَوْلُ الشِّعْرِ ؟ قَالَ : أَطُوفُ بِالرِّبَاعِ

الْمُخْلِيَةِ[١] ، وَالرِّيَاضِ الْمُعْشِبَةِ ، فَيَسْهُلُ عَلَيَّ أَرْصَنُهُ[٢] ، وَيُسْرِعُ إِلَيَّ أَحْسَنُهُ .

وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَمْ يُسْتَدْعَ شَارِدُ الشِّعْرِ بِمِثْلِ الْمَاءِ الْجَارِي ، وَالشَّرَفِ الْعَالِي ، وَالْمَكَانِ الْخَضِرِ الْخَالِي[٣] أَوِ الْحَالِي .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِأَرْطَاةَ بْنِ سُهَيَّةَ : هَلْ تَقُولُ الْآنَ شِعْرًا ؟ قَالَ : مَا أَشْرَبُ ، وَلَا أَطْرَبُ ، وَلَا أَغْضَبُ ؛ وَإِنَّمَا يَكُونُ الشِّعْرُ بِوَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ .

وَقِيلَ لِكُثَيِّرٍ : مَا بَقِيَ مِنْ شِعْرِكَ ؟ فَقَالَ : مَاتَتْ عَزَّةُ فَمَا أَطْرَبُ ، وَذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا

(١) المخلية : الخالية من السكان (٢) الأرصن من الشعر الجيد
(٣) الخالى : هو الخالى من الضوضاء

أَعْجَبُ ، وَمَاتَ ابْنُ لَيْلَى فَمَا أَرْغَبُ — يَعْنِي عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ مَرْوَانَ — وَإِنَّمَا الشِّعْرُ بِهَذِهِ الْخِلَالِ .

وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : امْرُؤُ الْقَيْسِ إِذَا رَكِبَ ، وَالنَّابِغَةُ إِذَا رَهِبَ ، وَزُهَيْرٌ إِذَا رَغِبَ ، وَالْأَعْشَى إِذَا طَرِبَ .

وَقِيلَ لِلْعَجَّاجِ : إِنَّكَ لَا تُحْسِنُ الْهِجَاءَ ، فَقَالَ : إِنَّ لَنَا أَحْلَاماً تَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ نَظْلِمَ ، وَأَحْسَاباً تَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ نُظْلَمَ ، وَهَلْ رَأَيْتَ بَانِياً لَا يُحْسِنُ أَنْ يَهْدِمَ !

وَقُلْتُ فِي وَصْفِ الشِّعْرِ . الشِّعْرُ مَعْدِنُ عِلْمِ الْعَرَبِ ، وَسِفْرُ حِكْمَتِهَا ، وَدِيوَانُ أَخْبَارِهَا ، وَمُسْتَوْدَعُ أَيَّامِهَا ، وَالسُّورُ الْمَضْرُوبُ عَلَى مَآثِرِهَا ، وَالْخَنْدَقُ الْمَحْجُوزُ عَلَى مَفَاخِرِهَا ، وَالشَّاهِدُ الْعَدْلُ يَوْمَ النِّفَارِ ،

وَالْحُجَّةُ الْقَاطِعَةُ عِنْدَ الْخِصَامِ ، وَمَنْ لَمْ يَقُمْ عِنْدَهُمْ عَلَى شَرَفِهِ ، وَمَا يَدَّعِيهِ لِسَلَفِهِ مِنَ الْمَنَاقِبِ الْكَرِيمَةِ وَالْفَعَالِ الْحَمِيدِ بَيْتٌ مِنْهُ ، شَذَّتْ مَسَاعِيهِ وَإِنْ كَانَتْ مَشْهُورَةً ، وَدَرَسَتْ عَلَى مُرُورِ الْأَيَّامِ وَإِنْ كَانَتْ جِسَامًا ؛ وَمَنْ قَيَّدَهَا بِقَوَافِي الشِّعْرِ ، وَأَوْثَقَهَا بِأَوْزَانِهِ ، وَأَشْهَرَهَا بِالْبَيْتِ النَّادِرِ ، وَالْمَثَلِ السَّائِرِ ، وَالْمَعْنَى اللَّطِيفِ ، أَخْلَدَهَا عَلَى الدَّهْرِ ، وَأَخْلَصَهَا مِنَ الْجَحْدِ وَرَفَعَ عَنْهَا كَيْدَ الْعَدُوِّ ، وَغَضَّ عَيْنَ الْحَسُودِ .

وَمَا جَاءَ فِي الشِّعْرِ كَثِيرٌ . وَقَدْ أَفْرَدْتُ لِلشُّعَرَاءِ كِتَابًا ، وَلِلشِّعْرِ بَابًا طَوِيلًا فِي كِتَابِ الْعَرَبِ ، وَذَكَرْتُ هَذِهِ النُّتْفَةَ فِي هَذَا الْكِتَابِ كَرَاهِيَةَ أَنْ أُخْلِيَهُ مِنْ فَنٍّ مِنَ الْفُنُونِ .

☆
☆ ☆

حسن التشبيه فى الشعر

مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الزَّبِيرِ الْأَسَدِيِّ فِي الثُّرَيَّا :

وَقَدْ لَاحَ فِي الْغَوْرِ الثُّرَيَّا كَأَنَّمَا
بِهِ رَايَةٌ بَيْضَاءُ تَخْفِقُ لِلطَّعْنِ

شَبَّهَ الثُّرَيَّا حِينَ تَدَلَّتْ لِلْمَغِيبِ بِرَايَةٍ بَيْضَاءَ خَفَقَتْ لِلطَّعْنِ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَنْتَرَةَ فِي الذُّبَابِ :

وَخَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ
هَزِجًا(١) كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ
غَرِدًا(٢) يَحُكُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ
فِعْلَ الْمُكِبِّ(٣) عَلَى الزِّنَادِ الْأَجْذَمِ(٤)

شَبَّهَ حَكَّهُ يَدَهُ بِيَدِهِ ، بِرَجُلٍ مَقْطُوعِ الْكَفَّيْنِ يَقْدَحُ النَّارَ بِعُودَيْنِ .

(١) هَزِجا : مصوتاً (٢) غَرِداً : من غرد الطائر إذا رفع صوته فى غنائه وطرّب (٣) المكب : المقبل على الشىء (٤) الأجذم : المقطوع اليد صفة للمكب

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِ أَعْرَابِيٍّ فِي الْعِنَبِ :

يَحْمِلْنَ أَوْعِيَةَ السُّلَافِ كَأَنَّمَا
يَحْمِلْنَهَا بِأَكَارِعِ النِّغْرَانِ

أَوْعِيَةُ السُّلَافِ : الْعِنَبُ ، جَعَلَهُ ظَرْفًا لِلْخَمْرِ وَشَبَّهَ شُعَبَ الْعَنَاقِيدِ الَّتِي تَحْمِلُ الْحَبَّ بِأَرْجُلِ النِّغْرَانِ. وَالنِّغْرُ طَائِرٌ مِثْلُ الْعُصْفُورِ أَحْمَرُ الْمِنْقَارِ

وَقَالَ الْآخَرُ ، وَكَانَ غَشِيَ عَيْنَيْهِ بَيَاضٌ ، أَوْ نَزَلَ فِيهِمَا مَاءٌ :

يَقُولُونَ مَاءٌ طَيِّبٌ خَانَ عَيْنَهُ
وَمَا مَاءُ سُوءٍ خَانَ عَيْنِي بِطَيِّبِ
وَلَكِنَّهُ أَزْمَانَ أَنْظُرُ طَيِّبٌ
بِعَيْنَيْ غُدَافِيٍّ(١) عَلَا فَوْقَ مَرْقَبِ

(١) الغدافى : الشديد السواد . نسبة إلى الغداف : وهو الغراب

كَأَنَّ ابْنَ حَجْلٍ مَدَّ فَضْلَ جَنَاحِهِ

عَلَى مَاءِ إِنْسَانَيْهِمَا الْمُتَغَيِّبِ

شَبَّهَ مَا عَلَا الْحَدَقَةَ ، بِجَنَاحِ فَرْخٍ مِنْ فِرَاخِ الزَّنَابِيرِ ، قَدْ مُدَّ عَلَى نَاظِرِهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ وَذَكَرَ الْعُقَابَ :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِسًا

لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَّابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

شَبَّهَ الرَّطْبَ بِالْعُنَّابِ(١) ، وَالْيَابِسَ بِالْحَشَفِ(٢) .

وَشَبَّهَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ فِي بَيْتٍ .

---

(١) العناب : شجر معروف حبه كحب الزيتون (٢) الحشف : ما يبس من التمر ولم يكن له طعم ولا نوى .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَوْسِ بْنِ حَجَرٍ . وَذَكَرَ السَّيْفَ:

كَأَنَّ مَدَبَّ النَّمْلِ يَلْتَمِسُ الرُّبَا

وَمَدْرَجَ ذَرٍّ خَافَ بَرْدًا فَأَسْهَلَا

شَبَّهَ فِرِنْدَ[١] السَّيْفِ بِمَدْرَجِ الذَّرِّ[٢] وَمَدَبِّ النَّمْلِ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي نُوَاسَ فِي الْبَازِي :

وَمَنْسِرٍ أَكْلَفُ فِيهِ شَغَا[٣]

كَأَنَّهُ عَقْدُ ثَمَانِينَا[٤]

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَعْرَابِيٍّ فِي امْرَأَةٍ .

قَامَتْ تَصَدَّى لَهُ عَمْدًا لِتَقْتُلَهُ

فَلَمْ يَرَ النَّاسُ وَجْدًا مِثْلَ مَا وَجَدَا

---

(١) فرند السيف : جوهره ووشيه (٢) الذر : صغار النمل
(٣) الشغا : زيادة فى المنقار الأعلى على الأسفل مع تعقف وانعطاف
(٤) الثمانين : أن يجعل رأس السبابة على ظفر الابهام

بِجِيـــدِ آدَمَ لَمْ تُعْقَدْ قَلَائِدُهُ

وَنَاهِدٍ مِثْلِ قَلْبِ الظَّبْيِ مَا نَهَدَا

فَظَلَّ كَالْحَائِمِ[1] الْهَيْمَانِ لَيْسَ لَهُ

صَبْرٌ وَلَا يَأْمَنُ الْأَعْدَاءَ إِنْ وَرَدَا

شَبَّهَ ثَدْيَهَا فِي نُهُودِهِ بِقَلْبِ الظَّبْيِ فِي صَلَابَتِهِ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَداً شَبَّهَ الثَّدْيَ بِقَلْبِ الظَّبْيِ غَيْرَهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ جَحْدَرٍ الْعُكْلِيِّ فِي امْرَأَةٍ:

عَلَى قَدَمٍ مَكْنُونَةِ اللَّوْنِ رَخْصَةٍ

وَكَعْبٍ كَذِفْرَى جُؤْذُرِ الرَّمْلِ أَدْرَمَا

شَبَّهَ كَعْبَهَا بِأَصْلِ أُذُنِ الْجُؤْذُرِ، وَهُوَ الصَّغِيرُ مِنْ أَوْلَادِ الْبَقَرِ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ يَصِفُ فَرْخَ الْقَطَاةِ:

(١) الحائم: العطشان الذى يحوم حول الماء

كَأَنَّ عَلَى أَشْدَاقِهِ نَوْرَ حَنْوَةٍ[١]

إِذَا هُوَ مَدَّ الْجِيدَ مِنْهُ لِيَطْعَمَا

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ دِعْبِلٍ يَهْجُو امْرَأَةً :

كَأَنَّ الثَّآلِيلَ[٢] فِي وَجْهِهَا

إِذَا سَفَرَتْ بِدَدُ الْكِشْمِشِ[٣]

لَهَا شَعْرُ قِرْدٍ إِذَا ازَّيَّنَتْ

وَوَجْهٌ كَبَيْضِ الْقَطَا الْأَبْرَشِ[٤]

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ فِي وَصْفِ الْبَطِّ :

كَأَنَّمَا يَصْفِرْنَ مِنْ مَلَاعِقِ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِ الرُّجَّازِ ، فِي جَارِيَةٍ سَوْدَاءَ :

---

(١) الحنوة : نبات طيب الريح (٢) الثآليل : جمع ثؤلول وهو الحبة تظهر فى الجلد قدر الحمصة (٣) الكشمش : العنب الصغير

(٤) الأبرش : كالأبرص وزناً ومعنى .

كَأَنَّهَا وَالْكُحْلُ فِي مِرْوَدِهَا
تَكْحُلُ عَيْنَيْهَا بِبَعْضِ جِلْدِهَا

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْجَعْدِيِّ فِي فَرَسٍ :

خِيطَ عَلَى زَفْرَةٍ(١) فَتَمَّ وَلَمْ
يَرْجِعْ إِلَى دِقَّةٍ وَلَا هَضَمِ(٢)

يَقُولُ هُوَ مُنْتَفِخُ الْجَنْبَيْنِ ، فَكَأَنَّهُ زَفَرَ فَانْتَفَخَ جَنْبَاهُ ، ثُمَّ خِيطَ عَلَى ذَلِكَ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الطِّرِمَّاحِ يَصِفُ الثَّوْرَ :

يَبْدُو وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ
سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ لِلنُّعْمَانِ :

(١) زفرة الفرس : وسطه (٢) الهضم : استقامة الضلوع ودخول أعاليها .

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِى هُوَ مُدْرِكِى
وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِى الْمَرْأَةِ :

نَظَرَتْ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا
نَظَرَ الْمَرِيضِ إِلَى وُجُوهِ الْعُوَّدِ

يَقُولُ : نَظَرَتْ إِلَيْكَ وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَتَكَلَّمَ ، كَمَا يَنْظُرُ الْمَرِيضُ إِلَى وُجُوهِ عُوَّادِهِ ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ طَرَفَةَ :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى
لَكَالطِّوَلِ الْمُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِالْيَدِ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِ الضَّبِّيِّينَ يَصِفُ أَبَارِيقَ الشَّرَابِ :

كَأَنَّ أَبَارِيقَ الشُّمُولِ عَشِيَّةً
إِوَزٌّ بِأَعْلَى الطَّفِّ عُوجُ الْحَنَاجِرِ

وَنَحْوُهُ قَوْلُ أَبِي الْهِنْدِيِّ :

سَيُغْنِي أَبَا الْهِنْدِيِّ عَنْ وَطْبِ سَالِمٍ
أَبَارِيقُ لَمْ يَعْلَقْ بِهَا وَضَرُ الزُّبْدِ
مُفَدَّمَةٌ قَزًّا كَأَنَّ رِقَابَهَا
رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ نُصَيْبٍ فِي عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ :

وَقَلْبُكَ آنَسُ بِالْمُعْتَفِينَ مِنَ الْأُمِّ بِابْنَتِهَا الزَّائِرَةْ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ الرِّقَاعِ فِي الظَّبْيَةِ :

تُرْجِي أَغَنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ[1]
قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

(١) الروق : طرف قرن الغزال .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَشَّارٍ :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا
وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

جَفَتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيضِ حَتَّى
كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَمَوْلًى كَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
إِذَا مَا الْتَقَيْنَا لَيْسَ مِمَّنْ أُعَاتِبُهْ

يَقُولُ : لَا أَقْدِرُ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهِ مِنْ بُغْضِهِ ، فَكَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ :

كَأَنَّ نِيرَانَهُمْ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ

مُصَبَّغَاتٌ(١) عَلَى أَرْسَانِ(٢) قَصَّارِ(٣)

النَّاسُ يَسْتَحْسِنُونَ هَذَا، وَأَنَا أَرَى أَنْ أَقُولَ: الْأَوْلَى أَنْ يُشَبِّهَ الْمُصَبَّغَاتِ بِالنِّيرَانِ لَا النِّيرَانِ بِالْمُصَبَّغَاتِ.

* * *

الأبيات التى لا مثل لها

حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، عَنْ لَيْثٍ عَنْ طَاوُسَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّهَا كَلِمَةُ نَبِيٍّ:

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا

وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

حَدَّثَنِي الرِّيَاشِيُّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: أَبْرَعُ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ، قَوْلُ أَبِي ذُؤَيْبٍ:

---

(١) مصبغات: الثياب التى لونت بالصبغ (٢) الأرسان جمع رسن: وهو الحبل (٣) القصار الذى يحورُ الثياب ويدقها بالقصرة وهى قطعة من الخشب

وَالنَّفْسُ رَاغِبَـــةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا
وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيـــلٍ تَقْنَعُ

وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْـكِبَرِ قَوْلُ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ الْهِـلَالِيِّ :

أَرَى بَصَرِى قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ
وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

وَأَحْسَنُ مَنِ ابْتَدَأَ مَرْثِيَةً أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ فِي قَوْلِهِ :

أَيَّتُهَا النَّفْسُ أَجْمِـــلِي جَزَعَا
إِنَّ الَّذِي تَـكْرَهِينَ قَدْ وَقَعَا

وَأَغْرَبُ مَنِ ابْتَدَأَ قَصِيدَةَ النَّابِغَةُ فِي قَوْلِهِ :

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ
وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الْـكَوَاكِبِ

حَدَّثَنِي الْخَثْعَمِيُّ الشَّاعِرُ قَالَ : أَحْسَنُ بَيْتٍ قِيلَ فِي الْجُبْنِ قَوْلُ نَهْشَلِ ابْنِ حَرِيٍّ :

فَلَوْ كَانَ لِي نَفْسَانِ كُنْتُ مُقَاتِلاً
بِإِحْدَاهُمَا حَتَّى تَمُوتَ وَأَسْلَمَا

قَالَ وَبَيْتُ الْمُخَبَّلِ فِي قَسَاوَةِ الْقَلْبِ :

يُبْكَى عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ
لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَاداً مِنَ الْإِبِلِ

قَالَ : وَبَيْتُ عَبِيدٍ فِي الِاسْتِعْفَافِ :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللهِ لَا يَخِيبُ

قَالَ : وَبَيْتُ مَنْجُوفِ بْنِ مُرَّةَ السُّلَمِيِّ فِي الِاحْتِفَاظِ بِالْمَالِ :

وَأَدْفَعُ عَنْ مَالِي الْحُقُوقَ وَإِنَّهُ
لَجَمٌّ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ مَصَائِبُهْ

قَالَ : وَبَيْتُ الْحُطَيْئَةِ فِي إِكْرَامِ النَّفْسِ :

وَأُكْرِمُ نَفْسِي الْيَوْمَ عَنْ سُوءِ طِعْمَةٍ
وَيَقْنَى الْحَيَاءَ الْمَرْءُ وَالرُّمْحُ شَاجِرُهْ

قَالَ : وَقَوْلُ كَعْبٍ فِي الْإِقْدَامِ :

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطْوِنَا
قُدُمًا وَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

قَالَ : وَبَيْتُ عَمْرِو بْنِ الْإِطْنَابَةِ فِي الصَّبْرِ :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ
مَكَانَكِ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا عِنْدِي قَوْلُ قَطَرِيٍّ :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ لِنَفْسِي
مِنَ الْأَبْطَالِ وَيْحَكِ لَا تُرَاعِي
فَإِنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ
عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكِ لَمْ تُطَاعِي

قَالَ : وَبَيْتُ مِسْكِينٍ الدَّارِمِيِّ فِي الْجُودِ :

طَعَامِي طَعَامُ الضَّيْفِ وَالرَّحْلُ رَحْلُهُ
وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ الْغَزَالُ الْمُقَنَّعُ

قَالَ : وَفِي حُسْنِ الْجِوَارِ قَوْلُهُ :

نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ
وَإِلَيْهِ قَبْلِي تُنْزَلُ الْقِدْرُ
مَا ضَرَّ جَاراً لِي أُجَاوِرُهُ
أَلَّا يَكُونَ لِبَابِهِ سِتْرُ

قَالَ : وَمِمَّنْ رَضِيَ بِالْقَلِيلِ جَمِيلٌ ، قَالَ :

أُقَلِّبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ
يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ تَنْظُرُ

وَقَوْلُ الْآخَرِ :

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يُلْبِسُ أُمَّ عَمْرٍو
وَإِيَّانَا فَذَاكَ بِنَا تَدَانِي

تَرَى وَضَحَ النَّهَارِ كَمَا أَرَاهُ
وَيَعْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلَانِي

قَالَ : وَبَيْتُ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ فِي الْجَهْلِ :

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا
فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

obeikandl.com

قَالَ : وَبَيْتُ النَّابِغَةِ فِي تَرْكِ الْإِلْحَاحِ :

فَاسْتَبْقِ وُدَّكَ لِلصَّدِيقِ وَلَا تَكُنْ
قَتَباً يَعَضُّ بِغَارِبٍ مِلْحَاحَا

قَالَ وَفِي إِدْرَاكِ الثَّأْرِ قَوْلُ مُهَلْهِلٍ :

لَقَدْ قَتَلْتُ بَنِي بَكْرٍ بِرَبِّهِمُ
حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَبْكِي لَهُمْ أَحَدُ

قَالَ : وَبَيْتُ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ فِي تَبْلِيغِ الْعُذْرِ فِي الطَّلَبِ :

لِتُبْلِغَ عُذْراً أَوْ تُفِيدَ غَنِيمَةً
وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

قَالَ : وَبَيْتُ جَمِيلٍ فِي إِنْفَاقِ الْمَالِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ تَعَالَى :

كُلُوا الْيَوْمَ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ وَأَبْشِرُوا
فَإِنَّ عَلَى الرَّحْمَنِ رِزْقَكُمُ غَدَا

قَالَ : وَفِي الشَّجَاعَةِ قَوْلُ الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ :

أَشُدُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ لَا أُبَالِي
أَحَتْفِي كَانَ فِيهَا أَمْ سِوَاهَا

قَالَ : وَبَيْتُ الْمُتَلَمِّسِ فِي الْمَالِ وَتَثْمِيرِهِ

قَلِيلُ الْمَالِ تُصْلِحُهُ فَيَبْقَى
وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ عَلَى الْفَسَادِ

وَأَخْبَرَنَا دِعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّاعِرُ قَالَ : أَهْجَى بَيْتٍ قِيلَ ، قَوْلُ الطِّرِمَّاحِ فِي تَمِيمٍ :

تَمِيمٌ بِطُرْقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا
وَلَوْ سَلَكَتْ طُرْقَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتِ

قَالَ : وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْأَخْطَلِ :

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافُ كَلْبَهُمُ
قَالُوا لِأُمِّهِمُ بُولِي عَلَى النَّارِ

قَالَ : وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْحُطَيْئَةِ لِلزِّبْرِقَانِ فِي قِصَرِ الْهِمَّةِ :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا
وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

قَالَ غَيْرُهُ : وَقَوْلُ الطِّرِمَّاحِ فِي الْقِلَّةِ وَالْخُمُولِ :

لَوْ كَانَ يَخْفَى عَلَى الرَّحْمٰنِ خَافِيَةٌ
مِنْ خَلْقِهِ خَفِيَتْ عَنْهُ بَنُو أَسَدِ

وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَأَنْتَ مَلِيخٌ كَلَحْمِ الْحُوَارِ
لَا أَنْتَ حُلْوٌ وَلَا أَنْتَ مُرُّ

وَكَذَلِكَ قَوْلُ جَرِيرٍ فِي التَّيْمِ :

وَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ عَبِيدَ تَيْمٍ
وَتَيْمًا قُلْتَ أَيُّهُمَا الْعَبِيدُ

وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ
وَلَا يُسْتَأْذَنُونَ وَهُمْ شُهُودُ

وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْهَيْبَةِ :

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ
فَمَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

وَأَغْرَبُ مَا قِيلَ فِي مَصْلُوبٍ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ مَوْلَى الْأَنْصَارِ :

لَعَمْرِي لَئِنْ أَصْبَحْتَ فَوْقَ مُشَذَّبٍ
طَوِيلٍ تُعَفِّيكَ الرِّيَاحُ مَعَ الْقَطْرِ

لَقَدْ عِشْتَ مَبْسُوطَ الْيَدَيْنِ مُرَزَّأً

وَعُوفِيتَ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ

وَأُفْلِتَّ مِنْ ضِيقِ التُّرَابِ وَغَمِّهِ

وَلَمْ تَفْقِدِ الدُّنْيَا فَهَلْ لَكَ مِنْ شُكْرِ

وَأَغْرَبُ مَا قِيلَ فِي مَجُوسِيٍّ قَوْلُ أَعْرَابِيٍّ :

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ الْمُشَاشِ

وَأَنَّكَ بَحْرٌ جَوَادٌ خِضَمْ

وَأَنَّكَ سَيِّدُ أَهْلِ الْجَحِيـ

ـمِ إِذَا مَا تَرَدَّيْتَ فِيمَنْ ظَلَمْ

وَمِنْ أَغْرَبِ مَا قِيلَ فِي دَعِيٍّ قَوْلُ ابْرَاهِيمَ ابْنِ اسْمَاعِيلَ الْبَنَوِيِّ :

لَوْ أَنَّ مَوْتَى تَمِيمٍ كُلِّهَا نُشِرُوا
وَأَثْبَتُوكَ لَقِيلَ الْأَمْرُ مَصْنُوعُ

مِثْلُ الْجَدِيدِ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلَقٍ
تَبَيَّنَ النَّاسُ أَنَّ الثَّوْبَ مَرْقُوعُ

وَنَحْوُهُ قَوْلُ الآخَرِ :

أَجَارَتَنَا بَانَ الْخَلِيطُ فَأَبْشِرِي
فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ يَبِينَ خَلِيطُ

عَاتِبُهُ فِي عِرْضِهِ لِيَصُونَهُ
وَلَا عِلْمَ لِي أَنَّ الْأَمِيرَ لَقِيطُ

وَنَحْوُهُ قَوْلُ دِعْبِلٍ فِي مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ :

النَّاسُ كُلُّهُمُ يَسْعَى لِحَاجَتِهِ
مَا بَيْنَ ذِي فَرَجٍ مِنْهُمْ وَمَهْمُومِ

وَمَالِكٌ ظَلَّ مَشْغُولًا بِنِسْبَتِهِ

يَرُمُّ مِنْهَا خَرَابًا غَيْرَ مَرْمُومِ

يَبْنِي بُيُوتًا خَرَابًا لَا أَنِيسَ بِهَا

مَا بَيْنَ طَوْقٍ إِلَى عَمْرِو بْنِ كُلْثُومِ

☆
☆ ☆

ثُمَّ انْتَقَلَ ابْنُ قُتَيْبَةَ إِلَى بَابِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَقَعُ فِي كُتُبِ الْأَمَانِ جَاءَ فِيهِ :

هَذَا كِتَابٌ مِنْ فُلَانٍ لِفُلَانٍ : إِنِّي أَمَّنْتُكَ عَلَى دَمِكَ وَمَالِكَ وَمَوَالِيكَ وَأَتْبَاعِكَ ، لَكَ وَلَهُمْ ذِمَّةُ اللهِ الْمُوفَى بِهَا ، وَعَهْدُهُ الْمَسْكُونُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ ذِمَّةُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ بِرِسَالَتِهِ ، وَأَكْرَمَهُمْ

بِوَحْيِهِ ، ثُمَّ ذِمَمُ النُّجَبَاءِ مِنْ خَلَائِفِهِ : بِحَقْنِ دَمِكَ وَمَنْ دَخَلَ اسْمُهُ مَعَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، وَسَلَامَةِ مَالِكَ وَأَمْوَالِهِمْ وَكَذَا وَكَذَا ، فَاقْبَلُوا مَعْرُوضَهُ ، وَاسْكُنُوا إِلَى أَمَانِهِ ، وَتَعَلَّقُوا بِحَبْلِ ذِمَّتِهِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ مَا وَكَّدَ مِنْ ذَلِكَ مُتَوَثَّقٌ لِدَاخِلٍ فِي أَمَانٍ إِلَّا وَقَدِ اعْتَلَقْتُمْ بِأَوْثَقِ عُرَاهُ ، وَلَجَأْتُمْ إِلَى أَحْرَزِ كُهُوفِهِ وَالسَّلَامُ .

وَفِي كِتَابٍ آخَرَ :

هَذَا كِتَابٌ مِنْ فُلَانٍ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا جَعَلَ اللهُ عَلَيْهِ نِيَّتَهُ فِي إِقَالَةِ الْعَاثِرِ وَاسْتِصْلَاحِ الْفَاسِدِ ، رَأَى أَنْ يَتَلَافَاكَ بِعَفْوِهِ ، وَيَتَغَمَّدَ زَلَّاتِكَ بِرُحْمِهِ ، وَيَبْسُطَ لَكَ الْأَمَانَ عَلَى مَا خَرَجْتَ إِلَيْهِ

مِنَ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ : عَلَى دَمِكَ وَشَعَرِكَ وَبَشَرِكَ وَأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ ، وَمَالِكَ وَعَقَارِكَ ؛ فَإِنْ أَنْتَ أَتَيْتَ وَسَمِعْتَ وَأَطَعْتَ ، فَأَنْتَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللهِ ، عَلَى مَا أَمَّنَكَ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكَ بِذَلِكَ ذِمَّةُ اللهِ ، وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ حَقٍّ قَائِمٍ بِعَيْنِهِ لِمُسْلِمٍ أَوْ مُعَاهِدٍ ، وَاللهُ بِذَلِكَ رَاعٍ وَكَفِيلٌ ، وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا .

وَفِي كِتَابٍ آخَرَ :

إِنَّ فُلَانًا اسْتَوْهَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَنْبَكَ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَكَ وَإِنَابَتَكَ ، وَيُؤَمِّنَكَ عَلَى دَمِكَ وَشَعَرِكَ وَبَشَرِكَ ، وَأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ ، وَمَالِكَ وَعَقَارَاتِكَ ، عَلَى أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ وَتُشَايِعَ ، وَتُوَالِيَ

أَوْلِيَاءَهُ ، وَتُعَادِيَ أَعْدَاءَهُ ؛ فَأَجَابَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ذَلِكَ ، لِرَأْيِهِ فِي الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ ، وَمَا يَحْتَسِبُ فِي ذَلِكَ مِنَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ ، فَأَنْتَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللهِ عَلَى كَذَا لَا تُؤْخَذُ بِشَيْءٍ مِمَّا سَلَفَ مِنْ أَحْدَاثِكَ ، وَلَا تُتْبَعُ فِيهِ بِمَكْرُوهٍ مَا أَقَمْتَ عَلَى الْوَفَاءِ ، وَلَمْ تُحْدِثْ حَدَثًا تَفْسَخُ بِهِ أَمَانَكَ ، وَتَجْعَلُ بِهِ سَبِيلًا عَلَى نَفْسِكَ ، وَاللهُ لَكَ بِذَلِكَ رَاعٍ كَفِيلٌ ، وَكَفَى بِهِ شَهِيداً .

* * *

ألفاظ تقع فى كتب العهود

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ فِيمَا أَسْنَدَ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَهُ بِسَبِيلِهِ ، وَأَنْ يُؤْثِرَ اللهَ وَطَاعَتَهُ آخِذاً وَمُعْطِياً ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ اللهَ سَائِلُهُ عَمَّا عَمِلَ بِهِ وَجَازِيهِ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ خَارِجٌ

مِنْ دُنْيَاهُ خُرُوجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، إِمَّا مَغْبُوطًا مَحْمُودًا، وَإِمَّا مَذْمُومًا مَسْلُوبًا، فَلْيَعْتَبِرْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْوُلَاةِ الَّذِينَ وَلُوا مِثْلَ مَا وَلِيَ، أَيْنَ صَارَ بِهِمْ مَرُّ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَا انْقَلَبُوا بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ إِلَى قُبُورِهِمْ؟ وَيَتَزَوَّدُ لِنَفْسِهِ الزَّادَ النَّافِعَ الْبَاقِيَ «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً»

كتاب آخر

وَقَدْ وَلَّاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَلَّاكَ مِنْ أُمُورِ رَعِيَّتِهِ، وَأَشْرَكَكَ فِيمَا أَشْرَكَكَ فِيهِ مِنْ أَمَانَتِهِ، ثِقَةً بِكَ، وَرَجَاءً لِمُتَابَعَتِكَ، وَإِيثَارِكَ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ، وَرَفْضِكَ الْبَاطِلَ وَأَهْلَهُ؛ وَعَهِدَ إِلَيْكَ فِي ذَلِكَ بِمَا

إِنْ أَخَذْتَ بِهِ ، أَعَانَكَ اللهُ وَسَدَّدَكَ ، وَإِنْ خَالَفْتَهُ خَذَلَكَ وَعَاقَبَكَ .

فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ اخْتَارَكَ مِنْ إِقَامَةِ الْحَجِّ وفي الحج لِوَفْدِ اللهِ وَزَوْرِ بَيْتِهِ ، لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ قَدْرُهُ ، الشَّرِيفِ مَنْزِلَتُهُ ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ ، وَإِيثَارِ مُرَاقَبَتِهِ ، وَلُزُومِ الْهُدَى الْمَحْمُودِ ، وَالطَّرِيقَةِ الْمُثْلَى وَالسِّيرَةِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي تُشْبِهُ حَالَكَ .

كتاب آخر

فَإِنَّ اللهَ نَزَّهَ الْإِسْلَامَ عَنْ كُلِّ قَبِيحَةٍ ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ ، وَرَفَعَهُ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ ، وَشَرَّفَهُ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ ، وَجَعَلَ سِيمَاءَ أَهْلِهِ الْوَقَارَ وَالسَّكِينَةَ .

✡
✡ ✡

آخر وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالِازْدِيَادِ فِي طَاعَتِهِ وَمُنَاصَحَتِهِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ فِي عَمَلِهِ، مَنْ عَظُمَ حَقُّ الْأَمِيرِ عَلَيْهِ فِي الْخَاصَّةِ بِفَضْلِ الصَّنِيعَةِ مِنَ الْأَمِيرِ عِنْدَهُ، مَعَ حَقِّ اللهِ عَلَيْهِ فِي الْعَامَّةِ بِحَقِّ الْوِلَايَةِ.

✡
✡ ✡

آخر وَكُنْتَ سَيْفاً مِنْ سُيُوفِ اللهِ، وَنِكْلاً مِنْ أَنْكَالِهِ لِأَهْلِ الشِّقَاقِ، وَشَجًى لِمَنِ ابْتَغَى غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ أَحْكَمَتْكَ التَّجَارِبُ، وَضَرَّسَتْكَ الْأُمُورُ، وَفُرِرْتَ عَنِ الذَّكَاءِ، وَحَلَبْتَ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ.

✡
✡ ✡

آخر أَنْتَ ابْنُ الْحُرِّيَّةِ وَالْمُرُوَّةِ، وَمَنْ لَا يَلْحَقُهُ عَارُ أُبُوَّةٍ وَلَا بُنُوَّةٍ.

✡
✡ ✡

قَدِ الْتَمَسْتُ مُوَاجَهَتَكَ بِشُكْرِكَ ، وَوَصْفِ آخر
مَا أُجِنُّ لَكَ ، وَأُخْلِصُ مِنْ وُدِّكَ ، وَأُجِلُّ مِنْ قَدْرِكَ ،
وَأَعْتَدُّ مِنْ إِحْسَانِكَ ، فَلَفَتَنِي عَنْ ذَلِكَ تَعَذُّرُ الْخَلْوَةِ
مَعَ انْقِبَاضٍ وَحِشْمَةٍ .

✡
✡ ✡

قَدْ أَغْنَى اللهُ بِكَرَمِكَ عَنْ ذَرِيعَةٍ إِلَيْكَ ؛ وَمَا آخر
تُنَازِعُنِي نَفْسِي إِلَى اسْتِعَانَةٍ عَلَيْكَ ، إِلَّا أَبَى ذَلِكَ
حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ فِيكَ ، وَتَأْمِيلُ نُجْحِ الرَّغْبَةِ
إِلَيْكَ ، دُونَ الشُّفَعَاءِ عِنْدَكَ .

✡
✡ ✡

مِثْلُكَ تَقَرَّبَ إِلَى اللهِ بِالتَّوَاضُعِ لِنِعْمَتِهِ ، وَالْإِغَاثَةِ آخر
لِمُسْتَغِيثِهِ ، وَالْعَائِدَةِ عَلَى رَاجِيهِ بِفَضْلِهِ .

آخر تَبًّا لِمَنْ يَأْتِي رَأْيَكَ ! وَقُبْحًا لِعُرُوبِ عَقْلِكَ ، وَأَفَنِ تَدْبِيرِكَ ! مَا أَبْعَدَ مَذْهَبَكَ فِي الْخَطَإِ ، وَأَسْوَأَ أَثَرَكَ عَلَى السُّلْطَانِ ، وَأَقْصَرَ بَاعَكَ عَنِ النُّهُوضِ . جَزَالَةٌ تُعْقِدُكَ ، وَمَهَانَةٌ تُضْرِعُكَ ، وَزَهْوٌ يَعْلُوكَ ، وَنَخْوَةٌ يَشْمَخُ لَهَا عِرْنِينُكَ ، لَقَدْ انْصَرَفَ رَأْيُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ ، وَدَعَوْتَ لَهُ عَتْبَكَ ، وَكَشَفْتَ لَهُ عَنْ قِنَاعِ سَتْرِكَ ، وَاجْتَرَرْتَ إِلَيْكَ سَخْطَتَهُ ، وَعَطَفْتَ نَحْوَكَ مَوْجِدَتَهُ ، وَكُنْتَ عَلَى نَصِيبِكَ مِنْهُ ، وَالضَّنِّ بِمَنْزِلَتِكَ عِنْدَهُ ، أَوْلَى تَقَدُّمًا ، وَأَقْرَبَ رُشْدًا ، وَاللهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ .

☆
☆ ☆

أصحاب السلطان

أَصْحَابُ السُّلْطَانِ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ يَجْعَلُ الدُّنْيَا نُصْبَ عَيْنِهِ ، يَنْصِبُ فِيهَا لِلْخَاصَّةِ مَكَايِدَهُ ، وَيَرْفَعُ عَنْ مَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ هِمَّتَهُ ، يُذْهِلُهُ عَنْ التَّقْوَى الْهَوَى ، وَتُنْسِيهِ أَيَّامُ الْقُدْرَةِ الْعَثْرَةَ ، حَتَّى تَنْصَرِمَ مُدَّتُهُ ، وَتَنْقَضِيَ دَوْلَتُهُ ، لَمْ يَرْتَهِنْ بِدُنْيَاهُ شُكْراً ، وَلَا قَدَّمَ بِهَا إِلَى مَعَادِهِ ذُخْراً . وَرَجُلٌ لَا يَحْفِلُ مَعَ صَلَاحِ الْخَاصَّةِ ، بِمَا دَخَلَ مِنَ الْخَلَلِ فِي أُمُورِ الْعَامَّةِ ، وَلَا مَعَ وُفُورِ حَظِّهِ مَا أَدْخَلَ النَّقْصُ فِي حَظِّ رَعِيَّتِهِ . وَرَجُلٌ حَاوَلَ فِي وِلَايَتِهِ إِرْضَاءَ مَنْ وَلِيَ لَهُ وَعَلَيْهِ ، وَأَعَانَتْهُ النِّيَّةُ ، وَخَذَلَتْهُ الْكِفَايَةُ . وَقَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ الثِّقَةَ وَالرِّضَا مِمَّنْ فَوْقَكَ ،

وَالِانْقِيَادَ وَالْمَحَبَّةَ مِمَّنْ دُونَكَ، وَأَعَادَ إِلَى النَّاسِ بِكَ عَهْدَ السَّلَفِ الْمَاضِي، وَعَمَّرَ بِكَ آثَارَهُمْ، حَتَّى كَأَنَّهُمْ بِكَ أَحْيَاءٌ لَمْ تَخْتَرِمْهُمْ مَنِيَّةٌ، وَجَمِيعٌ لَمْ تَنْصَدِعْ بَيْنَهُمْ فُرْقَةٌ، فَلْيَهْنِئْكَ أَنَّ مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ فِي السِّيرَةِ، غَيْرُ مُتَقَدِّمٍ لَكَ، وَمَنْ مَعَكَ مُقَصِّرٌ عَنْكَ، وَمَنْ دُونَكَ مُقْتَفٍ لِأَثَرِكَ، فَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ لَكَ، وَلَا زَالَتِ النِّعَمُ عَنْكَ، وَلَا انْتَقَلَتْ عُرَا[1] الْأُمُورِ وَأَزِمَّتُهَا عَنْ يَدِكَ.

☆ ☆ ☆

آخر أَبَى طَبْعُ الزَّمَانِ أَنْ يَسْمَحَ لَنَا بِكَ، كَمَا أَبَى ذَلِكَ فِي مِثْلِكَ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى اعْتَرَضَ بِمَكْرُوهِهِ دُونَكَ، وَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ ذَهِلَتْ عَنْهَا النَّفْسُ حِينَ

(١) عرا: جمع عروة

أَدْبَرَتْ بِخَيْرِكَ ، فَإِنَّ تَعَلُّقَ الْقَلْبِ بِكَ ، عَلَى قَدْرِكَ ، فِي مَوَاهِبِ اللهِ وَقَدْرِهَا عِنْدَكَ .

☆
☆ ☆

وَلَمْ تَأْتِ فِي جَمِيعِ مَا عَدَدْتُ مِنْ أَيَادِيكَ شَيْئًا ، آخر وَإِنْ كَانَ مُتَنَاهِيًا إِلَى الْغَايَةِ ، مُخْتَارًا كَالْأُمْنِيَّةِ ، مُتَجَاوِزًا لِلِاسْتِحْقَاقِ ، إِلَّا وَأَنْتَ فَوْقَهُ ، وَالْمَأْمُولُ لِلزِّيَادَةِ فِيهِ .

☆
☆ ☆

إِنْ كَانَ مَا خَبَّرَنِي بِهِ فُلَانٌ عَنْ هَزْلٍ ، فَقَدْ آخر أَحْوَجَنَا هَزْلُكَ إِلَى الْجِدِّ ، وَوَقَفَنَا مَوْقِفَ الْمُعْتَذِرِينَ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ، وَإِنْ كَانَ عَنْ حَقِيقَةٍ ، فَقَدْ ظَهَرَ لَنَا مِنْ ظُلْمِكَ وَتَحْرِيفِكَ ، مَا دَلَّ عَلَى زُهْدِكَ مِنَّا ، فِي مِثْلِ الَّذِي رَغِبْنَا مِنْكَ فِيهِ .

obeikandl.com

✡
✡ ✡

كتاب العيد

كِتَابِي إِلَى الْأَمِيرِ يَوْمَ كَذَا بَعْدَ خُرُوجِي فِيهِ وَمَنْ قِبَلِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُصَلَّى ، وَقَضَائِنَا مَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ صَلَاةِ الْعِيدِ ، وَنَحْنُ بِخَيْرِ حَالٍ ، اجْتَمَعَ عَلَيْهَا فَرِيقٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي عِيدٍ مِنْ أَعْيَادِهِمْ ، وَمَجْمَعٍ مِنْ مَجَامِعِهِمْ ، وَكَانَ مَخْرَجُنَا إِلَى الْمُصَلَّى أَفْضَلَ مَخْرَجٍ ، وَمُنْصَرَفُنَا عَنْهُ أَفْضَلَ مُنْصَرَفٍ ، بِمَا وَهَبَ اللهُ مِنْ سُكُونِ الْعَامَّةِ وَهُدُوئِهَا وَأُلْفَتِهَا ، وَاحْتِشَادِ الْجُنْدِ وَالشَّاكِرِيَّةِ بِأَحْسَنِ الزِّيِّ وَالْهَيْئَةِ ، وَأَظْهَرِ السِّلَاحِ وَالْعُدَّةِ ، فَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَى كَذَا وَهَنَأَ اللهُ الْأَمِيرَ كَذَا .

✡
✡ ✡

آخر

الْقَلْبُ قَرِينُ وَلَهٍ[1]، حَلِيفُ حَيْرَةٍ ، أَنْظُرُ بِعَيْنٍ

(١) الوله : الحب الشديد

كَلِيلَةٍ ، وَأَحْضُرُ بِقَلْبٍ غَائِبٍ ، إِلَى وُرُودِ كِتَابِكَ ، بِمَا تَعْتَزِمُهُ . فَأَمَّا النَّوْمُ ، فَلَوْ مَثَلَ لِعَيْنِي لَنَفَرَتْ إِلْفًا لِلسُّهَادِ .

☆
☆ ☆

كتاب بيعة

فَبَايِعُوا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلِفُلَانٍ بَعْدَهُ عَلَى اسْمِ اللهِ وَبَرَكَتِهِ ، وَصُنْعِ اللهِ وَحُسْنِ قَضَائِهِ ، لِدِينِهِ وَعِبَادِهِ ، بَيْعَةً مُنْبَسِطَةً لَهَا أَكُفُّكُمْ ، مُنْشَرِحَةً بِهَا صُدُورُكُمْ ، سَلِيمَةً فِيهَا أَهْوَاؤُكُمْ[1] ، شَاكِرِينَ لِلّٰهِ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

☆
☆ ☆

مقروءاتنا على الشيخ

قَالَ لِي أُسْتَاذِي الشَّيْخُ ذَاتَ يَوْمٍ : عَلَيْكَ يَا بُنَيَّ بِحُسْنِ الِاسْتِمَاعِ ، فَإِنَّهُ مِنْ صَمِيمِ الْأَدَبِ ، وَمَدْعَاةٌ

(١) أى خالصة من الزيغ ونية الغدر .

لِلْمَحَبَّةِ وَالْإِخَاءِ ، وَالْإِفَادَةِ وَالِاسْتِزَادَةِ ؛ وَمَهْمَا يَكُنْ عِلْمُكَ بِحَدِيثِ مُحَدِّثِكَ ، فَأَنْصِتْ لَهُ ، وَاسْتَمِعْ لِمَا يَقُولُ ، وَتَفَهَّمْ مَا يُدْلِي ، وَاذْكُرْ مَأْثُورَ مَنْ يَقُولُ :

إِذَا مَا رَوَى الرَّاوِي حَدِيثاً فَلَا تَقُلْ
سَمِعْنَا بِهَـــذَا قَبْلَ أَنْ يَتَتَمَّمَا
وَلَـكِنْ تَسَمَّعْ لِلْحَدِيثِ مُوَهِّماً
بِأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْهُ فِيمَا تَقَـــدَّمَا

* * *

الحث على الأدب

وَعَلَيْكَ بِالْأَدَبِ ، فَإِنَّهُ صَاحِبٌ فِي السَّفَرِ ، وَمُؤْنِسٌ فِي الْحَضَرِ ، وَجَلِيسٌ فِي الْوَحْدَةِ ، وَجَمَالٌ فِي الْمَحَافِلِ ، وَسَبَبٌ إِلَى طَلَبِ الرَّاحَةِ ؛ وَخُذْ مِنْهُ كَمَا يَقُولُ ابْنُ السِّكِّيتِ : « مَا يَعْلَقُ بِالْقُلُوبِ ، وَتَشْتَهِيهِ الْآذَانُ ،

وَخُذْ مِنَ النَّحْوِ : مَا تُقَوِّمُ بِهِ الْكَلَامَ ، وَدَعِ الْغَوَامِضَ ؛ وَخُذْ مِنَ الشِّعْرِ : مَا يَشْتَمِلُ عَلَى لَطِيفِ الْمَعَانِي ؛ وَاسْتَكْثِرْ مِنْ أَخْبَارِ النَّاسِ وَأَقَاوِيلِهِمْ وَأَحَادِيثِهِمْ ، وَلَا تُولَعَنَّ بِالْغَثِّ مِنْهَا ؛ وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو ابْنُ الْعَلَاءِ : قِيلَ لِمُنْذِرِ بْنِ وَاصِلٍ ، كَيْفَ شَهْوَتُكَ لِلْأَدَبِ ؟ فَقَالَ : أَسْتَمِعُ لِلْحَرْفِ مِنْهُ ، فَتَوَدُّ أَعْضَائِي أَنَّ لَهَا أَسْمَاعًا تَتَنَعَّمُ بِهِ ، مِثْلَ مَا تَنَعَّمَتِ الْآذَانُ ، قِيلَ : وَكَيْفَ طَلَبُكَ لَهُ ؟ قَالَ : طَلَبُ الْمَرْأَةِ الْمُضِلَّةِ وَلَدَهَا ، وَلَيْسَ لَهَا غَيْرُهُ ؛ قِيلَ : وَكَيْفَ حِرْصُكَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : حِرْصُ الْمَجُوعِ الْمَمْنُوعِ عَلَى بُلُوغِ لَذَّتِهِ مِنَ الْمَالِ » ؛ وَاذْكُرْ قَوْلَ بُزُرْجُمِهْرَ : « مَنْ كَثُرَ أَدَبُهُ ، كَثُرَ شَرَفُهُ ، وَإِنْ كَانَ وَضِيعًا ؛ وَبَعُدَ

صَوْتُهُ[1] ، وَإِنْ كَانَ خَامِلًا ؛ وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيباً ، وَكَثُرَتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا » ؛ وَاذْكُرْ مَا أَنْشَدَنَا أَبُو حَاتِمٍ سَهْلُ بْنُ يَحْيَى السِّجِسْتَانِيُّ ، رَحِمَهُ اللهُ :

إِنْ الْجَوَاهِرَ : دُرَّهَا وَنُضَارَهَا
هُنَّ الْفِـــدَاءُ لِجَوْهَرِ الْآدَابِ
فَإِذَا اكْتَنَزْتَ ، أَوِ ادَّخَرْتَ ذَخِيرَةً
تَسْمُو بِزِينَتِهَا عَلَى الْأَصْحَـــابِ
فَعَلَيْكَ بِالْأَدَبِ الْمُزَيِّنِ أَهْلَهُ
كَيْمَا تَفُوزَ بِبَهْجَـــةٍ وَثَوَابِ

(١) المراد بالصوت : الصيت

فَلَرُبَّ ذِي مَالٍ تَرَاهُ مُبَعَّدًا
كَالْكَلْبِ يَنْبَحُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ
وَتَرَى الْأَدِيبَ، وَإِنْ دَهَتْهُ خَصَاصَةٌ
لَا يُسْتَخَفُّ بِهِ لَدَى الْأَتْرَابِ

☆
☆ ☆

تتمة كلام الشيخ

واسْتَطْرَدَ هُنَا فِي إِثْبَاتِ اسْتِشْهَادَاتٍ أُخْرَى لِلثَّعَالِبِيِّ وَابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ وَالْوَطْوَاطِ وَغَيْرِهِمْ، مُبَيِّنًا شَرَفَ الْأَدَبِ، مُشِيدًا[1] بِمَنَافِعِهِ، قَالَ: قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ: الرَّجُلُ بِلَا أَدَبٍ، شَخْصٌ بِغَيْرِ آلَةٍ، وَجَسَدٌ بِلَا رُوحٍ. وَقِيلَ: الْأَدَبُ أَكْرَمُ الْجَوَاهِرِ طَبِيعَةً، وَأَنْفَسُهَا[2] قِيمَةً، فَاطْلُبُوهُ، فَإِنَّهُ زِيَادَةٌ فِي الْفَضْلِ وَالنَّبَاهَةِ[3]

(١) منوها (٢) أغلاها (٣) النباهة: الصيت والشهرة

وَمَادَّةٌ لِلْعَقْلِ ، وَدَلِيلٌ عَلَى الْمُرُوءَةِ ، وَمَنْبَهَةٌ لِلرَّأْيِ وَلِلصَّوَابِ ، وَصَاحِبٌ فِي الْغُرْبَةِ ، وَأَنِيسٌ فِي الْوَحْدَةِ ، وَجَمَالٌ فِي الْمَحَافِلِ[1] ، وَصِلَةٌ فِي الْمَجَالِسِ . وَإِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ ، فَلَا يُعْجِبْكَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ الْكَرَامَةَ تَزُولُ بِزَوَالِهِمَا ، وَلْيُعْجِبْكَ إِذَا أَكْرَمُوكَ لِدِينٍ أَوْ أَدَبٍ . قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا الْفَتَى فَاتَهُ مَالٌ يُجَمِّلُهُ
فَفِي التَّأَدُّبِ مِمَّا فَاتَهُ خَلَفُ
هُوَ اللِّبَاسُ الَّذِي لَا شَيْءَ يَعْدِلُهُ
وَالْمَفْخَرُ الدِّينُ فِيهِ الْفَضْلُ وَالشَّرَفُ

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِبَنِيهِ : تَأَدَّبُوا ، فَإِنْ كُنْتُمْ مُلُوكاً

(١) المحافل : المجامع والمجالس

بَرَّزْتُمْ ، وَإِنْ كُنْتُمْ أَوْسَاطًا[١] فُقْتُمْ ، وَإِنْ أَعْوَزَكُمُ الْمَعَاشُ عِشْتُمْ . وَقِيلَ : إِنَّ الْأَدَبَ يُفِيدُ الرَّغَائِبَ الْجَلِيلَةَ ، وَيُعِزُّ بِلاَ عَشِيرَةٍ[٢] ، وَيُكْثِرُ الْأَنْصَارَ لِغَيْرِ ذُرِّيَّةٍ . وَقَالُوا : مَنْ دَأَبَ فِي طَرِيقِ الْأَدَبِ ، أَدْرَكَ حَاجَتَهُ ، وَمَلَكَ نَاصِيَتَهُ ، وَنَبُلَ[٣] قَدْرُهُ ، وَنَبُهَ ذِكْرُهُ ، يَنُوبُ الْأَدَبُ عَنِ النَّسَبِ ، وَلاَ يَنْفَعُ نَسَبٌ بِلاَ أَدَبٍ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كَمْ مِنْ خَسِيسٍ وَضِيعِ الْقَدْرِ لَيْسَ لَهُ
فِي الْعِزِّ بَيْتٌ وَلاَ يُنْمَى إِلَى نَسَبِ
قَدْ صَارَ بِالْأَدَبِ الْمَحْمُودِ ذَا شَرَفٍ
عَالٍ وَذَا حَسَبٍ مَحْضٍ وَذَا نَشَبِ

(١) أوساطا : لستم ملوكا ولا من الدهماء (٢) العشيرة : القبيل والأسرة (٣) نبل : شرف

يُعْلِي التَّأَدُّبُ أَقْوَاماً وَيَرْفَعُهُمْ
حَتَّى يُسَاوُوا ذَوِي الْعَلْيَاءِ فِي الرُّتَبِ

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الْأَعَاجِمِ يَفْتَخِرُ وَيَعْتَذِرُ:

مَالِيَ عَقْلِي وَهِمَّتِي حَسَبِي
مَا أَنَا مَوْلًى[1] وَلَا أَنَا عَرَبِي

وَإِذَا انْتَمَى[2] مُنْتَمٍ إِلَى أَحَدٍ
فَإِنَّنِي مُنْتَمٍ إِلَى أَدَبِي

فَالْبَسُوا إِذًا الْأَدَبَ حُلَّةً، وَتَزَيَّنُوهُ حِلْيَةً، فَإِنَّهُ أَنْفَقُ مَعَاشٍ، وَأَجْمَلُ رِيَاشٍ، إِنْ احْتَجْتُمْ إِلَيْهِ كَانَ لَكُمْ مَالًا، وَإِنْ اسْتَغْنَيْتُمْ عَنْهُ كَانَ لَكُمْ جَمَالًا.

(١) المولى: العبد والسيد فهو من أسماء الاضداد
(٢) انتمى: انتسب

☆
☆ ☆

أصول فن الأدب

ثُمَّ انْتَقَلَ بِي رَحِمَهُ اللهُ إِلَى التَّحَدُّثِ عَنِ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ ، الَّتِي هِيَ أُصُولُ فَنِّ الْأَدَبِ ، فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ، وَهِيَ : أَدَبُ[1] الْكَاتِبِ لِابْنِ قُتَيْبَةَ ، وَكِتَابُ الْكَامِلِ لِلْمُبَرِّدِ ، وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ لِلْجَاحِظِ ، وَكِتَابُ النَّوَادِرِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَالِيِّ الْبَغْدَادِيِّ ، وَاسْتَطْرَدَ إِلَى ذِكْرِ كِتَابِي الْعِقْدِ الْفَرِيدِ ، وَنَفْحِ الطِّيبِ.

ثُمَّ حَدَّثَنِي رَحِمَهُ اللهُ عَنْ أَذْكِيَاءِ الْعَرَبِ ، مِمَّا سَتَقِفُ عَلَيْهِ فِيمَا سَنَنْشُرُهُ لَكَ مِنْ كُتُبِ ابْنِ ظُفَرَ بِمَا يَنْقَعُ غُلَّتَكَ ، وَيُسْعِفُكَ بِطَلِبَتِكَ ، إِنْ شَاءَ اللهُ .

وَنَجْتَزِئُ لَكَ هُنَا بِمَا حَكَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ . قَالَ :

---

(١) وفى بعض المظان الأدبية « العقد الفريد »

إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَرَّ بِصِبْيَانٍ يَلْعَبُونَ ، وَفِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، فَهَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا عَبْدَ اللهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَا لَكَ لَا تَهْرُبُ مَعَ أَصْحَابِكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَمْ أَكُنْ عَلَى رِيبَةٍ فَأَخَافَكَ ، وَلَمْ يَكُنِ الطَّرِيقُ ضَيِّقًا فَأُوَسِّعَ لَكَ » .

فضل الأدب

ثُمَّ اسْتَرْسَلَ أُسْتَاذِي الْمَرْحُومُ الشَّيْخُ حَمْزَةُ ، مُتَوَسِّعًا فِي إِثْبَاتِ فَضْلِ الْأَدَبِ ، مُسْتَفِيضًا فِي الْإِشَادَةِ بِمَآثِرِ الْعَرَبِ ، وَمَا لِبَلَاغَتِهَا مِنْ سِحْرِ أَلْبَابٍ ، وَرَوْعَةِ مَأْخَذٍ ، وَمَتَانَةِ أَسْرٍ ، وَحَلَاوَةِ فِقَرٍ ، وَغُلُوِّ مَهْرٍ ، وَبَقَاءٍ عَلَى مَدَى الدَّهْرِ ؛ مِمَّا يَطُولُ بَيَانُهُ ، وَلَيْسَ هَذَا مَكَانُهُ ، مِمَّا لَا يَخْرُجُ عَمَّا جَاءَ فِي كِتَابِهِ

الْمَوَاهِبِ الْفَتْحِيَّةِ ، مَعَ مِيزَةِ سَلَاسَةِ أُسْلُوبِ الْمُحَدِّثِ، وَتَعَاظُلِ اللُّغَوِيِّ الْكِتَابِيِّ ، وَهُوَ فِي هَذَا كُلِّهِ خَيْرُ مُمَثِّلٍ لِلْمَدْرَسَةِ الْقَدِيمَةِ ، وَآرَاءِ الْمُحَافِظِينَ ، مِمَّا لَا نَرَى مَنْدُوحَةً لَنَا مِنْ وَقْفِكَ عَلَى مَحَلِّهَا ، وَخَاصَّةً مَا يَتَعَلَّقُ بِالْبَلَاغَةِ ، مُعْتَمِدِينَ فِي ذَلِكَ عَلَى كِتَابَيِ الصِّنَاعَتَيْنِ لِلْعَسْكَرِيِّ ، وَزَهْرِ الْآدَابِ لِلْحُصَرِيِّ ، مِمَّا فَحَصَهُ كُتَّابُ عِلْمِ الْأَدَبِ . قَالَ : قَالَ أَعْرَابِيٌّ : الْبَلَاغَةُ التَّقَرُّبُ مِنَ الْبَعِيدِ ، وَالتَّبَاعُدُ مِنَ الْكُلْفَةِ ، وَالدِّلَالَةُ بِقَلِيلٍ عَلَى كَثِيرٍ . قَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَحْيَى : الْبَلَاغَةُ تَقْرِيرُ الْمَعْنَى فِي الْأَفْهَامِ مِنْ أَقْرَبِ وُجُوهِ الْكَلَامِ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : الْبَلَاغَةُ الْبُلُوغُ إِلَى الْمَعْنَى ، وَلَمْ يَطُلْ سَفَرُ الْكَلَامِ . قَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ : الْبَيَانُ

تَرْجُمَانُ الْعُقُولِ ، وَرَوْضُ الْقُلُوبِ ، وَقَالَ أَيْضًا : الْعَقْلُ رَائِدُ الرُّوحِ ، وَالْعِلْمُ رَائِدُ الْعَقْلِ ، وَالْبَيَانُ تَرْجُمَانُ الْعِلْمِ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْإِمَامُ : يَكْفِي مِنَ الْبَلَاغَةِ أَلَّا يُؤْتَى السَّامِعُ مِنْ سُوءِ فَهْمِ النَّاطِقِ ، وَلَا يُؤْتَى النَّاطِقُ مِنْ سُوءِ فَهْمِ السَّامِعِ . قَالَ الْعَتَّابِيُّ : الْبَلَاغَةُ مَدُّ الْكَلَامِ بِمَعَانِيهِ إِذَا قَصُرَ ، وَحُسْنُ التَّأْلِيفِ إِذَا طَالَ . قَالَ أَعْرَابِيٌّ : الْبَلَاغَةُ إِيجَازٌ فِي غَيْرِ عَجْزٍ ، وَإِطْنَابٌ فِي غَيْرِ خَطَلٍ . وَقَدْ قِيلَ لِلْيُونَانِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : تَصْحِيحُ الْأَقْسَامِ ، وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ . وَقِيلَ لِلرُّومِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : حُسْنُ الِاقْتِضَابِ عِنْدَ الْبَدَاهَةِ ، وَالْغَزَارَةُ يَوْمَ الْإِطَالَةِ . وَقِيلَ لِلْهِنْدِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ :

وُضُوحُ الدَّلَالَةِ ، وَانْتِهَازُ الْفُرْصَةِ ، وَحُسْنُ الإِشَارَةِ .
وَقِيلَ لِلْفَارِسِيِّ : مَا الْبَلاَغَةُ ؟ قَالَ : مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ مِنَ الْوَصْلِ ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَّانِيُّ : الْبَلاَغَةُ إِيصَالُ الْمَعْنَى إِلَى الْقَلْبِ فِي حُسْنِ صُورَةٍ مِنَ اللَّفْظِ . وسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنِ الْبَلاَغَةِ ، قَالَ : أَبْلَغُ الْكَلاَمِ مَا حَسُنَ إِيجَازُهُ ، وَقَلَّ مَجَازُهُ ، وَكَثُرَ إِعْجَازُهُ ، وَتَنَاسَبَتْ صُدُورُهُ وَأَعْجَازُهُ .
وَقِيلَ لِجَعْفَرِ بْنِ خَالِدٍ : مَا الْبَلاَغَةُ ؟ قَالَ : التَّقَرُّبُ مِنَ الْمَعْنَى الْبَعِيدِ ، وَالدَّلاَلَةُ بِالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ . وَقِيلَ لِآخَرَ : مَا الْبَلاَغَةُ ؟ قَالَ : تَطْوِيلُ الْقَصِيرِ ، وَتَقْصِيرُ الطَّوِيلِ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا الْبَلاَغَةُ ؟ قَالَ : حَذْفُ الْفُضُولِ ، وَتَقْرِيبُ الْبَعِيدِ ،

وَحُسْنُ الاسْتِعَارَةِ . وَقِيلَ لِجَالِينُوسَ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : إِيضَاحُ الْمُعْضِلِ ، وَفَكُّ الْمُشْكِلِ . وَقِيلَ لِلْخَلِيلِ ابْنِ أَحْمَدَ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : مَا قَرُبَ طَرَفَاهُ ، وَبَعُدَ مُنْتَهَاهُ . وَقِيلَ لِخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : إِصَابَةُ الْمَعْنَى ، وَالْقَصْدُ إِلَى الْحُجَّةِ . وَقِيلَ لِآخَرَ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : تَصْوِيرُ الْحَقِّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ ، وَتَصْوِيرُ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ . وَقِيلَ لِإِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : الْجَزَالَةُ وَالْأَصَالَةُ . قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ حَسَّانٍ : لَمْ يُفَسِّرْ أَحَدٌ الْبَلَاغَةَ تَفْسِيرَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ إِذْ قَالَ : الْبَلَاغَةُ لِمَعَانٍ تَجْرِي فِي وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ : فَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْإِشَارَةِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْحَدِيثِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي

الِاسْتِمَاعِ . وَمِنْهَا مَا يَكُون فِي الِاحْتِجَاجِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ شِعْرًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ ابْتِدَاءً . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ جَوَابًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ سَجْعًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ خُطَبًا . وَمِنْهَا رُبَّمَا كَانَتْ رَسَائِلَ . فَغَايَةُ هَذِهِ الْأَبْوَابِ الْوَحْيُ فِيهَا، وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْمَعْنَى أَبْلَغُ . وَالْإِيجَازُ هُوَ الْبَلَاغَةُ . فَالسُّكُوتُ يُسَمَّى بَلَاغَةً مَجَازًا ، وَهُوَ فِي حَالَةٍ لَا يَنْجَعُ فِيهَا الْقَوْلُ ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا إِقَامَةُ الْحُجَجِ . إِمَّا عِنْدَ جَاهِلٍ لَا يَفْهَمُ الْخِطَابَ . أَوْ عِنْدَ وَضِيعٍ لَا يَرْهَبُ الْجَوَابَ . أَوْ ظَالِمٍ سَلِيطٍ يَحْكُمُ بِالْهَوَى ، وَلَا يَرْتَدِعُ بِكَلِمَةِ التَّقْوَى . وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ يَعْرَى مِنَ الْخَيْرِ ، أَوْ يَجْلُبُ الشَّرَّ ، فَالسُّكُوتُ أَوْلَى . كَمَا قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

مَا كُلُّ نُطْقٍ لَهُ جَوَابُ

جَوَابُ مَا يُكْرَهُ السُّكُوتُ

وَرُبَّمَا كَانَ صَمْتُكَ فِي حَالٍ أَرْفَقَ مِنْ كَلَامِكَ ، وَلَهُ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ قَوْلُهُمْ : كُلُّ صَامِتٍ نَاطِقٌ مِنْ جِهَةِ الدَّلَالَةِ . وَذَلِكَ أَنَّ دَلَائِلَ الصَّنْعَةِ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَاضِحَةٌ . وَالْمَوْعِظَةَ فِيهَا قَائِمَةٌ . وَقَدْ قَالَ الرَّقَاشِيُّ : سَلِ الْأَرْضَ ، مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكِ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكِ ، وَجَنَى ثِمَارَكِ ؟ فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَاراً أَجَابَتْكَ اعْتِبَاراً . وَقَوْلُ ابْنِ الْمُقَفَّعِ : (رُبَّمَا كَانَتِ الْبَلَاغَةُ بِالِاسْتِمَاعِ) . لِأَنَّ الْمُخَاطَبَ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ الِاسْتِمَاعَ لَمْ يَقِفْ عَلَى الْمَعْنَى الْمُؤَدِّى إِلَى الْخِطَابِ . فَالِاسْتِمَاعُ الْحَسَنُ ، عَوْنٌ لِلْبَلِيغِ عَلَى إِفْهَامِ الْمَعْنَى .

وَقَدْ جَاءَ لِلْبَلَاغَةِ تَعْرِيفَاتٌ أُخَرُ مِنْهَا، قَوْلُ بَعْضِ حُكَمَاءِ الْهِنْدِ: جِمَاعُ الْبَلَاغَةِ الْبَصَرُ بِالْحُجَّةِ، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَوَاقِعِ الْفُرْصَةِ؛ وَمِنَ الْبَصَرِ بِالْحُجَّةِ، أَنْ تَدَعَ الْإِفْصَاحَ بِهَا إِلَى الْكِنَايَةِ عَنْهَا، إِذَا كَانَ طَرِيقُ الْإِفْصَاحِ وَعْراً، وَكَانَتِ الْكِنَايَةُ أَحْضَرَ نَفْعاً، قَالَ آخَرُ: أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا يُؤْنِسُ مَسْمَعُهُ، وَيُؤْيِسُ مَصْنَعُهُ.

وَالْبَلِيغُ مَنْ يَجْتَنِي مِنَ الْأَلْفَاظِ أَنْوَارَهَا، وَمِنَ الْمَعَانِي ثِمَارَهَا. لَيْسَتِ الْبَلَاغَةُ أَنْ يُطَالَ عِنَانُ الْقَلَمِ أَوْ سِنَانُهُ. أَوْ يُبْسَطَ رِهَانُ الْقَوْلِ وَمَيْدَانُهُ. بَلْ هِيَ أَنْ يَبْلُغَ أَمَدَ الْمُرَادِ بِأَلْفَاظٍ أَعْيَانٍ، وَمَعَانٍ أَفْرَادٍ، مِنْ حَيْثُ لَا تَزِيدُ عَلَى الْحَاجَةِ، وَلَا إِخْلَالٍ يُفْضِي إِلَى الْفَاقَةِ. وَصَفَ بَعْضُهُمُ الْبَلَاغَةَ قَالَ: هِيَ مَيْدَانٌ

لاَ يُقْطَعُ إِلَّا بِسَوَابِقِ الْأَذْهَانِ . وَلاَ يُسْلَكُ إِلَّا بِبَصَائِرِ الْبَيَانِ . يَبْعَثُ صَاحِبَهَا بِالْكَلاَمِ . وَيَقُودُهُ بِأَلْيَنِ زِمَامٍ . حَتَّى كَأَنَّ الْأَلْفَاظَ تَتَحَاشَدُ فِي التَّسَابُقِ إِلَى خَوَاطِرِهِ ، وَالْمَعَانِيَ تَتَغَايَرُ فِي الِانْثِيَالِ عَلَى أَنَامِلِهِ ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ الطَّائِيِّ :

تَغَايَرَ الشِّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهِرْتُ لَهُ
حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيَهِ سَتَقْتَتِلُ

وَقِيلَ فِي بَلِيغٍ : فُلاَنٌ مَشْرَفِيُّ الْمَشْرِقِ . وَصَيْرَفِيُّ الْمَنْطِقِ . الْبَيَانُ أَصْغَرُ صِفَاتِهِ ، وَالْبَلاَغَةُ عَفْوُ خَطَرَاتِهِ . كَأَنَّهُ أُوحِيَ بِالتَّوْفِيقِ إِلَى صَدْرِهِ ، وَحُسْنَ الصَّوَابِ بَيْنَ طَبْعِهِ وَفِكْرِهِ . يَحُزُّ مَفَاصِلَ الْكَلاَمِ . وَيَسْبِقُ فِيهَا إِلَى دَرْكِ الْمَرَامِ . كَأَنَّمَا جَمَعَ الْكَلاَمَ حَوْلَهُ ،

حَتَّى انْتَقَى مِنْهُ وَانْتَخَبَ ، وَتَنَاوَلَ مِنْهُ مَا طَلَبَ ، وَتَرَكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَذْنَاباً لَا رُؤُوساً ، وَأَجْسَاداً لَا نُفُوساً ، وَقِيلَ فِي آخَرَ : يَرْضَى بِعَفْوِ الطَّبْعِ ، وَيَقْنَعُ بِمَا خَفَّ عَلَى السَّمْعِ ، وَيُوجِزُ فَلَا يُخِلُّ ، وَيُطْنِبُ فَلَا يُمِلُّ ، فَلِلَّهِ فُلَانٌ أَخَذَ بِأَزِمَّةِ الْقَوْلِ ، يَقُودُهَا كَيْفَ أَرَادَ ، وَيَجْذِبُهَا أَنَّى شَاءَ ، فَلَا تَعْصِيهِ بَيْنَ الصَّعْبِ وَالذَّلُولِ ، وَلَا تسْلِمُهُ عِنْدَ الْحُزُونِ وَالسُّهُولِ ، كَلَامُهُ يَشْتَدُّ مَرَّةً حَتَّى تَقُولَ : الصَّخْرُ الْأَمْلَسُ ، وَيَلِينُ تَارَةً حَتَّى تَقُولَ : الْمَاءُ أَوْ أَسْلَسُ . يَقُولُ : فَيَصُولُ ، وَيُجِيبُ فَيُصِيبُ ، وَيَكْتُبُ فَيُطَبِّقُ الْمَفْصِلَ ، وَيُنَسِّقُ الدُّرَّ الْمُفَصَّلَ ، وَيَرِدُ مَشَارِعَ الْكَلَامِ وَهِيَ صَافِيَةٌ لَمْ تُطْرَقْ ، وَجَامَّةٌ لَمْ تُرْتَقْ ، خَاطِرُهُ

الْبَرْقُ أَوْ أَسْرَعُ لَمْعًا ، وَالسَّيْفُ أَوْ أَحَدُّ قَطْعًا ، وَالْمَاءُ أَوْ أَسْلَسُ جَرْيًا ، وَالْفَلَكُ أَوْ أَقْوَمُ هَدْيًا ، يَسْهُلُ الْكَلَامُ عَلَى لَفْظِهِ ، وَتَتَزَاحَمُ الْمَعَانِي عَلَى طَبْعِهِ ، فَيَتَنَاوَلُ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ بِقَرِيبِ سَعْيِهِ ، وَيَسْتَنْبِطُ الْمَشْرَعَ الْعَمِيقَ بِيَسِيرِ جَرْيِهِ ، لِسَانُهُ يَفْلِقُ الصُّخُورَ ، وَيُفِيضُ الْبُحُورَ ، خَطِيبٌ لَا تَنَالُهُ حُبْسَةٌ ، وَلَا تَرْتَهِنُهُ لُكْنَةٌ ، وَلَا تَتَحَيَّفُ بَيَانَهُ عُجْمَةٌ ، وَلَا تَعْتَرِضُ لِسَانَهُ عُقْدَةٌ ، يُحْسِنُ السِّفَارَةَ ، وَيَسْتَوْفِي الْعِبَارَةَ ، وَيُؤَدِّي الْأَلْفَاظَ ، وَيَسْتَغْرِقُ الْأَغْرَاضَ ، قَالَ حَتَّى قَالَ الْكَلَامُ : لَوْ أَعْفَيْتَ ، وَكَتَبَ حَتَّى قَالَتِ الْأَقْلَامُ : قَدْ أَحْفَيْتَ

ثُمَّ حَدَّثَنِي حَدِيثَ عَمْرِو بْنِ الْأَهْتَمِ ، وَالزِّبْرِقَانِ

ابْنِ بَدْرٍ ، وَقَدْ وَفَدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَسَأَلَ عَمْرَو بْنَ الْأَهْتَمِ عَنِ الزِّبْرِقَانِ ، فَقَالَ : « مُطَاعٌ فِي أَدْنَيْهِ ، شَدِيدُ الْعَارِضَةِ ، مَانِعٌ لِمَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ » ، فَقَالَ الزِّبْرِقَانُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنِّي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَلَكِنَّهُ حَسَدَنِي ؛ فَقَالَ عَمْرُو : أَمَا وَاللهِ ، إِنَّهُ لَزَمِرُ الْمُرُوءَةِ ، ضَيِّقُ الْعَطَنِ ، أَحْمَقُ الْوَالِدِ ، لَئِيمُ الْخَالِ ؛ وَاللهِ ، يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا كَذَبْتُ فِي الْأُولَى ، وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْأُخْرَى ؛ وَلَكِنِّي رَجُلٌ رَضِيتُ ، فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ ؛ وَسَخِطْتُ ، فَقُلْتُ أَقْبَحَ مَا وَجَدْتُ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » .

ثُمَّ اسْتَطْرَدَ ، رَحِمَهُ اللهُ ، إِلَى ذِكْرِ فِقْهِ اللُّغَةِ ، وَضَرُورَةِ تَعَلُّمِ النَّحْوِ ، وَالتَّعَمُّقِ فِيهِ ، وَالتَّفَهُّمِ لَهُ ، وَحُسْنِ التَّبَصُّرِ فِي فُنُونِهِ ، وَأَنَّهُ لِلْكَلَامِ كَمِلْحِ الطَّعَامِ ، وَلِلْكِتَابَةِ عِمَادٌ ، وَلِلتَّحْرِيرِ رَشَادٌ ، وَلِلشِّعْرِ مُفَسِّرٌ ، وَلِلنَّثْرِ مُقَوِّمٌ ، وَلِلرِّجَالِ مُرُوءَةٌ وَمَهَابَةٌ ، وَلِلْكُتَّابِ جَاهٌ وَزُلْفَى ، وَلِلْخُطَبَاءِ رَوْعَةٌ وَاسْتِلَابُ نُهَى ؛ رَاوِيًا قَوْلَ عَبْدِ الْمَلِكِ : « مَا النَّاسُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْعُلُومِ ، أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَى إِقَامَةِ أَلْسِنَتِهِمْ ، الَّتِي بِهَا يَتَحَاوَرُونَ الْكَلَامَ ، وَيَتَهَادَوْنَ الْحِكَمَ ، وَيَسْتَخْرِجُونَ غَوَامِضَ الْعِلْمِ مِنْ مَخَابِئِهَا ، وَيَجْمَعُونَ مَا تَفَرَّقَ مِنْهَا ؛ أَلَا إِنَّ الْكَلَامَ قَاضٍ يَجْمَعُ بَيْنَ الْخُصُومِ ، وَضِيَاءٌ يَجْلُو الظَّلَامَ ؛ وَحَاجَةُ

النَّاسِ إِلى مَوَادِّهِ ، كَحَاجَتِهِمْ إِلَى مَوَادِّ الْأَغْذِيَةِ » ؛
مُسْتَشْهِدًا بِالْكَثِيرِ فِي هَذَا الْبَابِ ، مِنْ مَنْظُومِ
الشُّعَرَاءِ وَمَنْثُورِ الْكُتَّابِ ، وَمُشِيراً إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ :

اقْتَبِسِ النَّحْوَ ، وَنِعْمَ الْمُقْتَبَسْ ،
وَالنَّحْوُ زَيْنٌ ، وَجَمَالٌ مُلْتَمَسْ
صَاحِبُهُ مُكَرَّمٌ ، حَيْثُ جَلَسْ ،
مَنْ فَاتَهُ ، فَقَدْ تَعَمَّى وَانْتَكَسْ
كَأَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْعِيِّ : خَرَسْ ،
شَتَّانَ مَا بَيْنَ الْحِمَارِ وَالْفَرَسْ

وَقَدْ أَتَاحَ اللهُ لِشَيْخِنَا أَحْسَنَ اللهُ مَثْوَاهُ ، فُرْصَةً ذَهَبِيَّةً لَمْ تُفْلِتْ مِنْ يَدِهِ الصَّنَاعِ ، وَحِكْمَتِهِ الْأَصِيلَةِ ، وَنَظَرَاتِهِ الْفَاحِصَةِ ، فَانْتَهَزَهَا أَبْدَعَ انْتِهَازٍ ،

وَاتخذَ مِنْهَا أَحْسَنَ أَدَاةٍ لِإِقْنَاعِ أَمْثَالِي مِنَ الشَّادِينَ بِالْأَدَبِ ، بِأَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ فِي بَلَاغَتِهَا وَسِحْرِهَا ، وَفُنُونِهَا ، وَطَلَاوَتِهَا وَفَرَاهَتِهَا ، تَرْجُحُ اللُّغَاتِ الْأَعْجَمِيَّةَ فِي تِلْكَ الْأَبْوَابِ جَمْعَاءَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْكُرَ شَيْئًا عَنْ ذَلِكَ ، مِنْ حُجَجِ نَفْسِهِ ، وَبَرَاهِينِ عِلْمِهِ ، — سِوَى التَّقْدِمَةِ — فِي صَمْتٍ وَسُكُونٍ ، وَهَوَادَةٍ وَاتِّئَادٍ ، فِي رِسَالَةِ أَبِي أَحْمَدَ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ سَعِيدٍ الْعَسْكَرِيِّ ، فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ ، وَالْأَدَبِ الْأَعْجَمِيِّ قَالَ :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : كُنْتُ ذَكَرْتُ لَكَ — أَسْعَدَكَ اللهُ — إِكْثَارَ النَّاسِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، فِي وَصْفِ الْبَلَاغَةِ ، وَتَصْرِيفَهُمُ الْقَوْلَ فِي أَقْسَامِهَا

وَأَنْوَاعِهَا ، وَأَنَّهَا أَلْفَاظٌ يُعَبَّرُ بِهَا عَنِ الْمَعَانِي « فَمِنْهَا » مَا يَكُونُ فِي النَّظْمِ « وَمِنْهَا » مَا يَكُونُ فِي النَّثْرِ وَيَكُونُ فِي الْمُكَاتَبَةِ وَالرَّسَائِلِ وَالْخُطَبِ وَالتَّشْبِيهَاتِ وَالْأَوْصَافِ ، وَفِي السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَأَمَّا بَلَاغَةُ الشِّعْرِ ؛ فَعُذُوبَةُ الْأَلْفَاظِ ، وَتَقْرِيبُ الْمَعَانِي ، وَاتِّسَاقُ النَّظْمِ ، وَرَشَاقَةُ الْمَعْرِضِ . كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي
وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ

وَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ فِي وَصْفِ فَرَسِهِ وَالتَّشْبِيهِ بِقَيْدِ الْأَوَابِدِ . وَقَوْلِ الْأَعْشَى :

فَهُمْ سَاكِتُونَ وَالْمَنِيَّةُ تَنْطِقُ

« وَمِنْهَا » مَا يَكُونُ بِإِصَابَةِ الْمَعْنَى وَقَرْعِ الْحُجَّةِ وَكَشْفِ الْغَزَلِ ، وَالْأَصْلُ عِنْدَهُمْ فِيهَا أَنَّهَا أَلْفَاظٌ يُعَبَّرُ بِهَا عَنِ الْمَعَانِي ، فَأَحْسَنُهَا مَا يَزِيدُ فِي كَشْفِ الْمَعْنَى مَعَ اخْتِصَارِهِ بِأَقَلِّ مَا يُمْكِنُ مِنَ الْعِبَارَةِ ، بِأَعْذَبِ الْأَلْفَاظِ وَأَخَفِّهَا عَلَى الْأَسْمَاعِ ، وَأَقْرَبِهَا إِلَى الْقُلُوبِ الْفُصُولُ الْكِتَابِيَّةُ . ثُمَّ ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّ الْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ مَقْصُورَةً عَلَى أُمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ ، وَلَا عَلَى مَلِكٍ دُونَ سُوقَةٍ ، وَلَا عَلَى لِسَانٍ دُونَ لِسَانٍ ، بَلْ هِيَ مَقْسُومَةٌ عَلَى أَكْثَرِ الْأَلْسِنَةِ ، فَهُمْ فِيهَا مُشْتَرِكُونَ ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي كَلَامِ الْيُونَانِيَّةِ ، وَكَلَامِ الْعَجَمِ ، وَكَلَامِ الْهِنْدِ وَغَيْرِهِمْ ، وَلَكِنَّهَا فِي الْعَرَبِ أَكْثَرُ ، لِكَثْرَةِ تَصَرُّفِهَا فِي النَّثْرِ وَالنَّظْمِ ، وَالْخُطَبِ

وَالْكُتُبِ وَالسَّجْعِ ، وَالْمُزْدَوَجِ وَالرَّجَزِ . وَهُمْ أَيْضًا مُتَفَاوِتُونَ فِيهَا ، فَقَدْ يَكُونُ الْعَبْدُ بَلِيغًا وَلَا يَكُونُ سَيِّدُهُ ، وَتَكُونُ الْأَمَةُ بَلِيغَةً وَلَا تَكُونُ رَبَّتُهَا . فَالْبَلَاغَةُ قَدْ تَكُونُ فِي أَعْرَابِ الْبَادِيَةِ دُونَ مُلُوكِهَا ، وَقَدْ يُحْسِنُهَا الصَّبِيُّ وَالْمَرْأَةُ . وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْبَلَاغَةَ مُشْتَرَكَةٌ : مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ ، قَالَ : قِيلَ لِيُونَانِيٍّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : تَصْحِيحُ الْأَقْسَامِ ، وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْفُرْسِ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ مِنَ الْوَصْلِ . وَقِيلَ لِهِنْدِيٍّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : وُضُوحُ الدَّلَالَةِ ، وَانْتِهَازُ الْفُرْصَةِ ، وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقِيلَ لِرُومِيٍّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : مَا فَهِمَتْهُ الْعَامَّةُ ، وَرَضِيَتْهُ

الْخَاصَّةُ . قَالَ الشَّيْخُ أَبُو أَحْمَدَ : وَمِنْ عَجِيبِ مَا فِيهِ ، وَبُعْدِ تَنَافِيهِ ، أَنْ يَأْتِيَ بَدَوِيٌّ أُمِّيٌّ جِلْفٌ جَافٍ ، فَيَبْتَدِعَ بِفِكْرِهِ وَقَرِيحَتِهِ الْمَعْنَى الْبَدِيعَ ، وَالتَّشْبِيهَ الْمُصِيبَ ، وَالسُّؤَالَ اللَّطِيفَ ، وَالْمَدْحَ الشَّرِيفَ ، وَالْغَزَلَ الرَّقِيقَ ، وَالْهِجَاءَ الْمُوجِعَ ، وَالذَّمَّ الْمُفْلِقَ بِنَظْمٍ عَجِيبٍ ، وَقَوَافٍ مُنْتَظِمَةٍ ، وَأَوْزَانٍ تَامَّةٍ ، وَأَقْسَامٍ مُعْتَدِلَةٍ ، وَأَلْفَاظٍ فَصِيحَةٍ عَذْبَةٍ ، يَشْتَهِي سَامِعُهَا أَنْ يَحْفَظَهَا ، ثُمَّ يَشْتَهِي أَنْ يُحَاضِرَ أَهْلَ الْمُرُوءَاتِ بِهَا ، مُتَمَثِّلًا أَوْ شَاكِرًا أَوْ عَاتِبًا ، أَوْ مُهَنِّئًا أَوْ مُعَزِّيًا ، فَلَا يَزْدَادُ عَلَى الدُّهُورِ إِلَّا نَضَارَةً وَجِدَّةً ، وَيَكُونُ مَنْ خَلَا مِنْهَا نَاقِصَ الْأَدَبِ وَالْمَعْرِفَةِ. كَقَوْلِ إِمْرِئِ الْقَيْسِ :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا
لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَّابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي

وَكَقَوْلِ الْحُطَيْئَةِ :

لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ

ثُمَّ يَجْتَهِدُ الْعَارِفُ الْمُصِيبُ ، وَالْعَالِمُ الْأَدِيبُ ، وَالرَّيِّضُ الْحَاذِقُ ، أَنْ يُدْرِكَ شَأْوَهُ ، فَلَا يَشُقُّ غُبَارَهُ

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْعُتْبِيِّ . قَالَ : سُئِلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَنْ حَدِّ الْبَلَاغَةِ فَقَالَ : التَّقَرُّبُ مِنْ مَعْنَى الْبُغْيَةِ ، وَالتَّبَاعُدُ مِنْ حَشْوِ الْكَلَامِ ، وَالدَّلَالَةُ بِقَلِيلٍ عَلَى كَثِيرٍ .

قَالَ الشَّيْخُ : وَأَكْثَرُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي الْبَلَاغَةِ ، أَنَّهَا الِاخْتِصَارُ ، وَتَقْرِيبُ الْمَعَانِي بِالْأَلْفَاظِ الْقِصَارِ ، وَالِاقْتِصَارُ عَلَى الْإِشَارَةِ إِلَى مَعَانِيهَا ، وَالدَّلَالَةُ بِالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ ، وَقَدْ سُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : لَمْحَةٌ دَالَّةٌ . وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ فِي الْحَذْفِ وَالِاخْتِصَارِ ، وَكَذَلِكَ جَعْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ ، إِحْضَارَ فَرَسِهِ ، وَسُرْعَةَ لَحَاقِهِ لِلصَّيْدِ ، وَأَنَّ الْأَوَابِدَ لَا تَطْمَعُ فِي التَّخَلُّصِ مِنْهُ فَجَمَعَ هَذَا فِي قَوْلِهِ : قَيْدِ الْأَوَابِدِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

إِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَّاتِهِ هَرِمٌ

فَفِي قَوْلِهِ عَلَى عِلَّاتِهِ : مَا يَنُوبُ عَنْ كُلِّ مَانِعٍ وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْأَعْشَى :

فَهُمْ سَاكِتُونَ وَالْمَنِيَّةُ تَنْطِقُ

وَهَذَا يَكْثُرُ ، وَفِي مَا أَوْرَدْنَاهُ بَلَاغٌ .

وَمِنْ ذَلِكَ ، أَيْضًا ، قَوْلُ الْحَجَّاجِ لِابْنِ الْقِرِّيَّةِ وَكَانَ أَبْلَغَ النَّاسِ وَأَنْطَقَهُمْ فِي زَمَانِهِ ، فَأَرْسَلَهُ الْحَجَّاجُ إِلَى هِنْدٍ بِنْتِ الْمُهَلَّبِ وَقَالَ أَبْلِغْهَا طَلَاقَهَا بِكَلِمَتَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا ، فَذَهَبَ إِلَيْهَا وَقَالَ لَهَا : كُنْتِ فَبِنْتِ ، فَعَرَفَتْ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَأَجَابَتْ بِمَا يَقْرُبُ مِنْهُ ، وَقَالَتْ : مَا فَرِحْنَا بِهِ إِذْ كَانَ ، وَلَا حَزِنَّا عَلَيْهِ إِذْ بَانَ ، وَهَذِهِ وَإِنْ زَادَتْ فِي الْأَلْفَاظِ ، فَقَدِ اسْتَوْفَتِ الْمَعْنَى ، وَقَرَعَتِ الْمُرَادَ وَلِهَذَا وَقَّعَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى إِلَى كُتَّابِهِ ، لِيَكُنْ كَلَامُكُمْ فِي كُتُبِكُمْ ، مِثْلَ التَّوْقِيعِ ، يَحُضُّ بِذَلِكَ

عَلَى غَايَةِ الْحَذْفِ وَالْاِخْتِصَارِ « وَمِنْ هَذَا » أَنَّ الْمَأْمُونَ أَمَرَ عَمْرَو بْنَ مَسْعَدَةَ الْكَاتِبَ ، أَنْ يَكْتُبَ لِرَجُلٍ لَهُ بِهِ عِنَايَةٌ إِلَى بَعْضِ الْعُمَّالِ بِقَضَاءِ حَقِّهِ ، وَأَنْ يَخْتَصِرَ كِتَابَهُ مَا أَمْكَنَهُ ، حَتَّى تَكُونَ كِتَابَتُهُ فِي سَطْرٍ وَاحِدٍ بِلاَ زِيَادَةٍ ، فَكَتَبَ عَمْرٌو : كِتَابِي إِلَيْكَ ، كِتَابُ وَاثِقٍ بِمَنْ كُتِبَ إِلَيْهِ ، مَعْنِيٍّ بِمَنْ كُتِبَ لَهُ ، وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ الثِّقَةِ وَالْعِنَايَةِ حَامِلُهُ .

« وَمِنْ هَذَا » مَا كَتَبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ مَرْوَانَ ، إِلَى الْحَجَّاجِ وَقَدْ تَلَكَّأَ عَنْ بَيْعَتِهِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَرَاكَ تُقَدِّمُ رِجْلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي ، فَاعْتَمِدْ عَلَى أَيَّتِهِمَا شِئْتَ وَالسَّلَامُ .

وَسَأَذْكُرُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، صَدْراً مِنَ الْفُصُولِ

الْمُخْتَارَةِ مِنْ غَيْرِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ، ثُمَّ أَذْكُرُ بَعْدَهُ صَدْراً مِنَ الْفُصُولِ الْعَرَبِيَّةِ ، مِمَّا يَصْلُحُ لِلْمُذَاكَرَةِ ، وَيَبْعَثُ عَلَى النَّشَاطِ ، فَإِذَا قَرَأَهَا قَارِئٌ ، دَلَّتْ عَلَى أَنْفُسِهَا فِي الْإِيجَازِ وَالْحَذْفِ ، وَالْجَمْعِ لِلْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ ، بِالْأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةِ .

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ سُقْرَاطَ : دَلَّ الْجِسْمُ عَلَى صَانِعِهِ ، فَجَمَعَ بِثَلَاثِ لَفْظَاتٍ خِفَافٍ ، مَعَانِيَ كَثِيرَةً جَلِيلَةَ الْقَدْرِ ، لِأَنَّ الْجِسْمَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَصْنَعْ نَفْسَهُ ، وَأَنَّ لَهُ صَانِعاً حَكِيماً ، كَمَا يَدُلُّ الْبِنَاءُ عَلَى الْبَانِي ، وَالْكِتَابُ عَلَى الْكَاتِبِ ، فَانْظُرْ كَمْ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا يُحْكَى عَنْ بَعْضِ مُلُوكِهِمْ أَنَّهُ سُئِلَ : مَا الَّذِي يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَةِ اللهِ ، وَيُثْبِتُ الْعِلْمَ بِالْغَيْبِ ؟ فَقَالَ :

إِنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ عِلْماً ، فَهُوَ يُصَرِّفُهُ وَيَحُوطُهُ ، فَمَنْ كَانَ مُعْتَبِراً بِالْجَلِيلِ مِنْ ذَلِكَ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ ، فَيَعْلَمَ أَنَّ لَهَا بَارِئاً يُجْرِي فَلَكَهَا ، وَيُدَبِّرُ أَمْرَهَا ، وَمَنِ اعْتَبَرَ بِالصَّغِيرِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى حَبَّةِ الْخَرْدَلِ ، فَيَعْلَمَ أَنَّ لَهَا مُدَبِّراً يُنْشِئُهَا وَيُرَكِّبُهَا ، وَيُقَدِّرُ لَهَا أَقْوَاتاً مِنَ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ ، وَيُوَقِّتُ لَهَا زَمَاناً لِهَشْمِهَا ، وَأَمْرِ النُّبُوَّةِ وَالْآيَاتِ وَمَا يَحْدُثُ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ ، مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ، ثُمَّ اجْتِمَاعِ الْعُلَمَاءِ وَالْجُهَّالِ ، وَالْمُهْتَدِينَ وَالضُّلَّالِ ، عَلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وَتَعْظِيمِهِ ، وَاجْتِمَاعِ مَنْ شَكَّ فِي اللهِ وَكَذَّبَ بِهِ ، عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يُحْدِثُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَكُلُّ ذَلِكَ يَهْدِيكَ إِلَى اللهِ ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَنْشَأَ

الْخَلْقَ وَدَبَّرَ هٰذِهِ الْأُمُورَ. قَالَ الشَّيْخُ: وَهٰذَا الْكَلَامُ عَلَى طُولِهِ، قَدْ انْتَظَمَ أَكْثَرُ مَعَانِيهِ، فِي قَوْلِ سُقْرَاطَ: دَلَّ الْجِسْمُ عَلَى صَانِعِهِ.

وَقَالَ الْإِسْكَنْدَرُ: وَعَظَكَ فِكْرُكَ، وَأَرْشَدَكَ عَقْلُكَ، حِينَ حَيَّرَكَ سَمْعُكَ، وَغَشَّكَ مَخْبَرُكَ، وَإِنَّ الْإِنْسَانَ بِاخْتِلَافِ الْمَسْمُوعِ يَتَحَيَّرُ، وَيَضِلُّ بِغِشِّ الْمُخْبِرِينَ، وَيَسُومُهُمْ فِي مَا يُخْبِرُونَ بِهِ، فَيُمَيِّزُ لَهُ عَقْلُهُ الصَّوَابَ مِنَ الْخَطَإِ، وَيُرْشِدُهُ إِلَى الْحَقَائِقِ، وَيُخْرِجُهُ مِنَ الْحَيْرَةِ. وَقَالَ مُطَلَّبٌ الْعَرَابِيُّ لِلْإِسْكَنْدَرِ: أَخْلَاقُكَ تَجْعَلُ الْعَدُوَّ صَدِيقًا، وَأَحْكَامُكَ تَجْعَلُ الصَّدِيقَ عَدُوًّا، وَيَشْهَدُ لَكَ عَدَمُ مِثْلِكَ فِي مَا كَانَ، بِعَدَمِ مِثْلِكَ فِي مَا يَكُونُ.

قَالَ الشَّيْخُ : فَانْظُرِ الآنَ ، كَمْ مَعْنًى حَسَنٍ ، تَحْتَ هَذِهِ الأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةِ ، يَعْنِي أَنَّ حُسْنَ خُلُقِهِ ، يَرُدُّ عَدُوَّهُ إِلَى صَدَاقَتِهِ ، وَأَنَّ عَدْلَ حُكْمِهِ ، لَا يَفْرِقُ بَيْنَ عَدُوٍّ وَصَدِيقٍ ، وَأَنَّ عَدَمَ مِثْلِهِ فِي مَاضِي الدُّهُورِ ، قَدْ شَهِدَ بِأَنَّ مِثْلَهُ ، لَا يَكُونُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْعُصُورِ ، وَهَذَا كَلَامٌ مَنْقُولٌ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ، وَلَعَلَّهُ بِلُغَتِهِ كَانَ أَفْصَحَ وَأَحْسَنَ . وَلَمَّا شَاوَرَ أَبُو مُسْلِمٍ بَعْضَ الْفُرْسِ فِي أَمْرِهِ ، قَالَ لَهُ : قُلْ مَا يُقْبَلُ ، وَخُذْ مَا يَسْهُلُ ، وَاعْمَلْ مَا يَحْمُلُ ، فَجَمَعَ لَهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ ، أَكْثَرَ مَعَانِي السِّيَاسَةِ . وَفِي مَا يُرْوَى : أَنَّ بَعْضَهُمْ رَأَى شَابًّا لَا أَدَبَ لَهُ ، وَعَلَيْهِ خَاتَمُ ذَهَبٍ ، فَقَالَ : حِمَارٌ عَلَيْهِ لِجَامُ ذَهَبٍ

وَنَظَرَ إِلَى شَابٍّ أَحْمَقَ ، قَاعِدٍ عَلَى حَجَرٍ ، فَقَالَ : هَذَا حَجَرٌ ، قَاعِدٌ عَلَى حَجَرٍ . وَقَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ : الْحَاجَةُ إِلَى الْعَقْلِ ، أَقْبَحُ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الْمَالِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : مُحِبُّ الشَّرَفِ ، هُوَ الَّذِى يُتْعِبُ نَفْسَهُ ، بِالنَّظَرِ فِى الْعِلْمِ . وَقَالَ سُقْرَاطُ : اللَّذَّةُ خُنَاقٌ مِنْ عَسَلٍ ، وَرَأَى سُقْرَاطُ طَبِيباً جَاهِلًا فَقَالَ : هَذَا مُسْتَحِثٌّ يَعْنِى يَعْجَلُ بِمَنْ يُعَالِجُ إِلَى الْمَوْتِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ تَلَامِذَتِهِ : قَدْ مَاتَ أُسْتَاذُكَ ، فَقَالَ : الْوَيْحُ لِى ، لَقَدْ ضَاعَ مِسَنُّ عَقْلِى .

قَالَ الشَّيْخُ : وَهَذَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى فِى كَلَامِ الْعَجَمِ ، وَلَا سِيَّمَا عُلَمَائِهِمْ وَوُزَرَائِهِمْ ، الَّذِينَ أَخْرَجُوا كَلَامَهُمْ مَخْرَجَ التَّوْقِيعِ[1] . فَمِنْ ذَلِكَ

(١) التوقيع : الايجاز . ومنها توقيعات الخلفاء والأمراء ممن أوتوا حظا من البلاغة

مَا يُحْكَى أَنَّ أَنُوشَرْوَانَ ، وَقَّعَ إِلَى وُلَاةِ الْخَرَاجِ، الْخَرَاجُ عَمُودُ الْمُلْكِ ، وَمَا اسْتُنْزِرَ بِمِثْلِ الْجَوْرِ ، وَلا اسْتُغْزِرَ بِمِثْلِ الْعَدْلِ. وَوَقَّعَ أَيْضًا فِي رُقْعَةِ رَجُلٍ وَكِيلٍ لَهُ ، أَمَرَهُ بِبِنَاءِ قَصْرِهِ فَأَخَّرَهُ ، أَنْتَ مَاشٍ وَالْأَيَّامُ رَاكِضَةٌ ، وَالْعَمَلُ بَاعٌ وَالْعِنَايَةُ فِتْرٌ . وَوَقَّعَ أَيْضًا فِي رُقْعَةِ قِهْرِمَانٍ لَهُ ، أَمَرَهُ بِتَقْدِيرِ بِنَاءٍ بِالْفَارِسِيَّةِ ، دوروز مذوذ ، وَقَدْ اسْتَوْفَى هَذَا الْمَعْنَى ، مَا قِيلَ فِي الْعَرَبِيَّةِ فِي أَمْثَالِهَا ، مَنْ يَسْمَعْ يَخَلْ .

قَالَ الشَّيْخُ : وَأَبْيَاتُ الشِّعْرِ كَثَّرَتْ أَمْثَالَ الْعَرَبِ ، وَزَادَتْ عَلَى أَمْثَالِ سَائِرِ الْأُمَمِ ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِ الْعَرَبِ الشِّعْرُ أَيْضًا عَلَى قَدِيمِ الْوَقْتِ ، فَلِلْفُرْسِ أَشْعَارٌ لَا تُضْبَطُ كَثْرَةً ، وَلِلْيُونَانِيِّينَ أَشْعَارٌ دُونَ

الْفُرْسِ . وَكَانَ أَفْلاَطُونُ بَعْضَ مَنْ يَقُولُ الشِّعْرَ وَيَقُولُ فِي ذَمِّهِ : إِنَّ الشَّاعِرَ مُصَوِّرٌ لِلسَّمْعِ ، وَالْمُزَوِّقُ مُصَوِّرٌ لِلْبَصَرِ ، فَأَمَّا الْفُرْسُ ، فَفِي مَنْثُورِ أَخْبَارِهِمْ ، وَذِكْرِ حُرُوبِهِمْ ، أَشْعَارٌ كَانَتْ تُدَوَّنُ وَتُخَلَّدُ فِي الْخَزَائِنِ ، الَّتِي كَانَتْ بُيُوتَ الْحِكْمَةِ ، ثُمَّ دَرَسَ أَكْثَرُهَا ، مَعَ دَرْسِ كَلاَمِهِمْ ، وَبَقِيَ مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ ، السَّوَائِرُ مِنَ الْأَمْثَالِ ، تَجْرِي عَلَى أَفْوَاهِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ . وَحَكَى أَبُو عُبَيْدَةَ فِي مَا حَكَى عَنْهُ أَبُو حَاتِمٍ : أَنَّهُ أَوْصَلَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ ابْنِ سَهْلٍ الْبَاهِلِيِّ ، أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ مَثَلٍ عَرَبِيٍّ ، بَعْضُهَا فِي الْجُلُودِ ، وَبَعْضُهَا فِي الْقُطْنِيِّ ، وَبَعْضُهَا فِي الْقِرْطَاسِ ، فَتَفَرَّدَتِ الْعَرَبُ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ

بِكَثْرَةِ الْأَمْثَالِ . وَسَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ دُرَيْدٍ يَقُولُ : اجْتَمَعَ فِي دِيوَانِ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ شُعَرَائِهِمْ ، أَلْفُ مَثَلٍ لِلْعَرَبِ ، وَأَلْفُ مَثَلٍ لِلْعَجَمِ . فَمِنْ تَوْقِيعَاتِ الْعَجَمِ : تَوْقِيعُ أَرْدَشِيرَ بْنِ بَابَكَ ، وَكَانَ أَهْلُ زَمَانِهِ قُحِطُوا ، فَرَفَعُوا إِلَيْهِ قِصَّةً يَشْكُونَ ذَلِكَ ، فَوَقَّعَ إِلَى صَاحِبِ بَيْتِ الْمَالِ ، إِذَا قَحِطَ الْمَطَرُ ، جَادَتْ سَحَائِبُ الْمَلِكِ ، فَفَرِّقْ فِيهِمْ مَا قَاتَهُمْ وَمَانَهُمْ . وَشُكِيَ مِثْلُ ذَلِكَ إِلَى قُبَاذَ بْنِ كِسْرَى ، فَوَقَّعَ ، لِيَكُنْ مِنِّي الْبِرُّ لِلرَّعِيَّةِ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ ، فَإِنِّي وَإِيَّاهُمْ فِي نَفْعِ ذَلِكَ مُسْتَوُونَ . وَمَدَحَ رَجُلٌ مِنَ الْخَاصَّةِ ، كِسْرَى بْنَ قُبَاذَ ، بِمَدْحٍ أَطْنَبَ فِيهِ وَأَسْهَبَ ، وَذَهَبَ كُلَّ مَذْهَبٍ ،

وَكَانَ الْمَدْحُ فِي رُقْعَةٍ ، فَوَقَّعَ فِيهَا كِسْرَى : إِنِّي لِلْمَدْحِ مُسْتَصْغِرٌ ، لِعِلْمِي بِأَشْيَاءَ قَدْ مُدِحَتْ ، وَكَانَتْ بِأَنْ تُذَمَّ مَحْقُوقَةً . وَوَقَّعَ أَنُوشَرْوَانُ فِي رُقْعَةِ مُتَنَصِّحٍ . ثَمَرَاتُ النَّصَائِحِ ، شُكْرُ الْجَوَارِحِ ، وَخَرَجَ التَّوْقِيعُ إِلَى وَزِيرٍ لَهُ ، فَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : قَدْ جَمَعْنَا إِلَى شُكْرِ اللِّسَانِ ، شُكْرَ الْيَدِ ، وَهُوَ الْبَذْلُ ، وَوَقَّعَ كِسْرَى فِي رُقْعَةِ رَجُلٍ ، سَأَلَهُ فِيهَا النُّقْلَةَ عَنْ صِنَاعَةٍ إِلَى صِنَاعَةٍ غَيْرِهَا ، وَكَانَتْ صِنَاعَتُهُ خَسِيسَةً ، فَاخْتَارَ صِنَاعَةً رَفِيعَةً ، فَوَقَّعَ فِي رُقْعَتِهِ : أَنَا حَامِلٌ لِلرَّعِيَّةِ ، عَلَى لُزُومِ مَنْزِلَتِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ ، وَلِنَفْسِي عَلَى مَا يَحْمِلُ عَلَى اللُّزُومِ لَهَا ، وَرَفَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ خَدَمِهِ رُقْعَةً ،

فِيهَا أَنَّ إِنْسَانًا مِنَ الْعَامَّةِ ، دَعَاهُ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ، وَأَنَّهُ أَطْعَمَهُ طَعَامَ الْخَاصَّةِ ، وَسَقَاهُ شَرَابَهَا ، قَالَ : فَرَأَيْتُ أَلَّا أَسْتُرَ هَذَا عَنِ الْمَلِكِ ، لِأَنَّهُ خَلَلٌ فِي الْمَمْلَكَةِ ، فَوَقَّعَ فِي رُقْعَتِهِ ، قَدْ حَمِدْنَاكَ عَلَى نَصِيحَتِكَ ، وَذَمَمْنَا صَاحِبَكَ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ الْإِخْوَانَ .

وَمِنْ حَدِّ الْبَلَاغَةِ ، جَمْعُ الْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ ، فِي الْأَلْفَاظِ الْيَسِيرَةِ ، فَقَدْ سُئِلَ خَلَفٌ الْأَحْمَرُ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا لَنَا نَرَى فِي الْكَلَامِ الْقَلِيلِ عِدَّةَ مَعَانٍ ، فَقَالَ : إِنَّ كَلَامَ الْعَرَبِ أَوْعِيَةٌ ، وَالْمَعَانِيَ أَمْتِعَةٌ ، فَرُبَّمَا جُعِلَتْ ضُرُوبٌ مِنَ الْأَمْتِعَةِ فِي وِعَاءٍ وَاحِدٍ . وَقَالَ أَبُو الْهُذَيْلِ الْعَلَّافُ لِبَعْضِ مَنْ نَاظَرَهُ : هَذَا كَلَامٌ فَارِغٌ . وَأَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ ، قَالَ :

أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ حَصْرٍ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ مُعَاوِيَةُ لِصُحَارٍ الْعَبْدِيِّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : أَنْ تَقُولَ فَلَا تُبْطِىءَ ، وَتُصِيبَ فَلَا تُخْطِىءَ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : كَذَا قُلْتَ يَا صُحَارُ وَقَالَ : أَقِلْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الْبَلَاغَةُ أَلَّا تُبْطِىءَ وَلَا تُخْطِىءَ . وَحُكِيَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، وَكَانَ قَرِيعَ دَهْرِهِ بَلَاغَةً فِي الْمُكَاتَبَةِ ، وَجَوْدَةَ لِسَانٍ فِي الْمُخَاطَبَةِ ، أَنَّهُ قَالَ : إِذَا كَانَ الْإِيجَازُ كَافِياً ، كَانَ التَّطْوِيلُ عِيًّا ، وَإِنْ كَانَ التَّطْوِيلُ وَاجِباً ، كَانَ التَّقْصِيرُ عَجْزاً . وَحَكَى الْمُفَضَّلُ قَالَ : قُلْتُ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ الْإِيجَازُ مِنْ غَيْرِ عَجْزٍ ، وَالْإِطْنَابُ فِي غَيْرِ خَطَلٍ . وَوَصَفَ الْجَاحِظُ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ

فَقَالَ : كَانَ لَا يَتَوَقَّفُ ، وَلَا يَسْتَدْعِي مَعْنًى مِنْ بُعْدٍ . قَالُوا : وَالْبَلِيغُ الْكَامِلُ ، هُوَ الَّذِي تَكُونُ الْأَلْفَاظُ عِنْدَهُ عَزِيزَةً ، وَالْمَعَانِي فِي نَفْسِهِ جَمَّةً كَثِيرَةً . قَالُوا : وَمَحْصُورُ الْبَلَاغَةِ أَنَّ لَهَا ثَلَاثَ حَالَاتٍ ، حَالاً يَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي الْمَعَانِي مِنْ أَجْلِهَا ، وَحَالاً يَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي الْأَلْفَاظِ ، وَحَالاً مُرَكَّبَةٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي ، وَهِيَ ذَاتُ الْبَلَاغَةِ الَّتِي تُخْتَصُّ بِاسْمِهَا ، وَلِلْبَلَاغَةِ ثَلَاثَةُ مَذَاهِبَ ، تُقْصَدُ فِي اسْتِعْمَالِهَا ، أَحَدُهَا الْمُسَاوَاةُ ، وَهِيَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ كَالْقَالَبِ لِلْمَعْنَى ، لَا يَفْضُلُ عَنْهُ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ ، وَالثَّانِي الْإِشَارَةُ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ مُشَاراً بِهِ إِلَى الْمَعْنَى بِاللَّمْحَةِ الدَّالَّةِ ، وَالثَّالِثُ التَّبْدِيلُ ، وَهُوَ إِعَادَةُ الْأَلْفَاظِ

الْمُتَرَادِفَةِ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ بِعَيْنِهِ ، حَتَّى يَظْهَرَ لِمَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ ، وَيَتَوَكَّدَ عِنْدَ مَنْ فَهِمَهُ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ ، مَوْطِنٌ يَلِيقُ بِهِ ، وَوَقْتٌ لَا يَصْلُحُ فِيهِ غَيْرُهُ ، وَسَأَذْكُرُ هَهُنَا صَدْرًا مِنَ الْفُصُولِ الْقِصَارِ ، مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ ، مِمَّا يَتَضَمَّنُ الْفِقَرَ الْمُخْتَارَةَ ، وَالْمَعَانِيَ الْمَجْمُوعَةَ ، بِاللَّفْظِ الْقَلِيلِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ . وَأَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُمَيْدٍ الْكَلَارِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي أَحْمَدَ ، يَحْكِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ بَحْرٍ الْجَاحِظَ يَقُولُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَالَ : سِتُّ كَلِمَاتٍ مَا سَبَقَهُ إِلَيْهَا أَحَدٌ ، تُوزَنُ

كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهَا بِأَلْفِ كَلِمَةٍ ، قَالَ : فَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْهَا كَثِيراً ، فَقَالَ لِي بَعْدَ مُدَّةٍ : الْأُولَى قَوْلُهُ : قِيمَةُ كُلِّ امْرِىءٍ مَا يُحْسِنُهُ . الثَّانِيَةُ : النَّاسُ أَعْدَاءٌ لِمَا جَهِلُوا . الثَّالِثَةُ : لِسَانُكَ يَقْتَضِيكَ مَا عَوَّدْتَهُ . الرَّابِعَةُ : رَحِمَ اللهُ امْرَأً عَرَفَ قَدْرَهُ . الْخَامِسَةُ : لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ . السَّادِسَةُ : الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . وَمِنْهَا قَوْلُهُمْ : السَّفَرُ مِيزَانُ الْقَوْمِ ، وَالْعَرُوضُ مِيزَانُ الشِّعْرِ . وَقَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : هَاجِرُوا وَلَا تَهْجُرُوا ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ . وَقَوْلُهُمْ : السَّعِيدُ مَنْ كُفِيَ . وَقَوْلُهُمْ : إِيَّاكَ وَمَا تَعْتَذِرُ مِنْهُ . وَقَوْلُهُمْ رُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ . رُبَّ مَلُوم غَيْرُ مُلِيمٍ . رُبَّمَا قَتَلَ الْبَلِيغَ

لِسَانُهُ . الْعُيُونُ عُنْوَانُ الْقُلُوبِ . الْقُلُوبُ أَبْصَرُ مِنَ الْعُيُونِ . مَنْ ضَاقَ قَلْبُهُ اتَّسَعَ لِسَانُهُ . وَقَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ : وَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُهُمْ عَنْ حَضَرِ[1] فَرَسِهِ فَقَالَ : يَحْضُرُ مَا وَجَدَ أَرْضًا . وَقَالَ آخَرُ : يَسْبِقُ الطَّرْفَ ، وَيَسْتَغْرِقُ الْوَصْفَ . أَعْوَجُ اللَّبَانِ[2] ، طَوْعُ الْعِنَانِ . كَأَنَّهُ مَوْجٌ يَمُورُ ، أَوْ سَيْلٌ فِي حُدُورٍ . وَقَوْلُهُمْ : الْفِكْرَةُ مُخُّ[3] الْعَمَلِ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : إِنَّكَ لَمُحْسِنُ الْكُدْيَةِ فَقَالَ : ذَاكَ عُنْوَانُ نِعْمَةِ اللهِ عِنْدِي . وَقَوْلُهُمْ : حَسْبُكَ مِنْ شَرٍّ اسْتِمَاعُهُ . دَلَّ الشَّرُّ عَلَى نَفْسِهِ . الْبَادِي أَظْلَمُ . حِفْظُ الْمَوْجُودِ ، أَيْسَرُ مِنْ طَلَبِ الْمَفْقُودِ . مَنْ عَزَّ بَزَّ . سِرُّكَ مِنْ دَمِكَ غُنْمٌ سَالِمٌ . سُئِلَ رَجُلٌ رَكِبَ الْبَحْرَ عَنْ أَعْجَبِ

(١) الحضر : سرعة العدو (٢) اللبان : صدر الجواد .
(٣) مخ العمل : روحه وخلاصته

مَا رَأَى ، فَقَالَ : سَلَامَتِي . بِشْرُ وَامِقٍ . لَا كُنْرُ مُنَافِقٍ . الْمَلَقُ شُكْرُ الضَّعِيفِ . الصَّدِيقُ يَصْدُقُ ، وَالْعَدُوُّ يَتَمَلَّقُ . اقْضِ دُيُونَ الْإِحْسَانِ إِلَيْكَ بِاللِّسَانِ قَبْلَ فَقْدِ الْإِمْكَانِ . مَنْ وَاكَلَكَ فِي الرَّخَاءِ ، خَذَلَكَ فِي الْبَلَاءِ . عَجَبًا لِلْخَيْرِ الْمَمْدُوحِ الْمَتْرُوكِ ، وَالشَّرِّ الْمَذْمُومِ الْمَفْعُولِ . مَنْ نَمَّ إِلَيْكَ ، نَمَّ عَلَيْكَ ، مَنْ أَسَاءَ اسْتَوْحَشَ . سَاعَاتُ اللَّذَّةِ ، هِيَ سَاعَاتُ الْغَفْلَةِ . قَالَ الشَّيْخُ : هَذَا مِثْلُ قَوْلِ سُقْرَاطَ : اللَّذَّةُ خُنَاقٌ مِنْ عَسَلٍ ، عِنْدَ صَفْوِ الْعَيْشِ يَكْدُرُ . الْمُرِيبُ مُخِيفٌ . الْمَحْبُوبُ مَذْكُورٌ . مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كُلِّهِ . صَدِيقُ الرَّجُلِ عَقْلُهُ ، وَعَدُوُّهُ جَهْلُهُ قَالَ الشَّيْخُ : وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ أَرِسْطَاطَالِيسَ : فِي

مَا يَرُدُّ عَلَى أَفْلاَطُونَ ، إِنْ كَانَ أَفْلاَطُونُ لَنَا صَدِيقاً ، فَالْحَقُّ أَصْدَقُ لَنَا مِنْهُ .

فصول كتابية

كَتَبَ بَعْضُهُمْ : قَلْبِي نَجِيُّ ذِكْرِكَ ، وَلِسَانِي خَادِمُ شُكْرِكَ . وَكَتَبَ آخَرُ : فُلاَنٌ أَذَلُّ مِنْ شَاهِدِ زُورٍ عِنْدَ مَنْ شَهِدَ لَهُ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : الْعَقْلُ خَادِمُ الْجَهْلِ . وَقَالَ آخَرُ : الِاسْتِطَالَةُ لِسَانُ الْجَهَالَةِ ، وَكَتَبَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ فِي اسْتِزَادَةِ الْعِمَارَاتِ ، خَرِيرُ الْمَاءِ ، لَحْنُ الْعِمَارَةِ . كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى عَامِلٍ : اعْلَمْ أَنَّ النَّظَرَ إِذَا أَخْلَفَ لَكَ أَخْلَفَ مِنْكَ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : وَقَدْ كَانَ جَرَى ذِكْرُ الْبَلاَغَةِ ، وَأَنَّ بَعْضَ وَلَدِهِ بَلِيغٌ ،

إِنِّى لَا كْرَهُ أَنْ يَطُولَ لِسَانُهُ ، فَاضِلًا عَنْ مِقْدَارِ عِلْمِهِ ، كَمَا أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مِقْدَارُ عِلْمِهِ ، فَاضِلًا عَنْ مِقْدَارِ لِسَانِهِ . وَقَالَ آخَرُ : فَضْلُ الْفِعَالِ عَلَى الْمَقَالِ مَكْرُمَةٌ ، وَفَضْلُ الْمَقَالِ عَلَى الْفِعَالِ خَدِيعَةٌ . وَقِيلَ لِأَبِى دَاوُدَ الْإِيَادِىِّ فِى بِنْتِـــهِ : أَهَنْتَهَا يَا أَبَا دَاوُدَ فَقَالَ : أَهَنْتُهَا بِكَرَامَتِى ، كَمَا أَكْرَمْتُهَا بِهَوَانِى . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : تَرْكُ الشُّكْرِ ، كُفْرُ النِّعْمَةِ . وَقَالَ آخَرُ : الشُّكْرُ نَسِيمُ النِّعْمَةِ . الْهَيْبَةُ خَيْبَةٌ ، وَالْحَيَاءُ حِرْمَانٌ . الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ . وَقَالَ إِسْحَاقُ يَوْمًا لِلْعَبَّاسِ بْنِ الْحَسَنِ : إِنِّى لَأُحِبُّكَ . فَقَالَ رَائِدُ ذَاكَ مَعِى .

قَرَأْتُ فِى فَصْلٍ لِسَعِيدِ بْنِ حُمَيْدٍ ، نَحْنُ فِى

زَمَانٍ ، الْمَعْرُوفُ فِيهِ زَلَلٌ ، وَالصَّوَابُ فِيهِ خَطَلٌ ، وَالْإِنْعَامُ مَثَلٌ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : قَدْ رَخَّصَتِ الضَّرُورَةُ فِي الْإِلْحَاحِ ، أَرْجُو أَنْ تُحْسِنَ النَّظَرَ ، كَمَا أَحْسَنْتُ الِانْتِظَارَ . وَكَتَبَ آخَرُ : الْعُذْرُ وَاجِبٌ فَرَأْيُكَ فِيهِ . الِاعْتِذَارُ خَيْرٌ مِنَ الِاغْتِرَارِ .

حَكَى الصُّولِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي الْغَلَّابِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى يَقُولُ : لِسَانُ الْحَالِ ، أَفْصَحُ مِنْ لِسَانِ الشَّكْوَى .

وَكَتَبَ آخَرُ : اشْكُرْ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ ، وَأَنْعِمْ عَلَى مَنْ شَكَرَكَ .

وَكَتَبَ آخَرُ : إِذَا كُنْتَ لَا تُؤْتَى مِنْ نَقْصِ كَرَمٍ ، وَكُنْتُ لَا أُوتَى مِنْ ضَعْفِ سَبَبٍ ، فَكَيْفَ

أَخَافُ مِنْكَ خَيْبَةَ أَمَلٍ ، أَوْ عُدُولاً عَنِ اغْتِفَارِ زَلَلٍ ، أَوْ فُتُوراً عَنْ لَمِّ شَعَثٍ ، وَإِصْلَاحِ خَلَلٍ . كَتَبَ آخَرُ : أَنَا أَسْأَلُ الَّذِى رَحِمَ الْعِبَادَ بِكَ ، عَلَى حِينِ افْتِقَارِهِمْ إِلَيْكَ ، أَنْ يَرْحَمَهُمْ مِنْ بَعْدِكَ ، فَلَا يُعِيدَهُمْ إِلَى الْمَكَارِهِ الَّتِى اسْتَنْقَذْتَهُمْ مِنْهَا بِيَدِكَ . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ لِلْمَأْمُونِ فِى رَجُلٍ مُذْنِبٍ : هَبْهُ لِى . فَقَالَ : كَيْفَ لَا أَهَبُهُ لِمَنْ بِهِ قَدَرْتُ عَلَيْهِ . وَسَمِعْتُ جَحْظَةَ يَقُولُ : سَمِعْتُ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ طَاهِرٍ يَقُولُ : الْقَلَمُ يَحُوكُ وَشْىَ الْمَمْلَكَةِ . وَنَظَرَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى خَطِّ بَعْضِ كُتَّابِهِ ، فَلَمْ يَرْضَهُ . فَقَالَ : نَحُّوا هَذَا عَنْ مَرْتَبَةِ الدِّيوَانِ ، فَإِنَّهُ عَلِيلُ الْخَطِّ ،

لَا نَأْمَنُ أَنْ يُعْدِيَ غَيْرَهُ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصُّولِيُّ : الْخَطُّ لِسَانُ الْيَدِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : مَطْلُ الْغَرِيمِ ، أَحْسَنُ مِنْ مَطْلِ الْكَرِيمِ ، وَكَانَ يَحْيَى يَقُولُ : مِنْ حُقُوقِ النُّبْلِ ، أَنْ تَتَوَاضَعَ لِمَنْ هُوَ دُونَكَ ، وَتَتَصَدَّقَ عَلَى ضَعِيفِكَ ، وَتُنْصِفَ مَنْ هُوَ مِثْلُكَ ، وَتَتَنَبَّلَ عَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ ، وَكَانَ يَحْيَى إِذَا أَكَلَ وَقَدْ لَعِقَ يَدَهُ قَالَ : يَا غِلْمَانُ رُدُّوا عَلَيْنَا أَيْدِينَا . تَمَّتِ الرِّسَالَةُ .

وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالنِّعْمَةُ وَالْفَضْلُ ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ الْجَمِيلُ ، وَالصَّلَاةُ عَلَى نَبِيِّهِ وَعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَالسَّلَامُ .

وَلَمَّا كُنْتُ لَا أَشُكُّ فِي مُتَّقَدِ مَيْلِكَ ، وَصَادِقِ

رَغْبَتِكَ ، وَخَالِصِ حُبِّكَ ، فِي الْوُقُوفِ عَلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ الْهَامَّةِ ، فِي الْأَدَبِ عَامَّةً ، الْمُتَمِّمَةِ لِصَرْحِهِ وَبِنَائِهِ ، وَالَّتِي لَا أَكْتُمُكَ الْقَوْلَ بِأَنَّهَا بِمَثَابَةِ الْمِشْكَاةِ يُسْتَضَاءُ بِنُورِهَا ، وَالْمَنَارَةِ يُهْتَدَى بِضَوْئِهَا ، وَيُسْتَرْشَدُ بِسَنَى نُورِهَا ، — تِلْكَ هِيَ عُلُومُ النَّقْدِ ، وَمَعْرِفَةُ نُهُورِ الْكَلَامِ . وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ صَحِيحِهِ وَزَيْفِهِ ، وَخَالِصِهِ وَكَاذِبِهِ ، وَغَثِّهِ وَسَمِينِهِ ، لِتَخْرُجَ مِنْهَا إِنْ مَلَكْتَ أَزِمَّتَهَا ، وَتَبَصَّرْتَ فِي مَنَاحِيهَا ، وَأَنْتَ الصَّيْقَلُ الْمَاهِرُ ، وَالسَّمَيْذَعُ[1] الْقَادِرُ ، فَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ نُشِيرَ لَكَ فِي مُطَالَعَةِ رِسَالَةِ النَّقْدِ وَمُخْتَارَاتٍ مِنَ الْخُطَبِ ، لِتُمْسِكَ مِنْهُمَا بِطَرَفٍ غَيْرِ قَلِيلٍ ، مِنْ

(١) السميذع : السيد الكريم السخى الموطأ الأكناف

عُلُومِ الْقَوْمِ فِي هَذَا الْبَابِ ، الَّذِي تَطَوَّرَ أَخِيرًا فِي الْعُلُومِ الْأُورُوبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ ، إِلَى أَنْ أَصْبَحَ لُبَابَ الْآدَابِ وَقَائِدَهَا ، وَحَامِيَهَا ، وَشَادِيَهَا ، وَمُحَرِّكَهَا وَمُغَذِّيَهَا ، بِمَنِّهِ وَقُوَّتِهِ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : رَبِّ أَعِنْ بِرَحْمَتِكَ

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ شَرَفٍ الْقَيْرَوَانِيُّ[1] : هَذِهِ أَحَادِيثُ — صَنْعَتُهَا — مُخْتَلِفَةُ الْأَنْوَاعِ . مُؤْتَلِفَةٌ فِي الْأَسْمَاعِ . عَرَبِيَّاتُ الْمَوَاشِمِ . غَرِيبَاتُ التَّرَاجِمِ . وَاخْتَلَقْتُ[2] فِيهَا أَخْبَارًا فَصِيحَاتِ[3] الْكَلَامِ .

---

(١) راجع رسائل البلغاء صفحة ٢٤١ (٢) اختلقت : ابتدعت وابتكرت . (٣) فصيحات : جمع الفصيحة . وهى مؤنث الفصيح وتجمع على فصاح وفصائح . والفصيح : يجمع على فصحاء . وفصاح . وفصح : والفصيح ذو الفصاحة . والفصاحة مصدر . بمعنى الظهور والبيان

بَدِيعَاتِ[١] النِّظَامِ . لَهَا مَقَاصِدُ ظِرَافٌ[٢] . وَأَسَانِيدُ طِرَافٌ[٣] . يَرُوقُ الصَّغِيرَ مَعْنَاهَا . وَالْكَبِيرَ مَغْزَاهَا . وَعَزَوْتُهَا[٤] إِلَى أَبِي الرَّيَّانِ الصَّلْتِ بْنِ السَّكَنِ مِنْ سَلَامَانَ[٥] . وَكَانَ شَيْخًا هِمًّا فِي اللِّسَانِ . وَبَدْرًا تَمًّا فِي الْبَيَانِ . قَدْ بَقِيَ أَحْقَابًا[٦] . وَلَقِيَ أَعْقَابًا[٧] . ثُمَّ أَلْقَتْهُ إِلَيْنَا مِنْ بَادِيَتِهِ الْأَزَمَاتُ[٨] . وَأَوْرَدَتْهُ عَلَيْنَا الْعَزَمَاتُ[٩] . فَامْتَحَنَّا مِنْ عِلْمِهِ بَحْرًا جَارِيًا . وَقَدَحْنَا مِنْ فَهْمِهِ زَنْدًا وَارِيًا . وَأَدَرَّنَا[١٠] مِنْ بِرِّهِ

---

(١) بديعات : عجيبات (٢) ظراف : حسنة . (٣) طراف : جمع طريف . وهو الغريب النادر (٤) عزوتها : نسبتها (٥) سلامان : ماء لبني شيبان على طريق مكة الى العراق . وبه مات نوفل بن عبد مناف (٦) أحقاباً جمع حقب : وهو الدهر أو السنة (٧) أعقاباً : عقبات (٨) الأزمات : جمع أزمة . وهى الشدة والقحط (٩) العزمات جمع عزمة . والعزمة : الهمة والنشاط (١٠) أدرنا : أمطرنا

طَرَفاً[١] . وَاجْتَنَيْنَا مِنْ ثَمَرِهِ طُرَفاً . وَنَحْنُ إِذْ ذَاكَ وَالشَّبَابُ مُقْتَبَلٌ[٢] . وَغَفْلَةُ الزَّمَانِ تُهْتَبَلُ[٣] . وَاحْتَذَيْتُ فِيمَا ذَهَبْتُ إِلَيْهِ . وَوَقَعَ تَعْرِيضِي عَلَيْهِ . مِنْ بَثِّ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَا رَأَيْتُ الْأَوَائِلَ قَدْ وَضَعَتْهُ فِي كِتَابِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ ، فَأَضَافُوا حِكَمَهُ إِلَى الطَّيْرِ الْحَوَائِمِ[٤] . وَنَطَقُوا بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْوَحْشِ وَالْبَهَائِمِ . لِتَتَعَلَّقَ بِهِ شَهَوَاتُ الْأَحْدَاثِ[٥] . وَتَسْتَعْذِبَ بِسَمَرِهِ[٦] أَلْفَاظُ الْحِدَاثِ[٧] .

---

(١) طرفاً : قسطاً (٢) مقتبل : لم يظهر فيه أثر الكبر أى فى غضارته (٣) تهتبل : تغتنم (٤) الحوائم : جمع حائمة : والحائمة مؤنث الحائم : وهو العطشان . والجمع حوم (٥) الأحداث : جمع حدث . وهو الفتىُّ (٦) السمرُ الحديث فى الليل (٧) الحداث : الجديد . وهو ضد القديم

وَقَدْ نَحَا[١] بِذَا النَّحْوِ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ الْكَاتِبُ فِي تَأْلِيفِهِ كِتَابَ النَّمِرِ وَالثَّعْلَبِ . وَهُوَ مَشْهُورُ الْحِكَايَاتِ . بَدِيعُ الْمُرَاسَلَاتِ . مَلِيحُ الْمُكَاتَبَاتِ . وَزَوَّرَ أَيْضًا بَدِيعُ الزَّمَانِ الْهَمَذَانِيُّ ، وَهُوَ الْأُسْتَاذُ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، مَقَامَاتٍ كَانَ يُنْشِئُهَا بَدِيهًا[٢] فِي أَوَاخِرِ مَجَالِسِهِ ، وَيَنْسُبُهَا إِلَى رَاوِيَةٍ[٣] رَوَاهَا لَهُ يُسَمِّيهِ « عِيسَى بْنَ هِشَامٍ » . وَزَعَمَ أَنَّهُ حَدَّثَهُ بِهَا عَنْ بَلِيغٍ يُسَمِّيهِ « أَبَا الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيَّ » ، وَعَدَدُهَا فِيمَا يَزْعُمُ رُوَاتُهَا ، عِشْرُونَ مَقَامَةً ، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَصِلْ هَذِهِ الْعِدَّةُ

(١) نحا : قصد (٢) بديها : أى من دون توقف ولا تفكر
(٣) راوية : كثير الرواية

إِلَيْنَا ، وَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ مَعَانِيَ مُخْتَلِفَةً . وَمَبْنِيَةٌ عَلَى مَعَانِيَ شَتَّى غَيْرِ مُؤْتَلِفَةٍ ، لِيَنْتَفِعَ بِهَا مِنَ الْكُتَّابِ وَالْمُحَاضِرِينَ ، مَنْ صَرَفَهَا مِنْ هَزْلٍ إِلَى جِدٍّ . وَمِنْ نِدٍّ إِلَى ضِدٍّ . فَأَقَمْتُ مِنْ هَذَا النَّحْوِ ، عِشْرِينَ حَدِيثًا ، أَرْجُو أَنْ يُتَبَيَّنَ فَضْلُهَا . وَلَا تَقْصُرَ عَمَّا قَبْلَهَا . وَلَعَمْرِي مَا أَشْكُرُ مِنْ نَفْسِي . وَلَا أُثْنِي عَلَى شَيْءٍ مِنْ حِسِّي . إِلَّا ظَفَرِي بِالْأَقَلِّ مِمَّا حَاوَلْتُهُ ، عَلَى مَا أَضْرَمَتْهُ[1] نِيرَانُ الْغُرْبَةِ مِنْ قَلْبِي . وَثَلَمَتْهُ[2] صَعَقَاتُ الْفِتْنَةِ مِنْ لُبِّي . وَقَطَعَتْ أَهْوَالُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِنْ خَوَاطِرِي . وَأَضْعَفَتِ الْوَحْشَةُ وَالْوَحْدَةُ مِنْ غَرَائِزِي وَبَصَائِرِي . لَكِنَّ

(١) أضرمته : أشعلته (٢) ثلمته : كسرته وخذشته

نِيَّةَ الْقَاصِدِ وَسَعَةَ الْمَقْصُودِ . أَعَانَا ذَا الْوُدِّ عَلَى إِتْحَافِ الْمَوْدُودِ . وَاللهَ أَسْأَلُ تَوْفِيقاً يَنْهَجُ[1] لَنَا إِلَى الرُّشْدِ طَرِيقاً .

فِمِنْهَا :

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَجَارَيْتُ أَبَا الرَّيَّانِ فِي الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ وَمَنَازِلِهِمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ . وَاسْتَكْشَفْتُهُ عَنْ مَذْهَبِهِ فِيهِمْ ، وَمَذَاهِبِ طَبَقَتِهِ ، فِي قَدِيمِهِمْ وَحَدِيثِهِمْ ، فَقَالَ : الشُّعَرَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الْإِحْصَاءِ ، وَأَشْعَارُهُمْ أَبْعَدُ مِنْ شُقَّةِ[2] الِاسْتِقْصَاءِ[3] . فَقُلْتُ : لَا أُعْتِبُكَ[4] بِأَكْثَرَ مِنَ الْمَشْهُورِينَ . وَلَا أُذَاكِرُكَ[5]

(١) ينهج : يوضح ويبين . (٢) شقة : ناحية
(٣) الاستقصاء : التتبع والاستقراء (٤) لا اعتبك : استرضاه وفى النسخة التونسية لا اعنتك وهو الأظهر والأولى . والاعنات : الاتعاب
(٥) أذاكرك : أخوض معك فى الحديث

إِلَّا فِي الْمَذْكُورِينَ مِثْلَ الضِّلِّيلِ[١] . وَالْقَتِيلِ . وَلَبِيدٍ[٢] وَعَبِيدٍ[٣] . وَالنَّوَابِغِ[٤] وَالْعُشُوءِ[٥] وَالْأَسْوَدِ ابْنِ يَعْفُرَ . وَصَخْرِ الْغَيِّ وَابْنِ الصِّمَّةِ دُرَيْدٍ . وَالرَّاعِي عُبَيْدٍ وَزَيْدِ الْخَيْلِ . وَعَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ . وَالْفَرَزْدَقِ وَجَرِيرٍ . وَجَمِيلِ بْنِ مَعْمَرٍ وَكُثَيِّرٍ . وَابْنِ جَنْدَلٍ . وَابْنِ مُقْبِلٍ . وَجَرْوَلٍ . وَالْأَخْطَلِ . وَحَسَّانَ فِي هِجَائِهِ وَمَدْحِهِ . وَغَيْلَانَ فِي مَيْتِهِ[٦] وَصَيْدَحِهِ[٧] . وَالْهُذَلِيِّ أَبِي ذُؤَيْبٍ وَسُحَيْمٍ وَنُصَيْبٍ . وَابْنِ حِلِّزَةَ الْوَائِلِيِّ . وَابْنِ الرِّقَاعِ الْعَامِلِيِّ . وَعَنْتَرَةَ الْعَبْسِيِّ .

---

(١) الضليل امرؤ القيس (٢) لبد العامرى عاش ستين سنة فى الجاهلية ومثلها فى الاسلام (٣) وعبيد بن الأبرص شاعر جاهلى (٤) النوابغ جمع نابغة يريد النابغة الذبيانى والجعدى (٥) العشوء جمع أعشى : وهو الذى لا يبصر ليلا . ويريد الأعشى الصغير والأعشى الكبير (٦) ميته : سكونه (٧) صيدحه : صياحه

وَزُهَيْرٍ الْمُزَنِيِّ . وَشُعَرَاءِ فَزَارَةَ . وَمُفْلِقِي بَنِي زُرَارَةَ وَشُعَرَاءِ تَغْلِبَ ، وَيَثْرِبَ . وَأَمْثَالِ هَذَا النَّمَطِ الْأَوْسَطِ كَالرَّمَّاحِ . وَالطِّرِمَّاحِ . وَالطَّثْرِيِّ وَالدُّمِينِي . وَالْكُمَيْتِ الْأَسَدِيِّ . وَحُمَيْدِ الْهِلَالِيِّ . وَبَشَّارِ الْعُقَيْلِيِّ . وَابْنِ أَبِي حَفْصَةَ الْأُمَوِيِّ . وَوَالِبَةَ الْأَسَدِيِّ . وَابْنِ جَبَلَةَ الْحِلْمِيِّ . وَأَبِي نُوَاسٍ الْحَكَمِيِّ . وَصَرِيعِ الْأَنْصَارِيِّ . وَدِعْبِلٍ الْخُزَاعِيِّ . وَابْنِ الْجَهْمِ الْقُرَشِيِّ . وَحَبِيبٍ الطَّائِيِّ . وَالْوَلِيدِ الْبُحْتُرِيِّ . وَابْنِ الْمُعْتَزِّ الْعَبَّاسِيِّ . وَعَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ الرُّومِيِّ . وَابْنِ رَغْبَانَ الْحِمْصِيِّ . وَمِنَ الطَّبَقَةِ الْمُتَأَخِّرَةِ فِي الزَّمَانِ . الْمُتَقَدِّمَةِ فِي الْإِحْسَانِ . كَأَبِي فِرَاسِ بْنِ حَمْدَانَ . وَالْمُتَنَبِّيِ بْنِ عَبْدَانَ . وَابْنِ جِدَارٍ الْمِصْرِيِّ . وَابْنِ

الْأَحْنَفِ الْحَنَفِيِّ . وَكُشَاجِمَ الْفَارِسِيِّ . وَالصَّنَوْبَرِيِّ الْحِلِّيِّ . وَنَصْرِ الْخُبْزَرِيِّ[1] وَابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ الْقُرْطُبِيِّ . وَابْنِ هَانِئٍ الْأَنْدَلُسِيِّ . وَعَلِيِّ بْنِ عَبَّاسٍ الْإِيَادِيِّ التُّونِسِيِّ . وَالْقَسْطَلِّيِّ . قَالَ أَبُو الرَّيَانِ : لَقَدْ سَمَّيْتَ مَشَاهِيرَ . وَأَبْقَيْتَ الْكَثِيرَ . قُلْتُ بَلَى : وَلَكِنْ مَا عِنْدَكَ فِيمَنْ ذَكَرْتُ ؟ قَالَ : أَمَّا الضِّلِّيلُ ، فَمُؤَسِّسُ الْأَسَاسِ ، وَبُنْيَانُهُ عَلَيْهِ النَّاسُ . كَانُوا يَقُولُونَ : أَسِيلَةُ[2] الْخَدِّ حَتَّى قَالَ أَسِيلَةُ مَجْرَى الدَّمْعِ . وَكَانُوا يَقُولُونَ : تَامَّةُ الْقَامَةِ ، وَطَوِيلَةُ الْقَامَةِ ، وَجَيْدَاءُ[3] ، وَتَامَّةُ الْعُنُقِ ، وَأَشْبَاهُ هَذَا ، حَتَّى قَالَ :

(١) فى بعض النسخ الخبزرى . ويروى أيضاً الخبز أزرى وهو أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن ميمون الشاعر البصرى المتوفى سنة ٣١٠هـ

(٢) أسيلة الخد : ناعمته (٣) جيداء : طويلة الجيد أى العنق

بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ فِي الْفَرَسِ السَّابِقِ: يَلْحَقُ الْغَزَالَ وَالظَّلِيمَ[1] وَشِبْهَهُ ، حَتَّى قَالَ : قَيْدُ الْأَوَابِدِ[2] ، وَمِثْلُ هَذَا لَهُ كَثِيرٌ . وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ مَنْ فَطِنَ لِهَذِهِ الْإِشَارَاتِ وَالِاسْتِعَارَاتِ غَيْرُهُ ، فَامْتَثَلُوهُ بَعْدَهُ . وَكَانَتِ الْأَشْعَارُ قَبْلُ سَوَاذِجَ[3] ، فَبَقِيَتْ هَذِهِ جُدَداً وَتِلْكَ نَوَاهِجَ[4] ، وَكُلُّ شِعْرٍ بَعْدُ مَا خَلَاهَا فَغَيْرُ رَائِقِ النَّسْجِ . وَإِنْ كَانَ صَحِيحَ النَّهْجِ ، وَأَمَّا طَرَفَةُ ، فَلَوْ طَالَ عُمْرُهُ . لَطَالَ شِعْرُهُ ، وَعَلَا ذِكْرُهُ ، وَلَقَدْ خُصَّ بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ مِنَ الشِّعْرِ . عَلَى أَيْسَرِ نَصِيبٍ مِنَ الْعُمُرِ . فَمَلَأَ أَرْجَاءَ[5] ذَلِكَ النَّصِيبِ

---

(١) الظليم : ذكر النعام (٢) الاوابد : الشوارد من الوحش
(٣) سواذج : على الفطرة . (٤) نواهج : بالية .
(٥) الارجاء : النواحى

بِصُنُوفٍ مِنَ الْحِكْمَةِ . وَأَوْصَافٍ مِنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ ، وَالطَّبْعُ مُعَلِّمٌ حَاذِقٌ[١] وَجَوَادٌ سَابِقٌ .

وَأَمَّا الشَّيْخُ أَبُو عَقِيلٍ : فَشِعْرُهُ يَنْطِقُ بِلِسَانِ الْجَزَالَةِ[٢] . عَنْ جَنَانِ الْأَصَالَةِ[٣] فَلَا تَسْمَعُ لَهُ إِلَّا كَلَامًا فَصِيحًا . وَمَعْنًى مُبِينًا صَرِيحًا . وَإِنْ كَانَ شَيْخَ الْوَقَارِ . وَالشَّرَفِ وَالْفَخَارِ لِبَادِئَاتٍ فِي شِعْرِهِ وَهِيَ دَلَائِلُهُ ، قَبْلَ أَنْ يُعْلَمَ قَائِلُهُ . وَأَمَّا الْعَبْسِيُّ[٤] : فَمُجِيدٌ فِي أَشْعَارِهِ . وَلَا كَمُعَلَّقَتِهِ ، فَقَدِ انْفَرَدَ بِهَا انْفِرَادَ سُهَيْلٍ[٥] وَغَبَّرَ[٦] فِي وُجُوهِ الْخَيْلِ وَجَمَعَ فِيهَا بَيْنَ الْحَلَاوَةِ وَالْجَزَالَةِ . وَرِقَّةِ الْغَزَلِ وَغِلْظَةِ الْبَسَالَةِ .

---

(١) حاذق : ماهر متقن (٢) الجزالة : الفصاحة (٣) الاصالة : جودة الرأى والثبات (٤) العبسى : هوعنترة بن شداد وله معلقة مشهورة (٥) سهيل : اسم نجم (٦) غبر : أثار الغبار

وَأَطَالَ وَاسْتَطَالَ . وَأَمِنَ السَّآمَةَ[١] وَالْكَلَالَ[٢] .

وَأَمَّا زُهَيْرٌ : فَأَيُّ زُهَيْرٍ . بَيْنَ لَهَوَاتِ زُهَيْرٍ . حِكَمُ فَارِسَ[٣] . وَمَقَامَاتُ الْفَوَارِسِ . وَمَوَاعِظُ الزُّهَّادِ ، وَمُعْتَبَرَاتُ الْعُبَّادِ . وَمَدْحٌ يُكْسِبُ الْفَخَارَ . وَيَبْقَى بَقَاءَ الْأَعْصَارِ[٤] . وَمُعَاتَبَاتٌ ، مَرَّةً تَحْسُنُ . وَمَرَّةً تَخْشُنُ . وَتَارَةً تَكُونُ هَجْوًا[٥] . وَطَوْرًا تَكَادُ تَعُودُ شُكْرًا . وَأَمَّا ابْنُ حِلِّزَةَ : فَسَهْلُ الْحُزُونِ[٦] . قَامَ خَطِيبًا بِالْمَوْزُونِ . وَالْعَادَةُ أَنْ

(١) السآمة : الملل والضجر (٢) الكلال العى والتعب

(٣) مثل قوله :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم

(٤) مثل قوله فى هرم بن سنان :

إن تلق يوماً على علاته هرماً تلق السماحة فيه والندى خلقاً

(٥) الهجو : الذم (٦) الحزون : جمع حزن . وهو ما غلظ من الارض

يَسْهُلَ شَرْحُ الشِّعْرِ بِالنَّثْرِ . وَهَذَا أَسْهَلَ السَّهْلَ بِالْوَعْرِ[١] . وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ :

أَبْرَمُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا
أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ[٢]

مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ تَصْـ
ـهَالِ خَيْلٍ خِلَالَ ذَاكَ رُغَاءُ[٣]

فَلَوْ اجْتَمَعَ كُلُّ خَطِيبٍ نَاثِرٍ . مِنْ أَوَّلٍ وَآخِرٍ . يَصِفُونَ سَفْراً[٤] نَهَضُوا بِالْأَسْحَارِ[٥] . وَعَسْكَراً تُنَادِي بِالنُّهُوضِ إِلَى طَلَبِ الثَّارِ : مَا زَادُوا

(١) الوعر : الصعب (٢) الضوضاء : الجلبة . واختلاط الاصوات
(٣) الرغاء : صوت البعير وضجيجه . (٤) السفر : القوم المسافرون . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام « أنا قوم سفر »
(٥) الاسحار جمع سحر : وهو آخر الليل . ومنه قوله تعالى « وبالاسحار هم يستغفرون » .

عَلَى هَذَا ، إِنْ لَمْ يَنْقُصُوا مِنْهُ ، وَلَمْ يُقَصِّرُوا عَنْهُ ، وَسَائِرُ قَصِيدَتِهِ فِي هَذَا السِّلْكِ ، شِكَايَةٌ وَطِلَابُ نَصَفَةٍ(١) : وَعِتَابٌ فِي عِزَّةٍ وَأَنَفَةٍ(٢) : وَهُوَ مِنْ شُعَرَاءِ وَائِلٍ ، وَأَحَدُ أَسِنَّةِ(٣) هَاتِيكَ الْقَبَائِلِ .

وَأَمَّا ابْنُ كُلْثُومٍ : فَصَاحِبُ وَاحِدَةٍ بِلَا زِيَادَةٍ ، أَنْطَقَهُ بِهَا عِزُّ الظَّفَرِ ؛ وَهَزَّهُ فِيهَا جِنُّ(٤) الْأَشَرِ ، فَقَعْقَعَتْ(٥) وُعُودُهُ فِي أَرْجَائِهَا : وَجَعْجَعَتْ(٦) رَحَاهُ فِي أَثْنَائِهَا ، وَجَعَلَتْهَا تَغْلِبُ قِبْلَتَهَا الَّتِي تُصَلِّي إِلَيْهَا : وَمِلَّتَهَا الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا ، فَلَمْ يَتْرُكُوا إِعَادَتَهَا ، وَلَا خَلَعُوا عِبَادَتَهَا ، إِلَّا بَعْدَ قَوْلِ الْقَائِلِ :

---

(١) نصفه اسم من الانصاف : وهو العدل واستبقاء الحقوق

(٢) الانفة : الترفع . (٣) أسنة : جمع سنان وهو الرمح .

(٤) جن الاشر : حدته وقوته وشدته (٥) القعقعة : صوت السلاح

(٦) الجعجعة صوت الرحى

أَلْهَى بَنِي تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ

قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ

عَلَى أَنَّهَا مِنَ الْقَصَائِدِ الْمُحَقَّقَاتِ، وَإِحْدَى الْمُعَلَّقَاتِ:

وَأَمَّا النَّابِغَةُ زِيَادٌ، فَأَشْعَارُهُ الْجِيَادُ، لَمْ تَخْرُجْ عَنْ نَارِ جَوَانِحِهِ، حَتَّى تَنَاهَى نَضْجُهَا، وَلَا قُطِعَتْ مِنْ مِنْوَالِ خَاطِرِهِ، حَتَّى تَكَاثَفَ[1] نَسْجُهَا: لَمْ تُهَلْهِلْهَا[2] مَيْعَةُ الشَّبَابِ[3]، وَلَا وِهَاءُ[4] الْأَسْبَابِ، وَلَا لَوْمُ الِاكْتِسَابِ[5]، فَشِعْرُهُ وَسَائِطُ سُلُوكٍ، وَتِيجَانُ مُلُوكٍ.

وَأَمَّا النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ: فَنَقِيُّ الْكَلَامِ، شَاعِرُ

(١) تكاثف: تراكم وصفق (٢) تهلهلها: تسهلها (٣) ميعة الشباب: شرخه وعنفوانه (٤) وهاء الأسباب: ضعفها
(٥) الاكتساب: التكسب بالشعر.

obeikandl.com

الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَاسْتَحْسَنَ شِعْرَهُ أَفْصَحُ النَّاطِقِينَ ، وَدَعَا[١] لَهُ أَصْدَقُ الصَّادِقِينَ ، وَكَانَ شَاعِراً فِي الِافْتِخَارِ وَالثَّنَاءِ ، قَصِيرَ الْبَاعِ لشَرَفِهِ عَنْ تَنَاوُلِ الْهِجَاءِ ، وَكَانَ مَغْلُوباً فِيهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَطَرِيدَ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةِ .

وَأَمَّا الْعُشْيُ بِأَجْمَعِهِمْ ، فَكُلُّهُمْ شَاعِرٌ ، وَلَا كَمَيْمُونِ بْنِ قَيْسٍ ، شَاعِرِ الْمَدْحِ وَالْهِجَاءِ ، وَالْبَأْسِ[٢] وَالرَّخَاءِ[٣] ، وَالتَّصَرُّفِ فِي الْفُنُونِ ، وَالسَّعْيِ فِي السُّهُولِ وَالْحُزُونِ ، نَفَّقَ[٤] مَدْحُهُ بَنَاتِ الْمُحَلَّقِ ،

---

(١) قال له عليه الصلاة والسلام « لا يفضض الله فاك » فلم تسقط له سن على طول عمره (٢) البأس : الشدة والفقر (٣) الرخاء : سعة العيش (٤) نفق : روج

وَكَانَ فِي فَقْرِ بْنِ الْمُذَلَّقِ، وَأَبْكَى هَجْوُهُ عَلْقَمَةَ[١]، كَمَا تَبْكِي الْأَمَةُ .

وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْفُرَ : فَأَشْعَرُ النَّاسِ إِذَا نَدَبَ[٢] دَوْلَةً زَالَتْ ، أَوْ بَكَى حَالَةً حَالَتْ ، أَوْ وَصَفَ رَبْعًا خَلَا بَعْدَ عُمْرَانٍ ، أَوْ دَارًا دَرَسَتْ[٣] بَعْدَ سُكَّانٍ ، فَإِذَا سَلَكَ هَذَا السَّبِيلَ فَهُوَ مِنْ حَشْوِ هَذَا الْقَبِيلِ ، كَعَمْرٍو وَزَيْدٍ ، وَسَعْدٍ وَسَعِيدٍ .

وَأَمَّا حَسَّانُ : فَقَدْ اجْتَثَّ[٤] بَوَاكِرَ[٥] غَسَّانَ ، ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامُ ، وَانْكَشَفَ الْإِظْلَامُ ، فَجَاحَشَ عَنِ الدِّينِ ، وَنَاضَلَ عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ،

(١) علقمة : يريد علقمة بن علاثة سيد من سادات العرب صاحب المنافرة بينه وبين عامر بن الطفيل (٢) ندب : نعى (٣) درست : تهدمت وتخربت (٤) اجتث : قطع واستأصل . ومنه قوله تعالى « اجتثت من فوق الأرض » (٥) بواكر : أوائل غسان

فَشَعَرَ وَذَادَ ، وَحَسَّنَ وَأَجَادَ ، إِلَّا أَنَّ الْفَضْلَ فِي ذَلِكَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَتَسْدِيدِ[1] الرُّوحِ الْأَمِينِ .

وَأَمَّا دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ : فَصِمَّةُ صِمَمٍ ، وَشَاعِرُ جُشَمٍ ، وَغَزَلُ هَرِمٍ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَغَزَّلَ فِي رِثَاءٍ ، وَهَزَلَ فِي حُزْنٍ وَبُكَاءٍ ، فَقَالَ فِي مَعْبَدٍ أَخِيهِ ، قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ يَرْثِيهِ :

أَرَثَّ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدِ
بِعَافِيَةٍ قَدْ أَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدِ

وَهِيَ مِنْ شَاجِيَاتِ النَّوَائِحِ وَبَاقِيَاتِ الْمَدَائِحِ .

وَأَمَّا الرَّاعِي عَبِيدُ : فَقَدْ جُبِلَ عَلَى وَصْفِ الْإِبِلِ فَصَارَ بِالرَّاعِي يُعْرَفُ ، وَنُسِيَ مَا لَهُ مِنَ الشَّرَفِ .

---

(١) يريد قول النبي عليه الصلاة والسلام له « قل وروح القدس معك والله إن كلامك عليهم أشد من وقع السهام ، في غسق الظلام » .

وَأَمَّا زَيْدُ الْخَيْلِ(١) : فَخَطِيبٌ سَجَّاعَةٌ(٢) وَفَارِسُ شَجَاعَةٍ(٣) مَشْغُولٌ بِذَلِكَ ، عَمَّا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَالِكِ .

وَأَمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ : فَشَاعِرُهُمْ فِي الْفَخَارِ ، وَفِي حِمَايَةِ الْجَارِ ، وَأَوْصَفُهُمْ لِكَرِيمَةٍ ، وَأَبْعَثُهُمْ لِحَمِيدِ شِيمَةٍ .

وَأَمَّا ابْنُ مُقْبِلٍ : فَقَدِيمٌ شِعْرُهُ ، وَصَلِيبٌ نَجْرُهُ(٤) وَمُغَلَّى مَدْحُهُ ، وَمُعَلَّى(٥) قِدْحُهُ .

وَأَمَّا جَرْوَلُ(٦) : فَخَبِيثٌ هِجَاؤُهُ شَرِيفٌ ثَنَاؤُهُ ،

---

(١) زيد الخيل : صنديد من صناديد العرب وقد سماه النبي بزيد الخير

(٢) سجاعة : ينطق بكلام له فواصل كقوافى الشعر ، والتاء للمبالغة

(٣) شجاعة : قوى القلب . والتاء أيضاً للمبالغة . (٤) نجره : أصله وحسبه وهو النجار أيضاً (٥) المعلى : أول سهام الميسر . وأكبرها نصيباً . ويليه المصلى (٦) جرول : لقب الحطيئة الشاعر المشهور الذى قال فى بنى أنف الناقة :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

صَحِيحٌ بِنَاؤُهُ رَفَعَ شِعْرُهُ مِنَ الثَّرَى ، وَحَطَّ مِنَ الثُّرَيَّا ، وَأَعَادَ بِلَطَافَةِ فِكْرِهِ ، وَمَتَانَةِ شِعْرِهِ ، قَبِيحَ الْأَلْقَابِ ، فَخْراً يَبْقَى عَلَى الْأَحْقَابِ ، وَيُتَوَارَثُ فِي الْأَعْقَابِ .

وَأَمَّا أَبُو ذُؤَيْبٍ : فَشَدِيدٌ ، أَمِيرُ الشِّعْرِ حَكِيمُهُ : شَغَلَهُ فِيهِ التَّجْرِيبُ ، حَدِيثُهُ وَقَدِيمُهُ ، وَلَهُ الْمَرْثِيَةُ النَّقِيَّةُ السَّبْكِ[1] ، الْمَتِينَةُ الْحَبْكِ[2] ، بَكَى فِيهَا بَنِيهِ السَّبْعَةَ ، وَوَصَفَ الْحِمَارَ فَطَوَّلَ ، وَهِيَ الَّتِي أَوَّلُهَا :

أَمِنَ الْمَنُونِ وَرَيْبِهِ تَتَوَجَّعُ

وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

وَأَمَّا الْأَخْطَلُ[3] فَسَعْدٌ مِنْ سُعُودِ بَنِي مَرْوَانَ . صَفَتْ لَهُمْ مِرْآةُ فِكْرِهِ . وَظَفِرُوا بِالْبَدِيعِ مِنْ شِعْرِهِ .

(١) السبك : الصوغ (٢) الحبك : الاحكام والتحسين
(٣) شاعر أموى نصرانى خلد بشعره مآثر بنى أمية

وَكَانَ بَاقِعَةَ[١] مَنْ حَاجَاهُ . وَصَاعِقَةَ مَنْ هَاجَاهُ .

وَأَمَّا الدَّارِمِيُّ هَمَّامٌ[٢] : فَجَوْهَرُ كَلَامِهِ . وَأَغْرَاضُ سِهَامِهِ . إِذَا افْتَخَرَ بِمَالِكِ ابْنِ حَنْظَلَةَ . وَبِدَارِمٍ[٣] فِي شَرَفِ الْمَنْزِلَةِ . وَأَطْوَلُ مَا يَكُونُ مَدًى ، إِذَا تَطَاوَلَ اخْتِيَارُ جَرِيرٍ بِقَلِيلِهِ عَلَى كَثِيرِهِ . وَبِصَغِيرِهِ عَلَى كَبِيرِهِ . فَإِنَّهُ يُصَادِمُهُ حِينَئِذٍ بِبَحْرٍ مَادٍّ[٤] . وَيُقَاوِمُهُ بِسَيْفٍ حَادٍّ .

وَأَمَّا ابْنُ الْخَطَفَى : فَزُهْدَ فِي غَزَلٍ . وَحَجَرٌ فِي جَنْدَلٍ . يَسْبَحُ أَوَّلًا فِي مَاءٍ عَذْبٍ . وَيَطْمَحُ آخِرًا فِي صَخْرٍ صُلْبٍ . كَلْبُ مَنَابَحَةٍ . وَكَبْشُ

(١) الباقعة : الذكى العارف الذى لايفوته شىء ولايدهى . والتاء للمبالغة
(٢) هو الفرزدق الشاعر المشهور وهو وجرير والأخطل ثلاثتهم أشعر شعراء عصر بنى أمية (٣) دارم ومالك : أجداده (٤) ماد : زائد ماؤه

مَنَاطَحَةٍ . لاَ تَفُلُّ[1] غَرْبَ[2] لِسَانِهِ ، مُطَاوَلَةُ الْكِفَاحِ . وَلاَ تُدْمِي هَامَتَهُ[3] مُدَاوَمَةُ النِّطَاحِ . جَارَى السَّوَابِقَ بِعَطِيَّةٍ . وَفَاخَرَ غَالِباً بِعَطِيَّةَ . وَبَلَّغَتْهُ بَلاَغَتُهُ إِلَى الْمُسَاوَاةِ . وَحَمَلَتْهُ جُرْأَتُهُ عَلَى الْمُجَارَاةِ . وَالنَّاسُ فِيهِمَا فَرِيقَانِ . وَبَيْنَهُمَا عِنْدَ قَوْمٍ فَرْقَانِ .

وَأَمَّا الْقَيْسَانِ[4] : وَطَبَقَتُهُمَا ، فَطَبَقَةُ عَشَقَةٍ . تَوَقَةٍ[5] . اسْتَحْوَذَتِ الصَّبَابَةُ عَلَى أَفْكَارِهِمْ . وَاسْتَفْرَغَتْ دَوَاعِي الْحُبِّ مَعَانِيَ أَشْعَارِهِمْ ، فَكُلُّهُمْ مَشْغُولٌ بِهَوَاهُ ، لاَ يَتَعَدَّاهُ إِلَى سِوَاهُ .

(١) تفل : تقطع (٢) غرب : حدة لسانه (٣) الهامة : مقدم الرأس
(٤) القيسان : هما قيس بن الملوح المشهور بمجنون ليلى وقيس بن ذريح الكناني . ومعشوقته لبنى بنت الحباب . وهو رضيع الحسن بن على رضى الله عنهما
(٥) التوقة : جمع تائق . وهو المحب

وَأَمَّا كُثَيِّرٌ(١) : فَحَسَنُ النَّسِيبِ(٢) فَصِيحُهُ ، لَطِيفُ الْعِتَابِ مَلِيحُهُ ، شَجِيُّ الِاغْتِرَابِ قَرِيحُهُ ، جَامِعٌ إِلَى ذَلِكَ رَقَائِقَ الظُّرَفَاءِ ، وَجَزَالَةَ مَدْحِ الْخُلَفَاءِ .

وَأَمَّا الْكُمَيْتُ وَالرَّمَّاحُ ، وَنُصَيْبٌ وَالطِّرِمَّاحُ ، فَشُعَرَاءُ مُعَاصَرَةٍ وَمُنَاقَضَاتٍ وَمُفَاخَرَةٍ ، فَنُصَيْبٌ أَمْدَحُ الْقَوْمِ ، وَالطِّرِمَّاحُ أَهْجَاهُمْ ، وَالرَّمَّاحُ أَنْسَبُهُمْ نَسِيباً ، وَالْكُمَيْتُ(٣) أَشَبُّهُمْ تَشْبِيباً(٤) .

وَأَمَّا بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ : فَأَوَّلُ الْمُحْدَثِينَ ، وَآخِرُ الْمُخَضْرَمِينَ(٥) ، وَمِمَّنْ لَحِقَ الدَّوْلَتَيْنِ ، عَاشِقُ سَمْعٍ

(١) هو كثير عزة محبوبته التى يقول فيها :

وقد زعمت أنى تغيرت بعدها ومن ذا الذى يا عز لا يتغير

(٢) النسيب عند الشعراء : وصف محاسن المرأة والتعريض بهواها

(٣) الكميت شاعر مشهور يتشيع لآل البيت ويدافع عنهم بغير مبالاة ولا رهبة من بنى أمية وله ديوان مشهور (٤) التشبيب : مثل النسيب وقد تقدم (٥) المخضرم : من أدرك الجاهلية والاسلام . وليس منهم بشار وإنما هو من مخضرمى الدولتين .

وَشَاعِرُ جَمْعٍ . شِعْرُهُ يَنْفَقُ[١] عِنْدَ رَبَّاتِ[٢] الْحِجَالِ ، وَعِنْدَ فُحُولِ الرِّجَالِ . فَهُوَ يَلِينُ[٣] حَتَّى يَسْتَعْطِفَ ، وَيَقْوَى حَتَّى يَسْتَنْكِفَ ، وَقَدْ طَالَ عُمْرُهُ ، وَكَثُرَ شِعْرُهُ ، وَطَمَا بَحْرُهُ ، وَنَقَّبَ فِي الْبِلَادِ ذِكْرُهُ .

وَأَمَّا ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ : فَمِنْ شُعَرَاءِ الدَّوْلَتَيْنِ ، وَمِمَّنْ حَظِيَ بِالنِّعْمَتَيْنِ ، وَوَصَلَ إِلَى الْغِنَى بِالصِّلَتَيْنِ ، وَكَانَ دَرِبَ[٤] الْمِعْوَلِ[٥] ذَرِبَ[٦] الْمِقْوَلِ[٧] ، وَالِدَ شُعَرَاءٍ ، وَمُنْجِبَ فُصَحَاءٍ .

---

(١) ينفق : يروج (٢) ربات : صاحبات

(٣) وذلك كقوله « وهو مما يتغنى به »

خفى يا عبد عنى واعلمى أننى يا عبد من لحم ودمْ

إن فى بردى جسماً ناحلا لو توكأت عليه لانهدم

(٤) درب : لسن (٥) المعول : آلة الهدم (٦) ذرب : حاد

(٧) المقول : آلة القول : أعنى اللسان

وَأَمَّا أَبُو نُوَاسٍ . فَأَوَّلُ النَّاسِ فِي خَرْمِ الْقِيَاسِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَرَكَ السِّيرَةَ الْأُولَى . وَنَكَبَ[١] عَنِ الطَّرِيقَةِ الْمُثْلَى ، وَجَعَلَ الْجَدَّ هَزْلًا ، وَالصَّعْبَ سَهْلًا ، فَهَلْهَلَ[٢] الْمُسَرَّدَ[٣] ، وَبَلْبَلَ[٤] الْمُنَضَّدَ[٥] ، وَخَلْخَلَ[٦] الْمُنْجَّدَ[٧] ، وَتَرَكَ الدَّعَائِمَ ، وَبَنَى عَلَى الطَّامِي[٨] وَالْعَائِمِ[٩] ، وَصَادَفَ الْأَفْهَامَ قَدْ نَكَلَتْ[١٠] ، وَأَسْبَابَ الْعَرَبِيَّةِ قَدْ تَخَلْخَلَتْ[١١] وَانْحَلَّتْ ، وَالْفَصَاحَاتِ الصَّحِيحَةَ قَدْ سُئِمَتْ وَمُلَّتْ . فَمَالَ النَّاسُ إِلَى مَا عَرَفُوهُ ، وَعَلِقَتْ نُفُوسُهُمْ بِمَا أَلِفُوهُ ، فَتَهَادَوْا[١٢] شِعْرَهُ ،

---

(١) نكب : حاد (٢) هلهل : سهل (٣) المسرد : الصعب
(٤) بلبل : خلط (٥) المنضد : المنظوم (٦) خلخل : نقض
(٧) المنجد : المخيط المهيأ (٨) الطامى : البحر المتلىء (٩) العائم : السابح (١٠) نكلت : جبنت ونكصت (١١) تخلخلت : ضعفت ووهت
(١٢) فتهادوا : أهدى بعضهم إلى بعض من شعره

وَأَغْلَوْا سِعْرَهُ ، وَشُغِفُوا[١] بِأَسْخَفِهِ[٢] ، وَكَلِفُوا بِأَضْعَفِهِ ، وَكَانَ سَاعِدُهُ أَقْوَى ، وَسِرَاجُهُ أَضْوَا[٣] ، لَكِنَّهُ عَرَضَ الْأَنْفَقَ[٤] ، وَأَهْدَى الْأَوْفَقَ ، وَخَالَفَ فَشُهِرَ وَعُرِفَ ، وَأَغْرَبَ فَذُكِرَ وَاسْتُظْرِفَ ، وَالْعَوَامُّ تَخْتَارُ هَذِهِ الْأَعْلَاقَ[٥] ، وَأَسْوَاقُهُمْ أَوْسَعُ الْأَسْوَاقِ ، فَشِعْرُ أَبِي نُوَاسٍ ، نَافِقٌ[٦] عِنْدَ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ ، كَاسِدٌ عِنْدَ أَنْقَدِ النَّاسِ ، وَقَدْ فَطِنَ إِلَى اسْتِضْعَافِهِ وَخَافَ مِنِ اسْتِخْفَافِهِ ، فَاسْتَدْرَكَ[٧] بِفَصِيحِ طَرْدِهِ ، طَرَفَيْ حَدِّ اللِّسَانِ وَحُدُودِهِ ، وَهُوَ مَجْدُودٌ[٨] فِي كَثْرَةِ

---

(١) شغفوا : أولعوا وتعلقوا (٢) بأسخفه : بأضعفه وأرذله يريد الغزل فى المذكر فانه أول من فتح هذا الباب (٣) أضوا : أشد ضوءاً
(٤) الأنفق : الرائج (٥) الأعلاق : النفائس (٦) نافق : رائج
(٧) يريد أراجيز أبى نواس وطردياته . وهى من أمتن الشعر .
(٨) مجدود : ذو حظ وبخت

التَّظَاهُرِ ، عَلَى مَنْ غَضَّ مِنْهُ بِالْحَقِّ الظَّاهِرِ ، لَيْسَ إِلَّا لِخِفَّةِ رُوحِ الْمُجُونِ[١] ، وَسُهُولَةِ الْكَلَامِ الضَّعِيفِ الْمَلْحُونِ[٢] عَلَى جُمْهُورِ الْعَوَامِّ ، لَا عَلَى خَوَاصِّ الْأَنَامِ[٣] .

وَأَمَّا صَرِيعٌ : فَكَلَامُهُ مُرَصَّعٌ[٤] ، وَنِظَامُهُ مُصَنَّعٌ[٥] ، وَجُمْلَةُ شِعْرِهِ صَحِيحَةُ الْأُصُولِ ، مُصَنَّعَةُ الْفُصُولِ ، قَلِيلَةُ الْفُضُولِ[٦] .

وَأَمَّا الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ ، فَمُعْتَزِلٌ بِهَوَاهُ ، وَبِمَعْزِلٍ عَمَّا سِوَاهُ ، رَفَعَ نَفْسَهُ عَنِ الْمَدْحِ وَالْهِجَاءِ ، وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ هَوَاهُ مِنَ النِّسَاءِ ، قَدْ رَقَّقَ الشَّغَفُ كَلَامَهُ ، وَثَقَّفَتْ قُوَّةُ الطَّبْعِ نِظَامَهُ ، فَلَهُ رِقَّةُ الْعُشَّاقِ ، وَجَوْدَةُ الْحُذَّاقِ .

---

(١) المجون : الدعابة والفكاهة والمزح (٢) الملحون : الخارج على قوانين العربية (٣) الأنام : الجن والانس (٤) مرصع : منظم منسق
(٥) مصنع : محسن فيه دقه (٦) الفضول : الزيادة

وَأَمَّا دِعْبِلٌ : فَمَدِيدٌ[١] مُقْبِلٌ[٢] ، الْيَوْمَ مَدْحٌ ، وَغَدًا قَدْحٌ ، يُجِيدُ فِي الطَّرِيقَتَيْنِ ، وَيُسِيءُ فِي الْخَلِيقَتَيْنِ[٣] ، وَلَهُ أَشْعَارٌ فِي الْعَصَبِيَّةِ ، وَكَانَ شَاعِرَ عُلَمَاءٍ ، وَعَالِمَ شُعَرَاءٍ .

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ : فَرَشِيقُ[٤] الْفَهْمِ ، رَاشِقُ[٥] السَّهْمِ ، اسْتَوْصَلَ[٦] شِعْرُهُ الشُّرَفَاءَ ، وَنَادَمَ[٧] الْخُلَفَاءَ وَلَهُ فِي الْغَزَلِ الرَّصَافِيَّةُ[٨] ، وَفِي الْعِتَابِ الدَّالِيَّةُ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ سِوَاهُمَا ، لَكَانَ أَشْعَرَ النَّاسِ بِهِمَا .

---

(١) مديد : طويل (٢) مقبل : بأحدى عينيه قبل . وهو ميل حدقة العين على الاخرى (٣) الخليقتين : يريد المدح والذم

(٤) رشيق : حسن (٥) راشق السهم : مصيبه (٦) استوصل : طلب الصلات والجوائز بشعره فنالها (٧) نادم الرجل صاحبه : جالسه على الشراب وسامره (٨) يريد الرائية التى مطلعها

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وَأَمَّا الطَّائِيُّ حَبِيبٌ ، فَمُتَكَلِّفٌ[١] إِلَّا أَنَّهُ يُصِيبُ ، وَمُتْعِبٌ لَكِنْ لَهُ مِنَ الرَّاحَةِ نَصِيبٌ[٢] ، وَشُغْلُهُ الْمُطَابَقَةُ[٣] وَالتَّجْنِيسُ ، حُبِّذَ[٤] ذَلِكَ أَوْ بِئْسَ[٥] ، جَزْلُ[٦] الْمَعَانِي ، مَرْصُوصُ الْمَغَانِي[٧] ، مَدْحُهُ وَرِثَاؤُهُ ، لَا غَزَلُهُ وَهِجَاؤُهُ ، طَرَفَا نَقِيضٍ ، وَخَطْبَا سَمَاءٍ وَحَضِيضٍ ، وَفِي شِعْرِهِ عِلْمٌ جَمٌّ[٨] مِنَ النَّسَبِ ، وَجُمْلَةٌ وَافِرَةٌ مِنْ أَيَّامِ[٩] الْعَرَبِ ، وَطَارَتْ لَهُ أَمْثَالٌ ، وَحُفِظَتْ لَهُ أَقْوَالٌ ، وَدِيوَانُهُ

---

(١) متكلف : متجشم ومتحمل له على مشقة (٢) النصيب : الحظ

(٣) المطابقة والتجنيس : نوعان من المحسنات البديعية

(٤) حبذ : مدح . من قولهم حبذا (٥) بيس : ذم . من قولهم بئس (٦) جزل المعانى : فصيحها ومتينها (٧) المغانى : جمع مغنى . وهو المنزل . أو ما يتغنى به من الكلام .

(٨) جم : كثير (٩) أيام : وقائع العرب مجاز من أطلاق الزمان وارادة الحال فيه

مَقْرُوٌّ ، وَشِعْرُهُ مَتْلُوٌّ ، قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : أَمَّا صِفَتُهُ هَذِهِ لِأَبِي تَمَّامٍ . فَنَصَفَةٌ(١) لَمْ يَثْنِ(٢) عِطْفَهَا حَمِيَّةٌ(٣) ، وَلَا تَعَلَّقَتْ بِذَيْلِهَا عَصَبِيَّةٌ ، حَتَّى لَوْ سَمِعَهَا حَبِيبٌ لَاتَّخَذَهَا قِبْلَةً(٤) ، وَاعْتَمَدَهَا مِلَّةً(٥) ، فَمَا لَامَ(٦) مِنْ أَدَبٍ وَإِنْ أَوْجَعَ(٧) ، وَلَا سَبَّ(٨) مِنْ صِدْقٍ وَإِنْ أَقْذَعَ(٩) . وَأَمَّا الْبُحْتُرِيُّ : فَلَفْظُهُ مَاءٌ ثَجَّاجٌ(١٠) ، وَدُرٌّ رَجْرَاجٌ ، وَمَعْنَاهُ سِرَاجٌ وَهَّاجٌ عَلَى أَهْدَى مِنْهَاجٍ ، يَسْبِقُهُ شِعْرُهُ ، إِلَى مَا يَجِيشُ بِهِ صَدْرُهُ ، يُسْرُ مُرَادٍ : وَلِينُ قِيَادٍ ، إِنْ شَرِبْتَهُ

---

(١) فنصفة : إنصاف وعدل (٢) يثن : يضعف (٣) حمية : قوة وشجاعة (٤) القبلة ما يستقبل من كل شيء (٥) الملة : الشريعة أو الدين (٦) لام : وبخ . والمراد فما لامه أى وبخه أحد
(٧) أوجع : آلم (٨) سب : شتم . والمراد ما شتمه أحد على صدق
(٩) القذع : الفحش والتجريح (١٠) الثجاج : شديد الانصباب

أَرْوَاكَ ، وَإِنْ قَدَحْتَهُ[١] أَوْرَاكَ[٢] ، طَبْعٌ لَا تَكَلُّفَ يُعْيِيهِ[٣] ، وَلَا الْعِنَادُ يَثْنِيهِ[٤] ، لَا يُمَلُّ كَثِيرُهُ ، وَلَا يُسْتَكْلَفُ[٥] غَزِيرُهُ ، لَمْ يَهْفُ[٦] أَيَّامَ الْحُلُمِ[٧] وَلَمْ يَصْفُ[٨] زَمَنَ الْهَرَمِ .

وَأَمَّا ابْنُ الْمُعْتَزِّ : فَمَلِكُ النِّظَامِ ، كَمَا هُوَ مَلِكُ الأَنَامِ ، لَهُ التَّشْبِيهَاتُ الْمَثَلِيَّةُ ، وَالاِسْتِعَارَاتُ الشَّكْلِيَّةُ ، وَالْإِشَارَاتُ السِّحْرِيَّةُ ، وَالعِبَارَاتُ

(١) قدح بالزند على القداح : ضرب به على القداح (٢) أوراك : أضاء لك (٣) يعييه : أعياه التكلف والمشى أتعبه. وعي عن الكلام حصر لقى الأمير احمد بن سهل أبا زيد البلخى فى طريق وقد أجهده السير فقال له الأمير « عيت » أيها الشيخ فقال أبو زيد نعم « أعييت أيها الأمير » فنبهه أنه لحن فى قوله عيت إذ العى فى الكلام والاعياء فى المشى ونحوه مما يكسب نصباً (٤) يثنيه : يضعفه (٥) يستكلف : يشق ويمج

(٦) يهف : يزل قدمه (٧) الحلم : الصبا والشباب

(٨) لم يصف : لم يخل من شائبة

الْمَجْرِيَّةُ[١] ، وَالتَّصَارِيفُ الصُّنُوفِيَّةُ ، وَالطَّرَائِقُ[٢] الْفُنُونِيَّةُ ، وَالِافْتِخَارَاتُ الْمُلُوكِيَّةُ ، وَالْهِمَّاتُ الْعُلْوِيَّةُ ، وَالْغَزَلُ[٣] الرَّائِقُ[٤] ، وَالْعِتَابُ الشَّائِقُ[٥] ، وَوَصْفُ الْحُسْنِ الْفَائِقِ[٦] .

وَخَيْرُ الشِّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالًا

وَشَرُّ الشِّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ

وَأَمَّا ابْنُ الرُّومِيِّ : فَشَجَرَةُ الِاخْتِرَاعِ ، وَثَمَرَةُ الِابْتِدَاعِ ، وَلَهُ فِي الْهِجَاءِ ، مَا لَيْسَ لَهُ فِي الْإِطْرَاءِ[٧] ، فَتَحَ فِيهِ أَبْوَابًا ، وَوَصَلَ مِنْهُ أَسْبَابًا ، وَخَلَعَ مِنْهُ

(١) المجرية : كثيرة الجرى على الألسن (٢) الطرائق : جمع طريقة وهى الحالة والمسلك والمذهب (٣) الغزل : محادثة النساء واللهو معهن (٤) الرائق : الصافى الذى لا يشوبه دنس (٥) الشائق : اسم فاعل من شاق يقال : شاق الحب زيداً إلى فلان هاج شوقه . فهو شائق ومشوق (٦) الفائق : الجيد الخالص فى نوعه (٧) الاطراء : المدح

أَثْوَابًا ، وَطَوَّقَ فِيهِ رِقَابًا يَبْقَيْنَ أَعْمَارًا وَأَحْقَابًا ، يَطُولُ عَلَيْهَا حِسَابُهُ ، وَيُحْقَبُ بِهَا ثَوَابُهُ ، وَلَقَدْ كَانَ وَاسِعَ الْعَطَنِ[١] ، لَطِيفَ الْفِطَنِ[٢] ، إِلَّا أَنَّ الْغَالِبَ عَلَيْهِ ضَعْفُ الْمَرِيرَةِ[٣] ، وَقُوَّةُ الْمِرَّةِ[٤] .

وَأَمَّا كُشَاجِمُ : فَحَكِيمٌ شَاعِرٌ ، وَكَاتِبٌ مَاهِرٌ لَهُ فِي التَّشْبِيهَاتِ غَرَائِبُ ، وَفِي التَّأْلِيفَاتِ عَجَائِبُ ، يُجِيدُ الْوَصْفَ وَيُحَقِّقُهُ ، وَيَسْبُكُ الْمَعْنَى فَيُرَقِّقُهُ وَيُرَوِّقُهُ[٥] .

وَأَمَّا الصَّنَوْبَرِيُّ : فَفَصِيحُ الْكَلَامِ غَرِيبُهُ ،

---

(١) العطن : مصدر . وهو مبرك الابل حول الحوض . ومربض الغنم حول الماء . والجمع أعطان (٢) الفطن جمع فطنة : وهى الذكاء وسرعة الفهم (٣) المريرة : الحبل الشد الفتل (٤) المرة : مزاج من أمزجة البدن إذا مرض به امرؤ كان غير متزن التفكر (٥) يروقه : يصفيه

مَلِيحُ التَّشْبِيهِ عَجِيبُهُ . مُسْتَعْمِلٌ لِشَوَاذِّ الْقَوَافِي ، يَغْسِلُ كُدْرَتَهَا بِمِيَاهِ فَهْمِهِ الصَّوَافِي . فَتَجْلُو[1] وتَدِقُّ[2] ، وَتَعْذُبُ وَتَرِقُّ ، وَهُوَ وَحِيدُ جِنْسِهِ ، فِي صِفَةِ الْأَزْهَارِ ، وَأَنْوَاعِ الْأَنْوَارِ ، وَكَانَ فِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ يَتَخَالَعُ[3] ، وَفِي بَعْضِهَا يَتَشَاجَعُ ، وَقَدْ مَدَحَ وَهَجَا ، وَنَثَرَ وَشَجَا ، وَأَعْجَبَ شِعْرُهُ وَأَطْرَبَ ، وَشَرَّقَ وَغَرَّبَ ، وَمَدَحَ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ أَمِيرَ الزَّابِ ، جَعْفَرَ بْنَ عَلِيٍّ مُنْفِقَ[4] سُوقِ الْآدَابِ ، فَوَصَلَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، بَعَثَهَا إِلَيْهِ مَعَ ثِقَاتِ التُّجَّارِ .

وَأَمَّا الْخُبْزَ أُرْزِيُّ : فَخَلِيعُ الشِّعْرِ مَاجِنُهُ[5] ، رَائِقُ

---

(١) فتجلو : تصفو وتتضح (٢) تدق : تزداد جلاء

(٣) فيه مجون . وهو الهزل (٤) منفق : مروج (٥) الماجن : المازح والهازل ومن لا يبالى ما صنع وما قيل له . والجمع مجان

اللفظِ بَائِنُهُ كَثِيرَةٌ مَحَاسِنُهُ ، صَحِيحَةٌ أُصُولُهُ وَمَعَادِنُهُ ، رَائِقَةُ الْبِزَّةِ(١) ، مَائِلَةٌ إِلَى الْعِزَّةِ(٢) ، تُسْلِيهِ(٣) عَنِ الْحُبِّ اخِلْيَانَةُ ، وَيَرُوقُهُ(٤) الْوَفَاءُ(٥) وَالصِّيَانَةُ(٦) ، وَلَهُ عَلَى خُشُونَةِ خُلُقِهِ ، وَصُعُوبَةِ خَلْقِهِ ، اخْتِرَاعَاتٌ لَطِيفَةٌ ، وَابْتِدَاعَاتٌ ظَرِيفَةٌ ، فِي أَلْفَاظٍ كَثِيفَةٍ ، وَفُصُولٍ قَلِيلَةِ الْفُضُولِ نَظِيفَةٍ . حَتَّى إِنَّ بَعْضَ كُبَرَاءِ الشُّعَرَاءِ ، اهْتَدَمَ أَشْيَاءَ مِنْ مَبَانِيهِ ، وَاهْتَضَمَ(٧) طَرَفًا مِنْ مَعَانِيهِ ، وَهُوَ مِنْ مُعَاصِرِيهِ ، فَقَلَّ مَنْ فَطِنَ لِمَرَامِيهِ(٨) .

---

(١) البزة : الهيئة والشارة واللبسة (٢) العزة : مصدر . واسم بمعنى القوة والغلبة فى المعازة (٣) تسليه : تنسيه (٤) يروقه : يعجبه (٥) الوفاء : عدم الأخلاف (٦) الصيانة : الحفظ (٧) اهتضم : انتقص وحذف (٨) المرامى : جمع مرمى . وهو المقصد

وَأَمَّا أَبُو فِرَاسِ بْنُ حِمْدَانَ ، فَفَارِسُ هَذَا الْمَيْدَانِ ، إِنْ شِئْتَ ضَرْبًا وَطَعْنًا ، أَوْ لَفْظًا وَمَعْنًى ، مَلَكَ زَمَانًا ، وَمَلَكَ أَوَانًا ، وَكَانَ أَشْعَرَ النَّاسِ فِي الْمَمْلَكَةِ ، وَأَشْعَرَهُمْ فِي ذُلِّ الْمِمْلَكَةِ(١) ، وَلَهُ الْفَخْرِيَّاتُ(٢) الَّتِي لاَ تُعَارَضُ ، وَالْأَسْرِيَّاتُ(٣) الَّتِي لاَ تُنَاقَضُ .

وَأَمَّا الْمُتَنَبِّي : فَقَدْ شُغِلَتْ بِهِ الْأَلْسُنُ ، وَسَهِرَتْ فِي أَشْعَارِهِ الْعُيُونُ الْأَعْيُنُ(٤) ، وَكَثُرَ النَّاسِخُ لِشِعْرِهِ ، وَالآخِذُ لِذِكْرِهِ ، وَالْغَائِصُ فِي بَحْرِهِ ، وَالْمُفَتِّشُ فِي قَعْرِهِ عَنْ جُمَانِهِ(٥) وَدُرِّهِ ، وَقَدْ طَالَ فِيهِ الْخُلْفُ ،

---

(١) المِملكة بكسر الميم : الملك (٢) الفخريات : القصائد التى قالها فى الفخر (٣) الأسريات : أى القصائد التى قيلت فى الأسر

(٤) الأعين : الواسعة (٥) الجمان : الدر وهو اسم جنس واحده جمانة

وَكَثُرَ عَنْهُ الْكَشْفُ ، وَلَهُ شِيعَةٌ تَغْلُو[١] فِي مَدْحِهِ ، وَعَلَيْهِ خَوَارِجُ تَتَعَايَا[٢] فِي حَرْحِهِ ، وَالَّذِي أَقُولُ : إِنَّ لَهُ حَسَنَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ ، وَحَسَنَاتُهُ أَكْثَرُ عَدَداً ، وَأَقْوَى مَدَداً[٣] ، وَغَرَائِبُهُ طَائِرَةٌ ، وَأَمْثَالُهُ سَائِرَةٌ[٤] ، وَعِلْمُهُ فَسِيحٌ[٥] ، وَمَيْزُهُ[٦] صَحِيحٌ ، يَرُومُ[٧] فَيَقْدِرُ ، وَيَدْرِي مَا يُورِدُ[٨] وَيُصْدِرُ[٩] .

قَالَ أَبُو الرَّيَّانِ : هَذَا مَا عِنْدِي فِي شُعَرَاءِ الْمَشْرِقِ ، وَقَدْ سَمَّيْتَ لِي مِنْ مُتَأَخِّرِي شُعَرَاءِ الْمَغْرِبِ ، مَنْ لَعَمْرِي لاَ يَبْعُدُ عَنْ مُعَاصِرِهِمْ ، وَلاَ يَقْصُرُ عَنْ سَابِقِهِمْ .

---

(١) تغلو : تسرف (٢) تتعايا : تعجز (٣) المدد : الزيادة
(٤) سائرة : من سار المثل : إذا انتشر وذاع فى مختلف الأقطار . ويقال : أسيرُ من مثل . (٥) فسيح : واسع (٦) الميزُ اسم بمعنى التمييز : وهو قوة فى الدماغ يستنبط بها المعانى (٧) يروم : يريد
(٨) يورد : يرد عليه (٩) يصدر : يخرج منه

فَأَمَّا ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْقُرْطُبِيُّ : وَإِنْ بَعُدَتْ عَنْكَ دِيَارُهُ ، فَقَدْ صَاقَبَتْنَا[1] أَشْعَارُهُ ، وَوَقَفْنَا عَلَى أَشْعَارِ صَبْوَتِهِ[2] الْأَنِيقَةِ[3] ، وَتَكْفِيرَاتِ تَوْبَتِهِ الصَّدُوقَةِ ، وَمَدَائِحِهِ الْمَرْوَانِيَّةِ ، وَمَطَاعِنِهِ فِي الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ فَارِسٌ مُمَارِسٌ[4] ، وَطَاعِنٌ مُدَاعِسٌ[5] ، وَأَطْلَعْنَا فِي شِعْرِهِ عَلَى عِلْمٍ وَاسِعٍ ، وَمَادَّةِ فَهْمٍ مُضِيءٍ نَاصِعٍ[6] ، وَمِنْ تِلْكَ الْجَوَاهِرِ نَظَمَ عِقْدَهُ ، وَتَرَكَهُ لِمَنْ يَتَجَمَّلُ بِهِ بَعْدَهُ .

---

(١) صاقبتنا : قاربتنا وواجهتنا (٢) الصبوة : جهلة الفتوة يريد : ما قاله فى ميعة صباه من غزل ونسيج . ويريد بقوله من تكفيرات توبته الخ ما عارض به من قصائده الأولى من ندم وتوبة. ويقال لها المحصات (٣) الأنيقة مؤنث الأنيق : وهو الحسن المعجب (٤) الممارس : الشديد المجرب للأمور (٥) مداعس : قوى شديد (٦) الناصع : الخالص الصافى من الالوان . وأكثر ما يقال فى الأبيض

وَأَمَّا ابْنُ هَانِئٍ مُحَمَّدٌ : الْأَنْدَلُسِيُّ وِلَادَةً ، الْقَيْرَوَانِيُّ وِفَادَةً وَإِفَادَةً ، فَرَعْدِيُّ[١] الْكَلَامِ ، سَرْدِيُّ[٢] النِّظَامِ[٣] ، مَتِينُ[٤] الْمَبَانِي[٥] ، غَيْرُ مَكِينِ[٦] الْمَعَانِي ، يَجْفُو[٧] بِعَطَنِهَا[٨] عَنِ الْأَوْهَامِ[٩] ، حَتَّى تَكُونَ كَنُقْطَةِ[١٠] النِّظَامِ[١١] ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا ظَهَرَتْ مَعَانِيهِ ، فِي جَزَالَةِ مَبَانِيهِ ، رَمَى عَنْ مَنْجَنِيقٍ[١٢] ، يُؤَثِّرُ فِي النِّيقِ[١٣] ، وَلَهُ غَزَلٌ

---

(١) رعدى الكلام : كثيره (٢) سردى : متتابع (٣) النظام الكثير النظم (٤) متين قوى (٥) المبانى : التراكيب (٦) المكين : المتين والقوى الراسخ . والجمع مكناء (٧) يجفو : يبعد (٨) العطن : مبرك الأبل حول الحوض . ومربض الغنم حول الماء (٩) الأوهام جمع وهم : وهو ما يقع فى الذهن من الخواطر . ويجمع كذلك على وُهوم وَوُهم (١٠) النقطة : علامة شبه كرة صغيرة توضع تمييزاً للحرف والجمع نقط ونقاط (١١) النظام : ملاك الامر وقوامه ويجمع على نظم وأنظمة . وأناظيم (١٢) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة (١٣) النيق : الطويل من الجبل . ويجمع على أنياق . ونيوق . ونياق

قَفْرِىٌّ[١] ، لَا عُذْرِىٌّ ، لَا يَقْنَعُ فِيهِ بِالطَّيْفِ[٢] ، وَلَا يَشْفَعُ فِيهِ بِغَيْرِ السَّيْفِ ، وَقَدْ نَوَّهَ بِهِ مَلِكُ الزَّابِ[٣] ، وَعَظَّمَ شَانَهُ بِأَجْزَلِ الثَّوَابِ ، وَكَانَ سَيْفَ دَوْلَتِهِ ، فِى إِعْلَاءِ مَنْزِلَتِهِ ، مِنْ رَجُلٍ يَسْتَعِينُ عَلَى صَلَاحِ دُنْيَاهُ ، بِفَسَادِ أُخْرَاهُ ، لِرَدَاءَةِ عَقْلِهِ وَرِقَّةِ دِينِهِ ، وَضَعْفِ يَقِينِهِ[٤] ، وَلَوْ عَقَلَ لَمْ تَضِقْ عَلَيْهِ مَعَانِى الشِّعْرِ ، حَتَّى يَسْتَعِينَ عَلَيْهَا بِالْكُفْرِ[٥] .

وَأَمَّا الْقَسْطَلِّىُّ : فَشَاعِرٌ مَاهِرٌ ، عَالِمٌ بِمَا يَقُولُ ،

---

(١) القفر : المكان الخالى من الناس (٢) الطيف : الخيال

(٣) هو أبو على جعفر بن على بن احمد بن حمدان أمير الزاب قتل سنة ٣٦٤ هـ قتله الأمير الصنهاجى صاحب القيروان (٤) اليقين : الأيمان

(٥) كقوله فى مطلع قصيدة يمدح فيها المعز الفاطمى :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

تَشْهَدُ لَهُ الْعُقُولُ ، بِأَنَّهُ الْمُؤَخَّرُ بِالْعَصْرِ ، الْمُقَدَّمُ فِي الشِّعْرِ ، حَاذِقٌ[١] بِوَضْعِ الْكَلَامِ فِي مَوَاضِعِهِ ، لَا سِيَّمَا إِذَا ذَكَرَ مَا أَصَابَهُ فِي الْفِتْنَةِ ، وَشَكَا مَا دَهَاهُ فِي أَيَّامِ الْمِحْنَةِ[٢] ، وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ أَشْعَرُ أَهْلِ مَغْرِبِهِ ، فِي أَبْعَدِ الزَّمَانِ وَأَقْرَبِهِ .

وَأَمَّا عَلِيٌّ التُّونِسِيُّ : فَشِعْرُهُ الْمَوْرِدُ الْعَذْبُ ، وَلَفْظُهُ اللُّؤْلُؤُ الرَّطْبُ[٣] ، وَهُوَ بُحْتُرِيُّ الْغَرْبِ ، يَصِفُ الْحَمَامَ ، فَيَرُوقُ الْأَنَامَ ، وَيُشَبِّبُ[٤] ، فَيُعْشَقُ وَيُحَبُّ ، وَيَمْدَحُ فَيَمْنَحُ[٥] ، أَكْثَرُ مَا يُمْنَحُ[٦] .

هَذَا مَا عِنْدِي فِي الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ ، عَلَى

---

(١) الحاذق : الماهر (٢) المحنة : الشدة
(٣) الرطب : الندى (٤) يشبب : يذكر محاسن النساء
(٥) يمنح : يعطى (٦) يمنح : يأخذ

احْتِقَارِ الْمُعَاصِرِ ، وَاسْتِصْغَارِ الْمُجَاوِرِ . فَحَاشَ لِلّٰهِ مِنَ الْأَوْصَافِ بِقِلَّةِ الْإِنْصَافِ ، لِلْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ ، وَالْعَدُوِّ وَالْحَبِيبِ ، قُلْتُ : يَا أَبَا الرَّيَّانِ ، أَكْثَرَ اللّٰهُ مِثْلَكَ فِي الْإِخْوَانِ ، وَوَقَّاكَ مَحْذُورَ[1] الزَّمَانِ ، وَمُرُورَ الْحَدَثَانِ[2] ، فَلَقَدْ سُبِكْتَ[3] فَهْماً ، وَحُشِيتَ[4] عِلْماً .

قَالَ مُحَمَّدٌ : قُلْتُ لِأَبِي الرَّيَّانِ فِي مَجْلِسٍ عَقِيبَ هَذَا الْمَجْلِسِ : يَا أَبَا الرَّيَّانِ ، لَقَدْ رَأَيْتُ لَكَ نَقْدًا مُصِيباً ، وَمَرْمًى عَجِيباً ، وَلَقَدْ أَرْغَبُ فِي أَنْ أَنَالَ مِنْهُ نَصِيباً قَالَ : النَّقْدُ هِبَةُ الْمَوَالِدِ ، وَفِيهِ

(١) المحذور : ما يحترز منه . والمكروه (٢) الحدثان من الدهر : نوبه . والحِدْثان من الدهر : نوائبه (٣) سبكت : بلغت مكاناً عالياً فى الفهم حتى صرت كالسبيكة (٤) حشيت : ملئت

زِيَادَةُ طَارِفٍ[١] إِلَى تَالِدٍ[٢] ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عُلَمَاءَ بِالشِّعْرِ ، وَرُوَاةً لَهُ ، لَيْسَ لَهُمْ نَفَاذٌ فِي نَقْدِهِ ، وَلَا جَوْدَةُ فَهْمٍ فِي رَدِّيهِ وَجَيِّدِهِ ، وَكَثِيراً مِمَّنْ لَا عِلْمَ لَهُ ، يَفْطَنُ إِلَى غَوَامِضِهِ ، وَإِلَى مُسْتَقِيمِهِ وَمُتَنَاقِضِهِ قُلْتُ : أَنَا شَدِيدُ الرَّغْبَةِ إِلَى فَضْلِكَ فِي أَنْ تُسْهِمَنِي[٣] مِنْ مَيْزِكَ وَعَقْلِكَ ، مَا أَسْتَهْدِي بِسِرَاجِهِ ، عَلَى مُسْتَقِيمِ مِنْهَاجِهِ ، فَأَقِفَ مِنْ سَرَائِرِهِ[٤] عَلَى بَعْضِ مَا وَقَفْتَ ، وَأَعْرِفَ مِنْ مَفَاخِرِهِ وَمَعَانِيهِ جُزْءًا مِمَّا عَرَفْتَ . قَالَ : نَعَمْ . أَوَّلُ مَا عَلَيْهِ تَعْتَمِدُ ، وَإِيَّاهُ

---

(١) الطارف : الحديث المستفاد (٢) التالد والتليد والتلاد : المال القديم الأصلى الذى ولد عندك . وهو نقيض الطارف

(٣) تسهمني : تعطيني سهماً (٤) السرائر : جمع سريرة . وهى ما يكتم فى النفس كالسر . وسريرة الانسان ما أسره أي ما كتمه من أمره

تَعْتَقِدُ ، أَلَّا تَسْتَعْجِلَ بِاسْتِحْسَانٍ(١) وَلَا بِاسْتِقْبَاحٍ(٢) وَلَا بِاسْتِبْرَادٍ(٣) ، وَلَا بِاسْتِمْلَاحٍ(٤) ، حَتَّى تُنْعِمَ(٥) النَّظَرَ وَتَسْتَخْدِمَ الْفِكْرَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَجَلَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مَوْطِئُهُ(٦) زَلُوقٌ(٧) ، وَمَرْكَبٌ زَهُوقٌ(٨) ، فَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ مَا يَمْلَأُ لَفْظُهُ الْمَسَامِعَ ، وَيَرِدُ عَلَى السَّامِعِ مِنْهُ قَعَاقِعُ(٩) ، فَلَا يَرُعْكَ شَمَاخَةُ(١٠) مَبْنَاهُ ، وَانْظُرْ إِلَى مَا فِي سُكْنَاهُ مِنْ مَعْنَاهُ ، فَإِنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ سَاكِنٌ ، فَتِلْكَ الْمَحَاسِنُ ، وَإِنْ كَانَ خَالِيًا ، فَاعْدُدْهُ جِسْمًا بَالِيًا ، وَكَذَلِكَ إِذَا سَمِعْتَ أَلْفَاظًا

---

(١) باستحسان : ما تعده حسناً (٢) باستقباح : ما تعده قبيحاً
(٣) باستبراد: ما تعده بارداً (٤) باستملاح : ما تعده مليحاً مستظرفاً
(٥) تنعم : تتأمل (٦) موطىء اسم مكان : جعله وطيئاً
(٧) زلوق : لا يثبت عليه قدم (٨) زهوق : مضمحل
(٩) قعاقع : صوت ليس وراءه فائدة (١٠) شماخة مبناه: علوه

مُسْتَعْمَلَةً، وَكَلِمَاتٍ مُبْتَذَلَةً، فَلَا تَعْجَلْ بِاسْتِضْعَافِهَا[١] حَتَّى تَرَى مَا فِي أَضْعَافِهَا[٢]، فَكَمْ مِنْ مَعْنًى عَجِيبٍ فِي لَفْظٍ غَيْرِ غَرِيبٍ، وَالْمَعَانِي هِيَ الْأَرْوَاحُ، وَالْأَلْفَاظُ هِيَ الْأَشْبَاحُ، فَإِنْ حَسُنَا فَذَلِكَ الْحَظُّ الْمَمْدُوحُ، وَإِنْ قَبُحَ أَحَدُهُمَا فَلَا يَسْكُنُ الرُّوحُ.

قَالَ: وَتَحَفَّظْ[٣] عَنْ شَيْئَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَحْمِلَكَ إِجْلَالُ الْقَدِيمِ الْمَذْكُورِ عَلَى الْعَجَلَةِ، بِاسْتِحْسَانِ مَا تَسْتَمِعُ لَهُ، وَالثَّانِي أَنْ يَحْمِلَكَ إِصْغَارُكَ الْمُعَاصِرَ الْمَشْهُودَ عَلَى التَّهَاوُنِ بِمَا أُنْشِدْتَ لَهُ. فَإِنَّ ذَلِكَ جَوْرٌ[٤] فِي الْاحْكَامِ، وَظُلْمٌ مِنَ الْحُكَّامِ، حَتَّى

(١) باستضعافها: أي بعدها ضعيفة (٢) أضعافها: أثناء سطورها
(٣) تحفظ: احترز وتصوّن (٤) الجور: الظلم

تُمَحِّصَ[1] قَوْلَهُمَا ، فَحِينَئِذٍ تَحْكُمُ لَهُمَا أَوْ عَلَيْهِمَا ، وَهَذَا بَابٌ فِي اغْتِلَاقِهِ اسْتِصْعَابٌ ، وَفِي صَرْفِ الْعَامَّةِ وَبَعْضِ الْخَاصَّةِ عَنْهُ إِتْعَابٌ ، وَقَدْ وَصَفَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الصَّادِقِ تَشَبُّثَ[2] الْقُلُوبِ بِسِيرَةِ الْقَدِيمِ ، وَنِفَارَهَا مِنَ الْمُحْدَثِ الْجَدِيدِ ، فَقَالَ حَاكِيًا لِقَوْلِهِمْ : « إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ » . وَقَالَ : « لَنْ نَعْبُدَ إِلَّا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا » ، وَقَدْ قُلْتَ أَنْتَ :

أُغْرِيَ[3] النَّاسُ بِامْتِدَاحِ الْقَدِيمِ
وَبِذَمِّ الْجَدِيدِ غَيْرَ ذَمِيمِ

---

(١) تمحص : تختبر (٢) تشبُّث : تمسُّك (٣) أغرى : أولع

لَيْسَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ حَسَدُوا الْحَـ

ـىَّ وَرَقُّوا[1] عَلَى الْعِظَامِ الرَّمِيمِ

وَقُلْتَ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

قُلْ لِمَنْ لَا يَرَى الْمُعَاصِرَ شَيْئًا

وَيَرَى لِلْأَوَائِلِ التَّقْـــدِيمَا

إِنَّ ذَاكَ الْقَدِيمَ كَانَ جَدِيدًا

وَسَيَغْدُو[2] هَذَا الْجَدِيدُ قَدِيمًا

فَلَا يَرُعْكَ[3] أَنْ تَجْرِيَ عَلَى مِنْهَاجِ[4] الْحَقِّ ، فِي جَمِيعِ الْخَلْقِ ، فَبِهِ قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَبِهِ أُحْكِمَ الْإِبْرَامُ[5] وَالنَّقْضُ ، وَسَأُمَثِّلُ لَكَ

(١) رقوا : عطفوا (٢) سيغدو : سيصبح . والغُدوة : أول النهار (٣) يرُعك : يفزعك . فالروعُ : الفزع

(٤) المنهاج : الطريق المستقيم الواضح . ومنه قوله تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (٥) الابرام : الاحكام والتدبير والنقض ضده

فِي ذَلِكَ مِثَالًا ، وَأَمْلَأُ أَسْمَاعَكَ مَقَالًا . وَفَهْمَكَ عَدْلًا وَاعْتِدَالًا .

هَذَا امْرُؤُ الْقَيْسِ أَقْدَمُ الشُّعَرَاءِ عَصْرًا . وَمُقَدَّمُهُمْ شِعْرًا وَذِكْرًا . وَقَدِ اتَّسَعَتِ الْأَقْوَالُ فِي فَضْلِهِ ، اتِّسَاعًا لَمْ يَفُزْ غَيْرُهُ بِمِثْلِهِ ، حَتَّى إِنَّ الْعَامَّةَ تَظُنُّ بَلْ تُوقِنُ أَنَّ جَوَادَ شِعْرِهِ لَا يَكْبُو[1] ، وَحُسَامَ نَظْمِهِ لَا يَنْبُو[2] وَهَيْهَاتَ مِنَ الْبَشَرِ الْكَمَالُ . وَمِنَ الْآدَمِيِّينَ الِاسْتِوَاءُ[3] وَالِاسْتِدْلَالُ[4] . يَقُولُ فِي قَصِيدَتِهِ الْمُقَدَّمَةِ . وَمُعَلَّقَتِهِ الْمُفَخَّمَةِ .

(١) لا يكبو : لا يعثر أو يسقط . والمراد أنه لا يخطىء
(٢) لا ينبو : لا يهفو (٣) الاستواء : الاعتدال
(٤) الاستدلال : الاسترشاد

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخِدْرَ(١) خِدْرَ عُنَيْزَةٍ

فَقَالَتْ: لَكَ الْوَيْلَاتُ(٢) إِنَّكَ مُرْجِلِي(٣)

فَمَا كَانَ أَغْنَاهُ عَنِ الْإِقْرَارِ بِهَذَا ، وَمَا أَشَدَّ غَفْلَتَهُ عَمَّا أَدْرَكَهُ مِنَ الْوَصْمَةِ(٤) بِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ فِيهِ أَعْدَادًا كَثِيرَةَ النَّقْضِ وَالْبَخْسِ(٥) ، مِنْهَا دُخُولُهُ مُتَطَفِّلًا عَلَى مَنْ كَرِهَ دُخُولَهُ عَلَيْهِ . وَمِنْهَا قَوْلُ عُنَيْزَةَ لَهُ : لَكَ الْوَيْلَاتُ ، وَهِيَ قَوْلَةٌ لَا تُقَالُ إِلَّا لِخَسِيسٍ(٦) ، وَلَا يُقَابَلُ بِهَا رَئِيسٌ . فَإِنِ احْتَجَّ مُحْتَجٌّ بِأَنَّهَا كَانَتْ أَرْأَسَ مِنْهُ . قِيلَ لَهُ :

---

(١) الخدْرُ : ستر يُعد للجارية فى ناحية البيت . وكل ما واراك من بيت ونحوه . والمراد به الهودَج المعروف (٢) الويلات : جمع ويلة . وهى الفضيحة وهى جملة دعائية تقال فى الدلال للمدعو له لا عليه

(٣) مرجلى : مهلكى (٤) الوصمة : المرة من الوصم . وهى العار والعيب (٥) البخس : النقص . ومنه قوله تعالى « وشروه بثمن بخس » أى ناقص (٦) الخسيس : الحقير

لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الرَّئِيسَةَ لَا تَرْكَبُ بَعِيراً يَدْرُجُ[١] أَوْ يَمُوتُ ، إِذَا ازْدَادَ عَلَيْهِ رُكُوبُ رَاكِبٍ ، بَلْ هُوَ بَعِيرُ فَقِيرٍ حَقِيرٍ ، فَإِنِ احْتُجَّ لَهُ بِأَنَّهُ صَبَرَ عَلَى الْقَوْلِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا مَعْشُوقَةٌ ، قِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ يَكُونُ عَاشِقاً لَهَا ، مَنْ يَقُولُ لَهَا :

فَمِثْلُكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ

فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ

وَإِنَّمَا الْمَعْرُوفُ لِلْعَاشِقِ ، الْإِنْفِرَادُ بِمَعْشُوقَتِهِ ، وَاطِّرَاحُ سِوَاهَا ، كَالْقَيْسَيْنِ فِي لَيْلَى وَلُبْنَى ، وَغَيْلَانَ بِمَيَّةَ ، وَجَمِيلٍ بِبُثَيْنَةَ ، وَسِوَاهُمْ كَثِيرٌ . فَلَمْ يَكُنْ لَهَا عَاشِقاً ، بَلْ كَانَ فَاسِقاً . ثُمَّ أَهْجَنُ[٢] هُجْنَةٍ[٣]

(١) يدرج : يمشى الهوينا (٢) أهجن : أعيب
(٣) الهجنة : القبح والعيب فى الكلام

عَلَيْهِ ، وَأَسْخَنُ[١] سَخْنَةٍ[٢] لِعَيْنَيْهِ ، إِقْرَارُهُ بِإِتْيَانِ الْحُبْلَى وَالْمُرْضِعِ ، فَأَمَّا الْحُبْلَى : فَقَدْ جَبَلَ[٣] اللهُ النُّفُوسَ عَلَى الزُّهْدِ[٤] فِيهَا وَالْإِعْرَاضِ عَنْ شَأْنِهَا . مِنْهَا أَنَّ الْحَبَلَ عِلَّةٌ ، وَأَشْبَهُ الْعِلَلِ بِالْإِسْتِسْقَاءِ[٥] ، وَمَعَ الْحَبَلِ كُمُودُ[٦] اللَّوْنِ ، وَسُوءُ الْغِذَاءِ ، وَفَسَادُ النَّكْهَةِ[٧] ، وَسُوءُ الْخُلُقِ وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَلَا يَمِيلُ إِلَى هَذَا مَنْ لَهُ نَفْسُ سُوقِيٍّ[٨] دَعْ نَفْسَ مَلَكِيٍّ .

وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْبَهَائِمَ كُلَّهَا ، لَا تَنْظُرُ إِلَى ذَوَاتِ الْحَمْلِ مِنْ أَجْنَاسِهَا . وَلَا تَقْرَبُ مِنْهَا

(١) أسخن : أحمى (٢) السُّخنة . والسِّخنة . والسَّخَنة . والسُّخونة . الحر والحمىُ . والمراد وأحرُّ دمع لعينيه .
(٣) جبلَ : طبع (٤) الزهد : الرغبة عن الشيء
(٥) الاستسقاء : طلب الماء (٦) كمود اللون : تغيره وعدم صفائه
(٧) فساد النكهة : تغيرُ رائحة الفم (٨) السوقى : أحدُ الرعية

حَتَّى تَضَعَ أَحْمَالَهَا . أَوْ تُفَارِقَ فُصْلَانَهَا[١] . ثُمَّ لَمْ يَكْفِهِ أَنْ يَذْكُرَ الْحُبْلَى ، حَتَّى افْتَخَرَ بِالْمُرْضِعِ ، وَفِيهَا مِنَ التَّلْوِيثِ بِأَوْضَارِ[٢] رَضِيعِهَا . وَمِنَ اهْتِزَالِهَا[٣] وَاشْتِغَالِهَا ، عَنْ إِحْكَامِ اغْتِسَالِهَا . وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ ذَا التَّمَائِمِ الْمُحْوِلَ ، مُتَعَلِّقٌ بِهَا بِقَوْلِهِ : فَالْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلٍ ، وَأَخْبَرَ أَنَّهَا ظِئْرٌ[٤] وَلَدِهَا ، لَا ظِئْرَ لَهُ وَلَا مُرْضِعَ سِوَاهَا ، فَدَلَّ بِذَلِكَ ، عَلَى أَنَّهَا حَقِيرَةٌ وَقِيرَةٌ[٥] . وَمِثْلُ هَذِهِ لَا يَصْبُو[٦] إِلَيْهَا مَنْ لَهُ هِمَّةٌ ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ كُلُّهَا ، تَسْتَقْذِرُهَا

(١) الفصلان : جمع فصيل . وهو ولد الناقة

(٢) أوضار : جمع وضر . والوضر : وسخ اللبن (٣) اهتزالها : ضعفها (٤) الظئر : المرأة المرضعة (٥) الوقيرة : المصابة في عظمها

(٦) لا يصبو : لا يحنُّ ولا يميلُ

نَفْسُ الصُّعْلُوكِ[١] وَالْمَمْلُوكِ ، وَقَدْ قَالَ أَيْضًا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ هَذَا الْبَابِ مِنْ قَصِيدَةٍ أُخْرَى :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا
سُمُوَّ حَبَابِ[٢] الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ

فَقَالَتْ لَحَاكَ[٣] اللهُ إِنَّكَ فَاضِحِي
أَلَسْتَ تَرَى السُّمَّارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي

حَلَفْتُ لَهَا بِاللهِ حِلْفَةَ[٤] فَاجِرٍ[٥]
لَنَامُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِي[٦]

فَأَخْبَرَ هَهُنَا أَنَّهُ هَيِّنُ الْقَدْرِ عِنْدَ النِّسَاءِ ، وَعِنْدَ

---

(١) الصعلوك : الفقير . والجمع . صعاليك وصعالك
(٢) حباب الماء : نفاخاته التى تعلوه . والطل (٣) لحاك الله : قبحك الله ولعنك (٤) الحلفة : واحدة الحلف . والحلف : القسم واليمين
(٥) الفاجر : المنبعث فى المعاصى . ويجمع على فجار وفجرة
(٦) صالى : اسم فاعل من صلا بمعنى اصطلى

نَفْسِهِ بِرِضَاهُ ، قَوْلَهَا : لَحَاكَ اللهُ ، فَحَصَلَ عَلَى لَحَاكَ اللهُ مِنْ هَذِهِ ، وَلَكَ الْوَيْلَاتُ مِنْ تِلْكَ ، فَشَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ ، أَنَّهُ مَكْرُوهٌ مَطْرُودٌ ، غَيْرُ مَرْغُوبٍ فِي مُوَاصَلَتِهِ ، وَلَا مَحْرُوصٍ عَلَى مُعَاشَرَتِهِ ، وَلَا مَرْضِيٍّ بِمُشَاكَلَتِهِ . ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ رَضِيَ بِالْحِنْثِ(١) وَالْفُجُورِ(٢) ، وَهَذِهِ أَخْلَاقٌ لَا خَلَاقَ لَهَا . ثُمَّ أَقَرَّ فِي مَكَانٍ آخَرَ مِنْ شِعْرِهِ ، بِمَا يَكْتُمُهُ الْأَحْرَارُ . وَلَا يَنِمُّ(٣) بِفَتْحِهِ إِلَّا الْأَوْضَاعُ(٤) الْأَشْرَارُ فَقَالَ :

(١) الحنث : الاثم والذنب . والحلف فى اليمين (٢) الفجور : الانبعاث فى المعاصى (٣) نم الحديث ينمه نماً : سعى به ليوقع فتنة أو وحشة وبين الناس : ورش وأغرى (٤) الاوضاع : المنحطون .

وَلَمَّا دَنَوْتُ تَسَدَّيْتُهَا[١] فَثَوْبًا نَسِيتُ وَثَوْبًا أَجُرُّ

وَأَىُّ فَخْرٍ فِى الْإِقْرَارِ بِالْفَضِيحَةِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَعَلَى حُبِّهِ ، وَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْلِ يَعْقُوبَ الْخُزَيْمِيِّ :

وَلَا أَسْأَلُ الْوِلْدَانَ عَنْ وَجْهِ جَارَتِى
بَعِيداً وَلَا أَرْعَاهُ وَهُوَ قَرِيبُ

وَإِنَّمَا سَهَّلَ عَلَيْهِ كُلَّ هَذَا ، حِرْصُهُ عَلَى مَا كَانَ مَمْنُوعًا مِنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مُبْغَضًا إِلَى النِّسَاءِ جِدًّا مَفْرُوكًا[٢] مِمَّنْ مَلَكَ عُصْبَتَهَا لِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ ذُكِرَتْ وَكُلُّ مَنْ حَرَصَ عَلَى نَيْلِ شَىْءٍ فَمُنِعَ مِنْهُ فِعْلًا . أُدَّعَاهُ قَوْلًا . وَلَهُ أَشْبَاهٌ فِيمَا أَتَاهُ . يَدَّعُونَ مَا ادَّعَاهُ

(١) تسديتها : أقمتها . يقال تسدى الثوب : أقام سداه

(٢) المفروك : المكروه الذى أبغضته النساء فهو مكروه ومغضوب عليه من زوجته

إِفْـكًا[١] وَزُورًا[٢] ، وَكَذِبًا وَفُجُورًا . مِنْهُمُ الْفَرَزْدَقُ وَهُوَ الْقَائِلُ :

هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً
كَمَا انْقَضَّ بَازٌ أَقْتَمُ[٣] الرِّيشِ كَاسِرُهُ

فَهَذَا أَوَّلُ كِذْبَةٍ ، وَلَوْ قَالَ : مِنْ ثَلَاثِينَ قَامَةً ، لَكَانَ كَاذِبًا لِتَقَاصُرِ الْأَرْشِيَةِ[٤] عَنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ قَرَّعَهُ[٥] جَرِيرٌ هَذَا فِي قَوْلِهِ :

تَدَلَّيْتَ تَزْنِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً
وَقَصَّرْتَ عَنْ بَاعِ الْعُلَا وَالْمَكَارِمِ

---

(١) الإفك والأفيكة : الكذب (٢) الزور : الكذب . والباطل . والشرك بالله . يقال ما له زورٌ ولا صبور : أى لا قوة له ولا مرجع إليه
(٣) أقتم : أسود (٤) الأرشية : جمع رشاء . والرشاء : حبل الدلو (٥) قرّعه : وبخه . فالتقريع : التوبيخ

وَكَانَ مُغْرَمًا بِالزِّنَا مُدَّعِيًا فِيهِ ، وَقَدْ بُلِيَ بِمَوَانِعَ تَصْدِفُهُ[١] عَنْهُ . مِنْهَا مَا شُهِرَ بِهِ مِنَ النَّمِيمَةِ[٢] بِمَنْ سَاعَدَهُ . وَالِادِّعَاءِ عَلَى مَنْ بَاعَدَهُ ، وَمِنْهَا دَمَامَتُهُ[٣] وَمِنْهَا اشْتِهَارُهُ . وَالْمَشْهُورُ يَصِلُ إِلَى شَهْوَةٍ تَتْبَعُهَا رِيبَةٌ[٤] فَكَانَ يُكْثِرُ فِي شِعْرِهِ مِنِ ادِّعَاءِ الزِّنَا . وَاسْتِدْعَاءِ النِّسَاءِ وَهُنَّ أَغْلَظُ عَلَيْهِ مِنْ كَبِدِ بَعِيرٍ . وَأَبْغَضُ فِيهِ وَأَهْجَى[٥] لَهُ مِنْ جَرِيرٍ . وَخُذْ أَطْرَفَ هَؤُلَاءِ الْأَجْنَاسِ . وَهُوَ سُحَيْمٌ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ أُسَيْوِدٌ[٦] فِي شَمْلَةٍ[٧] . دَنِسَةٍ[٨] قِمَلَةٍ[٩] لَا يُوَاكِلُهُ

(١) تصدفه : تصرفه (٢) النميمة : السعي بين الناس بالفساد
(٣) الدمامة : قبح الخلقة (٤) الريبة : الشك (٥) الهجاء : الوقوع بالشخص وتعديد معايبه شعراً (٦) يريد محقر الاسود اللون
(٧) الشملة : كساء دون القطيفة يشتمل به (٨) دنسة : وسخة
(٩) القمل : ضرب من الحشرات يعيش على جسم الانسان ويتغذى بدمه . والواحدة قملة .

الْغَرْثَانُ[١] ، وَلَا يُصَالِيهِ[٢] الصَّرِدُ[٣] الْعُرْيَانُ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَقُولُ :

وَأَقْبَلْنَ مِنْ أَقْصَى[٤] الْبُيُوتِ يَعِدْنَنِي
نَوَاهِدُ[٥] لَا يَعْرِفْنَ خَلْقًا سِوَائِيَا

يَعُدْنَ مَرِيضًا هُنَّ هَيَّجْنَ مَا بِهِ
أَلَا إِنَّمَا بَعْضُ الْعَوَائِدِ دَائِيَا

تُوَسِّدُنِي كَفًّا وَتَحْنُو بِمِعْصَمٍ[٦]
عَلَيَّ وَتَرْمِي رِجْلَهَا مِنْ وَرَائِيَا

فَأَنْتَ تَسْمَعُ هَذَا الْأَسْوَدَ الشَّنَّ[٧] وَادِّعَاءَهُ ،

---

(١) الغرثان : الجائع . والجمع غرائى . وغرثى . وغراث
(٢) ولا يصاليه : يصطلى منه (٣) الصرد : الضعيف الذى لا يصبر على البرد (٤) أقصى : أبعد (٥) نواهد : جمع ناهد . والناهد : المرأة التى نتأ ثديها وتكعب (٦) المعصم : موضع السوار من الساعد . والجمع معاصم (٧) الشن . والشنة : القربة الخلق الصغيرة والجمع شنان . والمراد أن جلده تغضن عند الهرم حتى أصبح يشبه الثوب البالى

وَتَعْلَمُ أَنَّ اللهَ لَوْ أَخْلَى الْأَرْضَ ، فَلَمْ يُبْقِ رَجُلًا فِي الطُّولِ وَلَا فِي الْعَرْضِ .

لَمْ يَكُنْ هَذَا الزَّنَمَةُ[1] الزَّلَمَةُ عِنْدَ إِدْرَاكِ السُّودَانِ إِلَّا كَبَعْرَةِ[2] بَعِيرٍ[3] . فِي مَعَرِ[4] عِيرٍ[5] .

وَالْمَمْنُوعُ مِنَ الشَّيْءِ حَرِيصٌ عَلَيْهِ . مُدَّعٍ فِيهِ . وَالْمُعَدَّ بِمَا يَهْوَاهُ . كَاتِمٌ لَهُ مُسْتَغْنٍ بِبُلُوغِ مُنَاهُ .

وَدَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْمُرَقَّشَ[6] الْأَكْبَرَ ، كَانَ مِنْ أَجْمَلِ الرِّجَالِ ، وَكَانَتْ لِلنِّسَاءِ فِيهِ رَغْبَةٌ وَشِدَّةُ مَحَبَّةٍ . وَكَانَ كَثِيرَ الِاجْتِمَاعِ بِهِنَّ . وَالْوُصُولِ

(١) الزلمة والذنمة : العبد (٢) البعرة : واحدة البعر وتجمع على أبعار . والبعْر والبعَر . رجيع ذوات الخف والظلف (٣) البعير . الجمل . وقد يراد به الناقة ويجمع على بعران وأبعرة وجمع الجمع أباعر

(٤) المعر . الارض رعتها الابل (٥) العير . الابل

(٦) المرقش الاكبر : هو عمرو . وقيل عوف بن سعد بن مالك ولقب بذلك لقوله « رقش فى ظهر الاديم قلم »

إِلَيْهِنَّ . وَلَهُ فِي ذَلِكَ أَخْبَارٌ مَرْوِيَّةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي أَشْعَارِهِ صِفَةُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . فَحَسْبُكَ بِذَلِكَ صِحَّةً عَلَى مَا قُلْنَاهُ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّمَا وَصَفْتَ عَنِ امْرِئِ الْقَيْسِ عُيُوباً مِنْ خُلُقِهِ لَا فِي شِعْرِهِ . قُلْنَا : هَلْ أَرَادَ بِمَا وَصَفَ فِي شِعْرِهِ إِلَّا الْفَخْرَ(١). فَإِنْ قَالَ : لَمْ يُرِدْ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ إِظْهَارَ عَيْبِهِ ، قُلْنَا : فَأَحْمَقُ(٢) النَّاسِ إِذًا هُوَ . وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ . وَإِنْ قَالَ : نِعْمَ الْفَخْرُ قُلْنَا : فَقَدْ نَطَقَ شِعْرُهُ بِقَدْرِ مَا أَرَادَ ، وَتَرْجَمَ(٣) وَتَرْجَمَ(٤) عَنْهُ قَرِيضُهُ(٥)

---

(١) الفخر : مصدر فخر . يقال فخر الرجل : تمدح بالخصال ، وباهى بالمكارم ، إما فيه أو فى آبائه . والفخر : العظم والكبر والشرف والتمدح

(٢) الاحمق : القليل العقل (٣) زجم زجماً : نبس . يقال : سكت فما زجم بحرف : أى ما نطق بحرف (٤) ترجم : فسر

(٥) القريض : الشعر

بِأَقْبَحِ الْأَوْصَافِ ، فَأَىُّ خَلَلٍ[١] مِنْ خَلَلِ الشِّعْرِ أَشَدُّ مِنَ الِانْعِكَاسِ[٢] وَالتَّنَاقُضِ[٣] . وَكُلُّ مَا يُخْزِى مِنَ الشِّعْرِ ، فَهُوَ مِنْ أَشَدِّ عُيُوبِهِ . قَالَ : وَمِنْ كَلَامِ امْرِىءِ الْقَيْسِ الْمُخَلْخَلِ[٤] الْأَرْكَانِ . الضَّعِيفِ الِاسْتِمْكَانِ . الْمُتَزَلْزِلِ[٥] الْبُنْيَانِ . قَوْلُهُ :

أَمَرْخٌ[٦] خِيَامُهُمْ أَمْ عُشَرْ[٧]

أَمِ الْقَلْبُ فِى إِثْرِهِمْ مُنْحَدِرُ

---

(١) خلل : انفراج ما بين الشيئين (٢) الانعكاس : الانقلاب
(٣) التناقض : التخالف والتدافع (٤) المخلخل : المتقلقل والمتزعزع
(٥) المتزلزل : المضطرب . (٦) المرخ : شجر سريع الورى يقتدح به . والمرخ بالكسر : الشجر اللين الرقيق . (٧) العشر : شجر فيه حراق لم يقتدح الناس فى أجود منه . يخرج من زهره وشعبه سكر وفيه مرارة .

وَشَاقِذٍ[١] بَيْنَ الْخَلِيطِ[٢] الشِّطْرُ

وَمِمَّنْ أَقَامَ مِنَ الْحَيِّ هِرٌّ[٣]

وُهْرٌ[٤] تَصِيدُ قُلُوبَ الرِّجَالِ

وَأَفْلَتَ مِنْهَا ابْنُ عَمْرٍو حَجَرُ

فَأَنْتَ تَسْمَعُ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِى لَا يَتَنَاسَبُ. وَلَا يَتَوَاصَلُ وَلَا يَتَقَارَبُ، وَلَا يَحْصُلُ مِنْهُ مَعْنًى وَلَا فَائِدَةٌ، سِوَى أَنَّ السَّامِعَ يَدْرِى أَنَّهُ يَذْكُرُ فُرْقَةً مِنْ أَحْبَابٍ، لَكِنَّ ذَلِكَ عَنْ تَرْجَمَةٍ مُعْجَمَةٍ. مُضْطَرِبَةٍ مُنْقَلِبَةٍ. سَأَلَ عَنِ الْخِيَامِ، أَمَرَخٌ هِىَ

(١) الشاقذ: البعيد والنائى (٢) الخليط: الزوج والساكن والمخالط والمعاشر ولب مخلوط مجاوز. وخليط من الناس أوباش مخلطون. والجمع خلط. وخلطاء. ومن قوله تعالى (وان كثيراً من الخلطاء)

(٣) الهر: سيء الخلق. (٤) وهر: أى وامرأة. على التشبيه بالهرة فى حبها لأولادها. فهى كذلك تحب الرجال وتصيد قلوبهم

أَمْ عُشْرٌ ، وَلَيْسَتِ الْخِيَامُ مَرْخًا وَلَا عُشْرًا ، وَإِنَّمَا هُمَا عُودَانِ . فَإِنْ أَرَادَ فِي مَكَانِ هَذَيْنِ الْخِيَامُ ، فَقَدْ نَقَضَ عُمْدَةَ الْكَلَامِ ، لِأَنَّ مَرْخَهُ وَعُشَرَهُ أَتَى بِهِمَا نَكِرَتَيْنِ ، فَأَشْكَلَ بِذَلِكَ . وَإِنَّمَا يَجُوزُ لَوْ جَعَلَهُمَا مَعْرِفَةً بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ ، وَالْوَزْنُ لَا يُسَاعِدُهُ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ :

أَمِ الْقَلْبُ فِي إِثْرِهِمْ مُنْحَدِرُ

وَلَيْسَ هَذَا السُّؤَالُ مِنَ السُّؤَالِ الْأَوَّلِ فِي شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بُعْدٍ بَعِيدٍ . وَاحْتِيَالٍ شَدِيدٍ وَقَالَ بَعْدَ هَذَا :

وَشَاقِذِ بَيْنَ الْخَلِيطِ الشِّطْرُ

وَمِمَّنْ أَقَامَ مِنَ الْحَيِّ هِرُّ

فَأَتَى بِكَثِيرِ كَلَامٍ لَا يُفِيدُ إِلَّا قَلِيلَ مَعْنًى .

وَذَلِكَ الْقَلِيلُ لَا غَرِيبٌ وَلَا عَجِيبٌ . وَهُوَ كُلُّهُ ذِكْرُ فِرَاقٍ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَنَّ هِرَّ مُقِيمَةٌ تَصِيدُ قَلْبَهُ وَقَلْبَ غَيْرِهِ ، فَأَبْطَلَ بِإِقَامَتِهَا كُلَّ مَا قَالَ مِنْ أَخْبَارِ الْفِرَاقِ وَنَقَضَهُ ، وَجَعَلَ بُكَاءَهُ الْمُتَقَدِّمَ لِغَيْرِ شَيْءٍ . ثُمَّ قَالَ :

وَأُفْلِتَ مِنْهَا ابْنُ عَمْرٍو حُجْرُ

فَحَسُنَ عِنْدَهُ أَنْ يُخْبِرَ أَنَّ النَّاسَ قَدْ صَادَتْ هِرٌّ قُلُوبَ جَمِيعِهِمْ إِلَّا قَلْبَ حُجْرٍ أَبِيهِ . وَهَذَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الرَّكِيكَةِ ، وَالْأَخْبَارِ الَّتِي مَا بِأَحَدٍ حَاجَةٌ إِلَيْهَا . وَمَعَ هَذَا ، فَقَدْ أَوْرَدَ أَصْحَابُ الْأَخْبَارِ ، أَنَّ هِرَّ هَذِهِ كَانَتْ زَوْجَةَ أَبِيهِ حُجْرٍ ، فَانْظُرْ مَا فِي

جُمْلَةِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مِنَ الرَّكَاكَاتِ[١] . وَقِلَّةِ الْإِفَادَاتِ . فَإِنَّهَا لَا تُفِيدُ قُلَامَةً[٢] وَلَا تَهُزُّ ثُمَامَةً[٣] . ولَسْنَا نُنْكِرُ بِهَذِهِ الْعُيُوبِ وَنَزَارَتِهَا[٤] ، مَا أَقْرَرْنَا لَهُ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ وَنَدَارَتِهَا[٥] . وَسَتَجِدُ مَنْ لَا يُصَدِّقُ مُعَاصِراً . وَلَا يَصْدُقُ[٦] عَلَى مُتَقَادِمٍ مُتَأَخِّراً . يَبْنِي عَلَى ضَعْفِ أُسِّهِ[٧] . وَيَفْدِيهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالْعَيْبِ بِنَفْسِهِ . فَإِذَا اعْتَرَضَكَ مِنْ هَذَا

(١) الركاكات : جمع ركاكة . وركاكة مؤنث الركيك . والركيك من الكلام : السخيف الألفاظ والمعانى (٢) القلامة بالضم والتخفيف : ما سقط من الشيء المقلوم . وهى مثل فى الخسيس الحقير

(٣) ثمامة : واحدة الثمام . والثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حُشى به وسد به خصاص البيوت ، ولأنه لا يطول ، يضرب به المثل لما هو هين المتناول . فيقال : « هو لك على طرف الثمام » كناية عن شدة القرب (٤) نزارتها : مصدر نزُر . والنزْر : القليل التافه (٥) ندارة : مصدر ندرَ . يقال ندر الكلام : فصح وجاد وكان غريباً (٦) لا يصدق الخ : أى لا ينقل عنه صدقاً (٧) الأس والأساس : أصل البناء وقاعدته . وأصل كل شيء . ويجمع على أساس وأسس

النَّمَطِ[١] مُتَعَرِّضٌ، فَأَعْرِضْ عَنْهُ وَدَعْهُ عَلَى أَخْلاقِهِ. مُسْتَمْتِعاً[٢] بِخَلاقِهِ[٣]. وَاتَّبِعِ الْمَسْلَكَ الَّذِي أَوْضَحْتُهُ لَكَ.

قَالَ أَبُو الرَّيَّانِ: وَفُضَلاءُ الشُّعَرَاءِ كَثِيرٌ جِدًّا، وَلِكُلٍّ سَقَطَاتٌ[٤]، وَسَأَقِفُكَ عَلَى بَعْضِهَا، لِعِظَمِ الْمُؤْنَةِ[٥] فِي الْإِحَاطَةِ بِهَا، لَيْسَ إِلَّا لِأُوَضِّحَ بِذِكْرِهَا مَنْهَجًا[٦] مِنْ مَنَاهِجِ النَّقْدِ، لَا حِرْصًا عَلَى بُغْضِ الْفُصَحَاءِ[٧]. وَلَا قَصْدًا إِلَى تَهْجِينِ[٨] الصُّرَحَاءِ[٩].

---

(١) النمط: ثوب صوف، له خمل رقيق ولون واحد يطرح على الهودج. والطريقة من الشيء. : « يقال هذا من نمط ذاك ». والجماعة الذين أمرهم واحد. والجمع أنماط ونماط (٢) المستمتع: المنتفع (٣) الخلاق: النصيب من الخير (٤) سقطات: جمع سقطة. والسقطة: الزلة

(٥) المؤنة: المشقة والتعب (٦) المنهج: الطريق (٧) الفصحاء: جمع فصيح. والفصيح: البليغ (٨) التهجين: الذم والتقبيح (٩) الصرحاء: جمع صريح. والصريح: البين الواضح. والخالص من كل شيء

وَأَيَّةُ رَغْبَةٍ لَنَا فِي ذَلِكَ ، وَهُمْ جُرْثُومَةُ[١] فُرُوعِنَا ، وَبِهِمُ افْتِخَارُ جَمِيعِنَا .

قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى : عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ بِهِ ، وَوَصَفَهُ غَيْرُنَا مِنَ الْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ ، فِي هَذِهِ الصَّنْعَةِ مِنْ مُذَهَّبَتِهِ[٢] الْحِكْمِيَّةِ[٣] . وَمُعَلَّقَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ .

رَأَيْتُ الْمَنَايَا[٤] خَبْطَ عَشْوَاءَ[٥] مَنْ تُصِبْ

تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

وَقَدْ غَلِطَ فِي وَصْفِهَا بِخَبْطِ الْعَشْوَاءِ ، عَلَى أَنَّنَا لَا نُطَالِبُهُ بِحُكْمِ دِينِنَا . لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى شَرْعِنَا .

---

(١) الجرثومة والجرثومة . أصل الشيء (٢) المذهبات : سبع قصائد . تعد فى الطبقة الثانية من الشعر (٣) الحكمية نسبة الى الحكمة . والحكمة : العلم . وصواب الأمر وسداده . والحلم . ومعرفة الأشياء بعللها وأسبابها (٤) المنايا : جمع منية . وهى الموت (٥) خبط عشواء : تخطئ وتصيب

بَلْ نَطْلُبُهُ بِحُكْمِ الْعَقْلِ فَنَقُولُ إِنَّمَا يَصِحُّ قَوْلُهُ : لَوْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَمُوتُ ، وَبَعْضُهُمْ يَنْجُو ، وَقَدْ عَلِمَ هُوَ وَعَلِمَ الْعَالَمُ . حَتَّى الْبَهَائِمُ . أَنَّ سِهَامَ[1] الْمَنَايَا ، لَا تُخْطِئُ شَيْئاً مِنَ الْحَيَوَانِ ، حَتَّى يَعُمَّهَا رَشْقُهَا[2] ، فَكَيْفَ يُوصَفُ بِخَبْطِ الْعَشْوَاءِ ، رَامٍ لَا يَقْصِدُ غَرَضاً مِنَ الْحَيَوَانِ إِلَّا أَقْصَدَهُ[3] ، حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رَمِيَّاتِهِ . فِي جَمِيعِ رَمَيَاتِهِ[4] . وَإِنَّمَا أَدْخَلَ الْوَهْمَ عَلَى زُهَيْرٍ ، مَوْتُ قَوْمٍ عَبْطَةً[5] ، وَمَوْتُ قَوْمٍ هِرَماً ، وَظَنُّوا طُولَ الْعُمُرِ ، إِنَّمَا سَبَبُهُ إِخْطَاءُ

(١) سهام : جمع سهم . والسهم : النبلة يرمي بها . والمراد من سهام المنايا مقاصدها ومراميها (٢) رشقها : رميها . فالرشق : الرمى (٣) أقصده : أصابه (٤) رميات : جمع رمية : وهى الغرض المرمى (٥) العبطة : الاعتباط : وهو الموت لغير علة . يقال مات فلان عَبطة : أى صحيحاً شابا قال أمية أبى الصلت :

من لم يمت عَبطة يمت هرما ... للموت كأس فالمرء ذائقها

الْمَنِيَّةِ ، وَسَبَبُ قِصَرِهِ إِصَابَتُهَا ، وَهَيْهَاتَ الصَّوَابُ مِنْ ظَنِّهِ ، لَمْ يُؤَخِّرِ الْهَرِمُ ، إِلَّا أَنَّهَا قَصَدَتْهُ ، فَحِينَ قَصَدَتْهُ أَصَابَتْهُ . وَلَوْ أَنَّ الرُّمَاةَ تَهْتَدِي كَاهْتِدَائِهَا . لَمَلَأَتْ أَيْدِيَهَا بِأَقْصَى رَجَائِهَا .

وَقَالَ زُهَيْرٌ أَيْضًا فِي مُذَهَّبَتِهِ :

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ(١) عَنْ حَوْضِهِ(٢) بِسِلَاحِهِ

يُهَدَّمْ(٣) وَمَنْ لَا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

وَقَدْ تَجَاوَزَ هَذَا الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ ، وَبَنَى قَوْلًا يَنْقُضُهُ جَرَيَانُ الْعَادَةِ ، وَشَهَادَةُ الْمُشَاهَدَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الظُّلْمَ وَعْرَةٌ(٤) مَرَاكِبُهُ ، مَذْمُومَةٌ عَوَاقِبُهُ ، فِي

(١) يذد : يدفع . من الذود وهو الدفع (٢) حوضه : أى عرضه ونسبه . تشبيهاً بمن يذود عن حوضه (٣) يهدَّم : يستباح
(٤) وعرة : مؤنث الوعر . والوعر : الصعب

جَاهِلِيَّتِهِ وَإِسْلَامِنَا . فَحَرَّضَ فِي شِعْرِهِ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ ، إِنَّمَا أَشَارَ فِي شِعْرِهِ ، إِلَى أَنَّ الظَّالِمَ يُرْهَبُ ، فَلَا يَظْلِمُ ، فَهَذَا قِيَاسٌ يَنْفَسِدُ ، وَأَصْلٌ لَيْسَ يَطَّرِدُ ، لَكِنْ يُرْهِبُهُ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُ ، وَرُبَّمَا انْتَقَمَ مِنْهُ بِالْحِيلَةِ وَالْمَكِيدَةِ . وَقَدْ يَظْلِمُ الظَّالِمُ مَنْ يَغْلِبُهُ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ هَلَاكِهِ مَعَ قَبَاحَةِ السِّمَةِ[1] بِالظُّلْمِ ، وَالْمَثَلُ إِنَّمَا يُضْرَبُ بِمَا لَا يَنْخَرِمُ[2] . وَقَدْ كَانَتْ لَهُ مَنْدُوحَةٌ وَاتِّسَاعٌ ، فِي أَنْ يَقُولَ يُهَدَّمْ ، وَمَنْ لَا يَظْلِمِ النَّاسُ يَظْلِمِ ، فَهَذَا أَصَحُّ وَأَسْلَمُ لِمَنْ لَا يُظْلَمُ وَيَظْلِمُ .

قَالَ أَبُو الرَّيَّانِ : وَقَالَ زُهَيْرٌ أَيْضًا ، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ شِعْرِهِ ، وَأَمْلَحِهِ عِنْدَ الْعَامَّةِ ، وَكَثِيرٍ مِنَ

(١) السمة مصدر : بمعنى العلامة (٢) لا ينخرم : لا ينقص

الْخَاصَّةِ ، فَهٰهُنَا تَحَفَّظْ وَتَأَمَّلْ ، وَلَا يَهُلْكَ ذٰلِكَ مِنْهُمْ .

الْحَقُّ أَبْلَجُ[1] . قَالَ :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا[2]

كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِى أَنْتَ سَائِلُهْ

مَدَحَ بِهَا شَرِيفًا أَىَّ شَرِيفٍ ، فَجَعَلَ سُرُورَهُ بِقَاصِدِهِ ، كَسُرُورِهِ بِمَنْ يَدْفَعُ شَيْئًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ مِنْ صِفَاتِ النُّفُوسِ الْعَارِفَةِ السَّامِيَةِ ، وَالْهِمَمِ الشَّرِيفَةِ الْعَالِيَةِ ، إِظْهَارُ السُّرُورِ إِلَى أَنْ تَتَهَلَّلَ وُجُوهُهُمْ ، وَتُسَرَّ نُفُوسُهُمْ بِهِبَةِ الْوَاهِبِ ، وَلَا شِدَّةُ الِابْتِهَاجِ بِعَطِيَّةِ الْمُعْطِى ، بَلْ ذٰلِكَ عِنْدَهُمْ سُقُوطُ هِمَّةٍ وَصِغَرُ نَفْسٍ ، وَكَثِيرٌ

(١) أبلج : واضح ظاهر (٢) متهللاً . متلألئ الوجه من الفرح والسرور

مِنْ ذَوِى النُّفُوسِ النَّفِيسَةِ[١] ، وَالْأَخْلَاقِ الرَّئِيسَةِ[٢] لَا يُظْهِرُ السُّرُورَ مَتَى رُزِقَ مَالاً عَفْواً[٣] بِلاَ مِنَّةٍ[٤] مُنِيلٍ[٥] ، وَلاَ يَدِ مُعْطٍ مُسْتَطِيلٍ[٦] ، لِأَنَّهُ عِنْدَ نَفْسِهِ أَكْبَرُ مِنْهُ ، وَلِأَنَّ قَدْرَ الْمَالِ يَقْصُرُ عَنْهُ ، فَكَيْفَ يُمْدَحُ مَلِكٌ كَبِيرٌ كَثِيرُ الْقَدْرِ ، عَظِيمُ الْفَخْرِ ، بِأَنَّهُ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ وَيَمْتَلِئُ سُرُوراً قَلْبُهُ ، إِذَا أَعْطَاهُ سَائِلُهُ مَالاً ، هَذَا نَقْضُ الْبِنَاءِ ، وَمَحْضُ[٧] الْهِجَاءِ ، وَالْفُضَلَاءُ يَفْخَرُونَ بِضِدِّ هَذَا . قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِى
وَلَا جَزِعٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلِّبِ

(١) النفيسة : عالية القدر (٢) الرئيسة : السامية (٣) العفو : الصفح. والتسامح . والمراد هنا . بلا تعب (٤) المنة : الاحسان والانعام (٥) منيل : معط . والمراد بلا أعطاء معط (٦) مستطيل : متفضل متطاول (٧) محض الهجاء : خالصه

وَإِنَّما غَرَّ زُهَيْراً ، وَغَرَّ الْمُسْتَحْسِنَ بَيْتَهُ هَذَا ، مَا جُبِلُوا[١] عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ الْعَطَاءِ وَمَا جَرَتْ بِهِ عَادَاتُهُمْ ، مِنَ الرَّغْبَةِ فِي الْهِبَاتِ وَالِاسْتِجْدَاءِ[٢] ، وَلَيْسَ كُلُّ الهِمَمِ تَسْتَحْسِنُ ذَلِكَ ، وَلَا كُلُّ الطِّبَاعِ تَسْلُكُ هَذِهِ الْمَسَالِكَ . قَالَ أَبُو الرَّيَّانِ : وَقَالَ زُهَيْرٌ أَيْضًا : يَمْدَحُ سَادَةً[٣] مِنَ النَّاسِ ، فَذَمَّهُمْ بِأَنْوَاعِ الذَّمِّ ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى اسْتِحْسَانِ مَا قَالَ ، بَلْ أَظُنُّ كُلَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ قَوْلُهُ :

عَلَى مُكْثِرِيهِمْ[٤] حَقُّ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ[٥]

وَعِنْدَ الْمُقِلِّينَ[٦] السَّمَاحَةُ[٧] وَالْبَذْلُ[٨]

---

(١) ما جُبلوا . طُبعوا (٢) الاستجداء : طلب الأعطاء (٣) السادة : العظماء (٤) مكثريهم جمع مكثر : والمكثر : ذو المال الكثير (٥) يعتريهم : يقصد ناحيتهم (٦) المقلين : جمع مقل . والمقل اسم فاعل : الفقير وفيه بقية (٧) السماحة : الجود (٨) البذل : العطاء والكرم

فَأَوَّلُ مَا ذَمَّهُمْ بِهِ ، إِخْبَارُهُ أَنَّ فِيهِمْ مُكْثِرِينَ وَمُقِلِّينَ ، فَلَوْ كَانَ مُكْثِرُوهُمْ كُرَمَاءَ لَبَذَلُوا لِمُقِلِّيهِمُ الْأَمْوَالَ حَتَّى يَسْتَوُوا فِي الْحَالِ ، وَيُشْبِهُوا فِي الْكَرَمِ وَالْحَالِ ، الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ حَسَّانُ :

الْمُلْحِقِينَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ
وَالْمُشْفِقِينَ عَلَى الْيَتِيمِ الْمُرْمِلِ

الْمُرْمِلُ : الْقَلِيلُ الْمَالِ ، وَأَرْمَلَ الرَّجُلُ : إِذَا قَلَّ زَادُهُ . وَكَمَا قَالَ غَيْرُهُ :

الْخَالِطِينَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ
حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي(٢)

وَكَمَا قَالَتِ الْخِرْنِقُ :

---

(١) الكافى : المستغنى عمن سواه

الْخَالِطِينَ لَجِينَهُمْ[١] بِنُضَارِهِمْ[٢]

وَذَوِي الْغِنَى مِنْهُمْ بِذِي الْفَقْرِ

فَهَذَا كُلُّهُ — وَأَبِيكَ — غَايَةُ الْمَدْحِ ، النَّقِيِّ مِنَ الْقَدْحِ ، ثُمَّ اسْتَمِعْ مَا فِي هَذَا الْبَيْتِ سِوَى هَذَا مِنَ الْخَلَلِ[٣] وَالزَّلَلِ[٤] . قَالَ :

عَلَى مُكْثِرِيهِمْ حَقُّ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ

وَعِنْدَ الْمُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ

فَفِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ ، عُيُوبٌ عَلَى الْمُكْثِرِينَ ، مِنْهَا أَنَّهُمْ ضَيَّعُوا الْقَرِيبَ كَمَا قَدَّمْنَا ، وَرَعَوْا حَقَّ الْغَرِيبِ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ أَوْلَى مَا بُدِئَ بِهِ ، وَمِنْ مَكَارِمِ الْعَرَبِ ،

(١) اللجين : الفضة (٢) النضار : الذهب الخالص

(٣) الخلل : الفساد والوهن فى الأمر (٤) الزلل : النقصان

حَمِيَّتُهَا[١] لِذَوِي أَنْسَابِهَا ، وَذَبُّهَا[٢] عَنْ أَحْسَابِهَا ، وَالْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ ، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذَلِكَ فَلِلْأَبْعَدِ ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ الْمُكْثِرِينَ لَيْسُوا يَسْمَحُونَ بِأَكْثَرَ مِنَ الِاسْتِحْقَاقِ فِي قَوْلِهِ :

عَلَى مُكْثِرِيهِمْ حَقُّ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ

وَمَنْ أَعْطَى الْحَقَّ فَإِنَّمَا أَنْصَفَ[٣] ، وَلَمْ يَتَفَضَّلْ بِمَا وَرَاءَ الْإِنْصَافِ[٤] ، وَالزِّيَادَةُ عَلَى الْإِنْصَافِ أَمْدَحُ . ثُمَّ أَخْبَرَ فِي الْبَيْتِ ، أَنَّ الْمُقِلِّينَ عَلَى قَدْرِ قُصُورِ أَيْدِيهِمْ ، أَكْرَمُ طِبَاعاً مِنْ مُكْثِرِيهِمْ عَلَى قَدْرِهِمْ فِي قَوْلِهِ :

وَعِنْدَ الْمُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ

---

(١) الحمية : الأنفة . والنخوة . والمروءة . (٢) الذب : الدفع والمنع
(٣) أنصفَ : عدلَ (٤) الأنصاف : العدل والمساواة

وَالْبَـذْلُ مَعَ الْإِقْلَالِ ، مَدْحٌ عَظِيمٌ وَإِيثَارٌ ، وَالسَّمَاحَةُ إِعْطَاءُ غَيْرِ اللَّازِمِ ، فَمَدَحَ بِشِعْرِهِ هَذَا مَنْ لَا يَحْظَى مِنْهُ بِطَائِلٍ[١] . وَذَمَّ الَّذِينَ يَرْجُو مِنْهُمْ جَزِيلَ النَّائِلِ[٢] ، وَهَذَا غَايَةُ الْغَلَطِ فِي الِاخْتِيَارِ ، وَفِي تَرْتِيبِ الْأَشْعَارِ ، وَلِزُهَيْرٍ غَيْرُ هَـذَا مِنَ السَّقَطَاتِ ، لَوْلَا كُلْفَةُ الِاسْتِقْصَاءِ[٣] ، هَذَا عَلَى اشْتِهَارِهِ بِأَنَّهُ أَمْدَحُ الشُّعَرَاءِ ، وَأَجْزَلُ الْوَافِدِينَ عَلَى الْأَشْرَافِ وَالْأُمَرَاءِ ، وَسَيَتَعَامَى الْمُتَعَصِّبُ لَهُ عَنْ وُضُوحِ هَذَا الْبَيَانِ ، وَسَيُنْكِرُ جَمِيعَ هَذَا الْبُرْهَانِ ، وَيَجْعَلُ التَّفْتِيشَ عَنْ غَوَامِضِ الْخَطَإِ

---

(١) الطائل اسم فاعل من الطول . وهو القدرة والسعة . والمراد أنه لم يظفر منه بطائل أى بفائدة أو بنفع (٢) النائل اسم فاعل : وهو العطاء والجود (٣) الاستقصاء : التتبع . والاستقراء

وَالصَّوَابِ ، اسْتِقْصَاءً وَظُلْماً ، وَمُطَالَبَةً وَهَضْماً ، وَزَعَمَ أَنَّ جَمِيعَ الشِّعْرِ ، لَوْ طُلِبَ هَذِهِ الْمُطَالَبَةَ ، لَبَطَلَ صَحِيحُهُ ، وَانْعَجَمَ فَصِيحُهُ ، وَالْبَاطِلُ الَّذِى زَعَمَ ، وَالْمُحَالُ الَّذِى بِهِ تَكَلَّمَ ، فَالسَّلِيمُ سَلِيمٌ ، وَالْكَلِيمُ[1] كَلِيمٌ ، وَإِنَّمَا سَمِعَ الْمِسْكِينُ أَنَّ أَمْلَحَ الشِّعْرِ مَا قَلَّتْ عِبَارَاتُهُ . وَفُهِمَتْ إِشَارَاتُهُ ، وَلُمِحَتْ[2] لُمَحُهُ[3] ، وَمَلُحَتْ[4] مُلَحُهُ[5] ، وَرُقَّتْ[6] حَقَائِقُهُ[7] ، وَحُقِّقَتْ[8] رَقَائِقُهُ[9] ، وَاسْتُغْنِيَ بِلُمَحِهِ الدَّالَّةِ ، عَنِ الدَّلَائِلِ الْمُتَطَاوِلَةِ ، وَأَمْثَالَ هَذَا الْكَلَامِ ،

(١) الكليم : صفة مشبهة بمعنى المكلوم . والكلمُ : الطعن والجرح

(٢) لمحت : أبصرت بعجلة (٣) لمحُه : أشاراته (٤) ملحت : بهجت وحسن منظرها (٥) مُلحه : محاسنه . جمع مُلحة . وهى ما حسن من الحديث واستملح (استطرف) (٦) رُققت : حُسنت

(٧) حقائقه : جمع حقيقة . والمراد ضد المجاز (٨) حققت : تحققت وتيقنت (٩) رقائقه : جمع رقيقة : وهى السهلة اللطيفة

فِي اسْتِعْمَالِ النِّظَامِ ، فَتَوَهَّمَ أَنَّ خَلَلَ الشِّعْرِ وَزَلَلَهُ ، وَضَعْفَ أَرْكَانِهِ ، وَتَنَاقُضَ بُنْيَانِهِ ، وَانْقِلَابَ لَفْظِهِ لَغْوٌ ، وَانْعِكَاسَ مَدْحِهِ هَجْوٌ ، دَاخِلٌ فِيمَا قَدَّمْنَا مِنَ الْأَوْصَافِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ، مِنْ لُمَحِ إِشَارَاتِهِ ، وَمُلَحِ عِبَارَاتِهِ . فَعَامِلْ هَذَا الصِّنْفَ بِعَطْفِكَ عَنْهُمْ لِلْعَطْفِ ، وَرَفْعِكَ عَلَيْهِمُ الْأَنْفَ . وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ بِالْفِكْرِ وَالذِّكْرِ كِبْرًا ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْكِبْرِ . وَفِيمَا أَطْلَعْتُكَ عَلَيْهِ مِنْ شِعْرِ هَذَيْنِ الْفَحْلَيْنِ[1] ، وَالْمُتَقَدِّمَيْنِ[2] الْقَدِيمَيْنِ[3] ، مَا يُغْنِي عَنِ التَّفْتِيشِ عَلَى سَقَطَاتِ سِوَاهُمَا ، فَقِسْ عَلَى مَا لَمْ تَرَهُ بِمَا تَرَى ،

(١) فحول الشعراء : الغالبون المفضلون منهم (٢) المتقدمين : السابقين (٣) القديمين : السيدين

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ الصَّيْدِ[١] فِي جَنْبِ[٢] الْفَرَا[٣] .

قَالَ أَبُو الرَّيَّانِ : وَمِنْ عُيُوبِ الشِّعْرِ اللَّحْنُ الَّذِي لَا تَسَعُهُ فُسْحَةُ[٤] الْعَرَبِيَّةِ ، كَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

وَعَضَّ[٥] زَمَانٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ

مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتاً[٦] أَوْ مُجَلَّفُ[٧]

فَرَفَعَ مُجَلَّفاً وَحَقُّهُ النَّصْبُ ، وَقَدْ تَحَيَّلَ لَهُ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ ، بِكَلَامٍ كَالضَّرِيعِ[٨] ، لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ، وَكَقَوْلِ جَرِيرٍ الْخَطَفَى :

---

(١) الصيد : المراد به المصيد (٢) صحته فى جوف الفرا كما فى مجمع الأمثال لأبى الفضل أحمد بن محمد النيسابورى المعروف بالميدانى وهو حديث (٣) قال ابن السكيت : الفرا : الحمار الوحشى . وجمعه فراء . وهو مثل يضرب لمن يفوق أقرانه (٤) الفسحة : السعة (٥) وعض زمان : أى اشتداد الفقر (٦) مسحتاً : خبيثاً قليلا لا بركة فيه (٧) المجلف : المال الذى تبقى منه بقية (٨) الضريع : نبات سيىء المرعى

وَلَوْ وَلَدَتْ فَقِيرَةُ جَرْوَ[1] كَلْبٍ

لَسُبَّ بِذَلِكَ الْجَـــرْوِ الْكِلاَبَا

فَنَصَبَ الْكِلاَبَا بِغَيْرِ نَاصِبٍ ، وَقَدْ تَحَيَّلَ أَيْضًا بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ عَلَى وَجْهٍ . الإِقْفَاءُ أَحْسَنُ مِنْهُ ، فَاحْذَرْ هَذَا وَمِثْلَهُ ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ بِفَسِيحٍ مِنَ الْعُذْرِ ، فَكَيْفَ بِضَيِّقٍ ضَنْكٍ . قَالَ :

وَمِمَّا يُعَابُ بِهِ الشِّعْرُ ، وَيَسْتَهْجِنُهُ النَّقْدُ ، خُشُونَةُ حُرُوفِ الْكَلِمَةِ ، كَقَوْلِ جَرِيرٍ :

وَتَقُولُ بَوْزَعُ قَدْ دَبَيْتَ[2] عَلَى الْعَصَا

هَلَّا هَزِئْتِ بِغَـــيْرِنَا يَا بَوْزَعُ

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ مِنْ أَحْلَى قَصَائِدِ جَرِيرٍ

---

(١) الجروُ : ولد الكلب (٢) دبيتَ : مشيتَ

وَأَمْلَحِهَا ، وَأَجْزَلِهَا وَأَفْصَحِهَا . فَثَقُلَتِ الْقَصِيدَةُ كُلُّهَا بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ . وَلِلفَرَزْدَقِ أَيْضًا لَفَظَاتٌ خَشِنَةُ الْحُرُوفِ كَهَذِهِ تَجِدُهَا فِي شِعْرِهِ . قَالَ : وَيَكْرَهُ النُّقَّادُ تَعْقِيدَ الْكَلَامِ فِي الشِّعْرِ ، وَتَقْدِيمَ آخِرِهِ وَتَأْخِيرَ أَوَّلِهِ ، كَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكاً

أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُنَاسِبُهُ(١)

يَمْدَحُ بِهِ إِبْرَهِيمَ ابْنَ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيَّ ، وَهُوَ خَالُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَمَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ ، أَنَّ إِبْرَهِيمَ بْنَ هِشَامٍ ، مَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَيٌّ إِلَّا مُمَلَّكٌ ، يَعْنِي هِشَاماً ، أَبُو أُمِّهِ أَيْ جَدُّ هِشَامٍ لِأُمِّهِ أَبُو ابْرَهِيمَ ،

(١) فى مجمع الأمثال للامام النيسابورى وغيره « يقاربه »

هَذَا الْمَمْدُوحِ ، فَهُوَ خَالُهُ أَخُو أُمِّهِ ، فَهُوَ يُشْبِهُهُ فِي النَّاسِ لَا غَيْرُ ، وَهَذَا غَايَةُ التَّعْقِيدِ(١) وَالتَّنْكِيدِ(٢) ، وَلَيْسَ تَحْتَهُ شَيْءٌ سِوَى أَنَّهُ شَرِيفٌ ، كَابْنِ أُخْتِهِ الشَّرِيفِ .

قَالَ أَبُو الرَّيَّانِ : وَمِنْ شَرِّ عُيُوبِ الشِّعْرِ كُلِّهَا الْكَسْرُ(٣) ، لِأَنَّهُ يُخْرِجُهُ عَنْ نَعْتِهِ شِعْرًا ، وَلَيْسَ مِمَّا يَقَعُ لِمَنْ نُعِتَ بِشَاعِرٍ . فَإِمَّا الْإِقْوَاءُ(٤) . وَالْإِيطَاءُ(٥) . وَالسِّنَادُ(٦) . وَالْإِكْفَاءُ(٧) . وَالزِّحَافُ(٨) . وَصَرْفُ(٩)

(١) التعقيد : جعل الكلام غير ظاهر الدلالة (٢) التنكيد : الهم
(٣) الكسر فى الشعر : مخالفة البيت أو جزء منه لأجزاء البحر
(٤) الإقواء فى الشعر اختلاف حركات الروىّ (٥) الايطاء فى الشعر : تكرير القافية لفظاً ومعنى (٦) السناد فى العروض كل عيب فى القافية قبل الروى (٧) الاكفاء فى الشعر : اختلاف الروى بحروف متقاربة المخارج (٨) الزحاف فى العروض : تغيير يلحق ثانى الأسباب
(٩) الصرفُ : التنوين

مَا لَا يَنْصَرِفُ، فَكُلُّ ذَلِكَ يُسْتَعْمَلُ، إِلَّا أَنَّ السَّالِمَ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ أَجْمَلُ وَأَفْضَلُ. قَالَ: وَمِنْ عُيُوبِهِ الْمَذْمُومَةِ، مُجَاوَرَةُ الْكَلِمَةِ مَا لَا يُنَاسِبُهَا، وَلَا يُقَارِبُهَا. مِثْلُ قَوْلِ الْكُمَيْتِ:

حَتَّى تَكَامَلَ فِيهَا الدَّلُّ(١) وَالشَّنَبُ(٢)

وَكَمَا قَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي رِثَاءٍ:

فَإِنَّكَ غُيِّبْتَ فِي حُفْرَةٍ(٣)

تَرَاكَمَ(٤) فِيهَا نَعِيمٌ وَحُورْ

وَإِنْ كَانَ النَّعِيمُ وَالْحُورُ مِنْ مَوَاهِبِ أَهْلِ الْجَنَّةِ،

---

(١) الدلُّ: التيه والعجب (٢) الشنب: صفاء الأسنان وبريقها أو جدَّتها حين تطلع (٣) الحفرة: القبر. (٤) تراكم الشيء: اجتمع بعضه فوق بعض

فليْسَ بَيْنَهُمَا فِي النُّفُوسِ تَقَارُبٌ . وَلَا لَفْظَةُ تَرَاكَمَ مِمَّا يُجْمَعُ بَيْنَ الْحُورِ وَلَا النَّعِيمِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَاللهِ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ تَغَيَّرَا
وَصَبَا[١] وَإِنْ كَانَ التَّصَابِي[٢] أَجْدَرَا[٣]
لَأَعَادَ تُفَّاحَ[٤] الْخُدُودِ بَنَفْسِجًا[٥]
لَثْمِي[٦] وَكَافُورَ[٧] التَّرَائِبِ[٨] عَنْبَرَا

فَالتُّفَّاحُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْبَنَفْسِجِ ، لِأَنَّ التُّفَّاحَ ثَمَرَةٌ وَالْبَنَفْسِجَ زَهْرَةٌ . وَقَدْ أَجَادَ فِي جَمْعِهِ بَيْنَ

---

(١) صبا : حن ومال (٢) التصابى : الميل — وجهلة الفتوة
(٣) الأجدر : الخليق والأحق (٤) المراد لون الخدود
(٥) البنفسج زهرة ذوُ رائحة طيبة : والمراد أنه بعد التقبيل أصبح مشوباً بزرقة بعد أن كان أحمر (٦) اللثم : التقبيل (٧) الكافور: شجر معروف طيب الرائحة (٨) الترائب : جمع تريبة . وهى العظمة من عظام الصدر .

الْكَافُورِ وَالْعَنْبَرِ لِأَنَّهُمَا مِنْ قَبِيلٍ وَاحِدٍ . وَلَوْ قَالَ :

لَأَعَادَ وَرْدَ الْوَجْنَتَيْنِ بَنَفْسِجًا
لَثْمِي وَكَافُورَ التَّرَائِبِ عَنْبَرَا

لَأَجَادَ الْوَصْفَ . وَأَحْسَنَ الرَّصْفَ[1] . لِكَوْنِ الْوَرْدِ مِنْ قَبِيلِ الْبَنَفْسِجِ ، فَهَذَا النَّوْعَ فَافْتَقِدْ . وَهَذَا الشَّرْعَ[2] فَاعْتَمِدْ .

قَالَ أَبُو الرَّيَّانِ : وَلِفُضَلَاءِ الْمُوَلَّدِينَ ، سَقَطَاتٌ مُخْتَلِفَاتٌ فِي أَشْعَارِهِمْ ، أُذَاكِرُكَ مِنْهَا فِي أَشْيَاءَ ، لِتَسْتَدِلَّ بِهَا عَلَى أَغْرَاضِكَ ، لَا لِطَلَبِ الزَّلَّاتِ . وَلَا لِاقْتِفَاءِ[3] الْعَثَرَاتِ[4] . كَانَ بَشَّارٌ تَتَبَايَنُ طَبَقَاتُ

(١) الرصف : أحكام الكلام واتقانه (٢) الشرع : الطريق
(٣) الاقتفاء : التتبع (٤) العثرات : جمع عثرة . وهى الزلة والخطيئة

شِعْرِهِ ، فَيَصْعَدُ كَثِيرُهَا . وَيَهْبِطُ[١] قَلِيلُهَا .
وَكَذَلِكَ كَانَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِيُّ ، فَإِذَا سَمِعْتَ
جَيِّدَهُمَا كَذَّبْتَ أَنَّ رَدِيَّهُمَا لَهُمَا ، وَإِذَا صَحَّ عِنْدَكَ
أَنَّ ذَلِكَ الرَّدِيَّ لَهُمَا ، أَقْسَمْتَ أَنَّ جَيِّدَهُمَا لِغَيْرِهِمَا .
قَالَ : وَمِمَّا يُعَابُ مِنَ الشِّعْرِ الِافْتِتَاحَاتُ الثَّقِيلَةُ ،
مِثْلُ قَوْلِ حَبِيبٍ أَوَّلَ قَصِيدَةٍ :

لَهُنَّ عَوَادِي[٢] يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهْ
فَعَزْمًا[٣] فَقِدْمًا[٤] أَدْرَكَ الشَّأْوَ[٥] طَالِبُهْ[٦]

وَمِثْلُ قَوْلِ دِيكِ الْجِنِّ أَوَّلَ قَصِيدَةٍ :

---

(١) يهبط : ينحط (٢) عوادى : جمع عادية : والعادى والعادية العدو . أى عدوات يوسف (٣) العزم : الثبات والصبر (٤) القدْم اسم من القدم : جعل ظرف زمان . يقال كان ذلك قِدْماً : أى فى قديم الزمان (٥) الشأو : الغاية والأمد (٦) طالبه : قاصده

كَأَنَّهَا يَا كَأَنَّهُ خَلَلُ الْخُـ

ـلَّةِ[١] وَقْفُ الْهَلُوكِ[٢] إِذْ بَغَمَا[٣]

فَابْتَدَأَ هُوَ وَحَبِيبٌ بِمُضْمَرَاتٍ عَلَى غَيْرِ مُظْهَرَاتٍ قَبْلَهَا وَهُوَ رَدِيءٌ قَالَ : وَيُعَابُ أَيْضًا ، الِافْتِتَاحَاتُ الْمُتَطَيَّرُ[٤] بِهَا ، وَالْكَلَامُ الْمُضَادُّ لِلْغَرَضِ ، كَابْتِدَاءِ قَصِيدَةِ أَبِي نُوَاسٍ الَّتِي أَنْشَدَهَا الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى ابْنِ خَالِدٍ الْبَرْمَكِيَّ ، يُهَنِّيهِ بِبُنْيَانِهِ الدَّارَ الْجَدِيدَةَ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ عِنْدَ كَمَالِهَا ، وَقَدْ جَلَسَ لِلْهَنَاءِ وَالدُّعَاءِ ، وَعِنْدَهُ وُجُوهُ النَّاسِ فَأَنْشَدَهُ .

أَرَبْعَ الْبِلَى إِنَّ الْخُشُوعَ لَبَادِي

عَلَيْكَ وَإِنِّي لَمْ أَخُنْكَ وِدَادِي

(١) الخلة : الصداقة (٢) الهلوك : الحسنة التبعل لزوجها

(٣) البغام : صوت الظبية (٤) المتطير بها : المتشاءم منها

فَتَطَيَّرَ الْفَضْلُ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَكَّسَ[١] رَأْسَهُ ، وَتَنَاظَرَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ تَمَادَى[٢] فَخَتَمَ الشِّعْرَ بِقَوْلِهِ :

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا فُقِدْتُمُ
بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ رَائِحِينَ[٣] وَغَادِي[٤]

فَكَمُلَ جَهْلُهُ ، وَتَمَّ خَطَؤُهُ ، وَزَادَ الْقُلُوبَ الْمُتَوَقِّعَةَ لِلْخُطُوبِ سُرْعَةَ تَوَقُّعٍ . وَأَضَافَ لِلنُّفُوسِ الْمُتَوَجِّعَةِ بِذِكْرِ الْمَوْتِ شِدَّةَ تَوَجُّعٍ . وَأَرَادَ أَنْ يَمْدَحَ فَهَجَا . وَدَخَلَ لِيَسُرَّ فَشَجَا[٥] ، قَالَ : وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا مَا وَقَعَ لِلْمُتَنَبِّي فِي أَوَّلِ شِعْرٍ أَنْشَدَهُ كَافُورَا

(١) نكس : طأطأ (٢) تمادى : استرسل واستطال
(٣) الرائح : العائد آخر النهار (٤) الغادى : الذاهب أول النهار
(٥) فشجا : أحزن

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا
وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

فَهَذَا خِطَابٌ بِالْكَافِ بِفَتْحٍ وَلَا سِيَّمَا فِي أَوَّلِ لُقْيَةٍ . وَفِي ابْتِدَاءٍ وَاسْتِعْطَافٍ وَرُقْيَةٍ . وَفِي هَذَا الْبَيْتِ غَيْرُ هَذَا مِنَ الْعُيُوبِ سَنَذْكُرُهُ بَعْدُ

وَوَقَعَ مِثْلُ هَذَا مِنْ قُبْحِ الِاسْتِفْتَاحِ فِي عَصْرِنَا ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الشُّعَرَاءِ ، أَنْشَدَ بَعْضَ الْأُمَرَاءِ فِي يَوْمِ الْمِهْرَجَانِ فَقَالَ :

لَا تَقُلْ(١) بُشْرَى وَلَكِنْ بُشْرَيَانْ
وَجْهُ مَنْ أَهْوَى وَوَجْهُ الْمِهْرَجَانْ

(١) قائل البيت أبو مقاتل . أنشده الداعية . فأوجعه الداعى ضرباً ثم قال : هلا قلت : إن تقل بشرى فعندى بشريان

فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ ، وَاسْتَطَارَ[1] بِافْتِتَاحِهِ ، وَحَرَمَهُ إِحْسَانَهُ : قَالَ أَبُو الرَّيَّانِ : وَلَوْ كَانَ هَذَا الشَّاعِرِ حَاذِقًا ، لَكَانَ إِصْلَاحُ هَذَا الْفَسَادِ أَيْسَرَ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَعْكِسَ الْبَيْتَ فَيَقُولُ :

وَجْهُ مَنْ أَهْوَى وَوَجْهُ الْمِهْرَجَانْ
أَيُّ بُشْرَى هِيَ لَا بَلْ بُشْرَيَانْ

قَالَ : وَيَقْبُحُ جِدًّا ، الْإِتْيَانُ بِكَلِمَةِ الْقَافِيَةِ مُعْجَمَةً لَا تَرْتَبِطُ بِمَا قَبْلَهَا مِنَ الْكَلَامِ ، وَإِنَّمَا هِيَ مُفْرَدَةٌ لِحَشْوِ الْقَافِيَةِ . كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ :

فَبَلَغْتَ الْمُنَى بِرَغْمِ أَعَادِيكَ
وَأَبْقَاكَ سَالِمًا رَبُّ هُودِ

---

(١) استطار : تطير وتشاءم

فَأَنْتَ تَرَى غَثَاثَةَ[1] هَذِهِ الْقَافِيَةِ ، وَاللهُ تَعَالَى رَبُّ جَمِيعِ الْخَلْقِ وَكُلِّ شَيْءٍ ، فَخَصَّ هُوداً عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحْدَهُ ، لِضَعْفِ نَقْدِهِ ، وَعَجْزِهِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِقَافِيَةٍ تَلِيقُ وَتَحْسُنُ .

قَالَ : وَيَقْبُحُ أَيْضًا الْجَفَاءُ فِي النَّسِيبِ عَلَى الْحَبِيبِ ، وَالتَّضَجُّرُ بِبُعْدِهِ وَغِلْظَةُ الْعِتَابِ عَلَى صَدِّهِ[2] . كَقَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ :

أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكِ غَيُورُ
وَمَيْسُورُ مَا يُرْجَى لَدَيْكِ عَسِيرُ
فَإِنْ كُنْتِ لَا خِلاًّ وَلَا أَنْتِ زَوْجَةٌ
فَلَا بَرِحَتْ مِنَّا عَلَيْكِ سُتُورُ

(١) الغث من الكلام : الردىء (٢) صده : هجره

وَجَاوَرْتِ قَوْمًا لاَ تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ
وَلَا قُرْبَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نُشُورُ

فَلَمْ أَسْمَعْ بِأَوْحَشَ مِنْ هَذَا النَّسِيبِ . وَلَا أَخْشَنَ مِنْ هَذَا التَّشْبِيبِ . وَذَلِكَ قَوْلُهُ : إِنْ لَمْ تَكُونِي لِي زَوْجَةً وَلَا صَدِيقَةً فَلَا بَرِحَتْ مِنَّا سُتُورٌ لِلتُّرَابِ عَلَيْكِ ، وَلَا كَانَ جَارُكِ مَا عِشْنَا نَحْنُ إِلَّا الْمَوْتَى الَّذِينَ لَا يَتَزَاوَرُونَ ، وَلَا يَتَوَاصَلُونَ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ[1] ، عَلَى أَنَّ كَلَامَهُ يَشْهَدُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ شَاكٍ ، وَإِنَّمَا الْمَعْرُوفُ فِي أَهْلِ الرِّقَّةِ وَالظَّرْفِ وَالْمَعْهُودُ مِنْ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَالْعَطْفِ . أَنْ يَفْدُوا أَحْبَابَهُمْ بِالنُّفُوسِ . مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَبُوسٍ .

(١) النشور : قيام الناس من قبورهم يوم القيامة للحشر

فَأَيْنَ ذَهَبَتْ وِلَادَتُهُ الْبَصْرِيَّةُ . وَآدَابُهُ الْبَغْدَادِيَّةُ . حَتَّى اخْتَارَ الْغَدْرَ عَلَى الْوَفَاءِ . وَبَلَغَتْ بِهِ طِبَاعُهُ إِلَى إِجْفَاءٍ[1] الْجَفَاءِ . فَاعْلَمْ هَذَا وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْمَلَ بِهِ .

قَالَ : وَمِنْ عُيُوبِ الشِّعْرِ السَّرَقُ ، وَهُوَ كَثِيرُ الْأَجْنَاسِ فِي شِعْرِ النَّاسِ . فَمِنْهَا سَرِقَةُ أَلْفَاظٍ . وَمِنْهَا سَرِقَةُ مَعَانٍ . وَسَرِقَةُ الْمَعَانِي أَكْثَرُ ، لِأَنَّهَا أَخْفَى مِنَ الْأَلْفَاظِ . وَمِنْهَا سَرِقَةُ الْمَعْنَى كُلِّهِ . وَمِنْهَا سَرِقَةُ الْبَعْضِ . وَمِنْهَا مَسْرُوقٌ بِاخْتِصَارٍ فِي اللَّفْظِ وَزِيَادَةٍ فِي الْمَعْنَى ، وَهُوَ أَحْسَنُ الْمَسْرُوقَاتِ . وَمِنْهَا مَسْرُوقٌ بِزِيَادَةِ أَلْفَاظٍ وَقُصُورٍ عَنِ الْمَعْنَى ، وَهُوَ أَقْبَحُهَا ، وَمِنْهَا سَرِقَةٌ مَحْضَةٌ ، بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ

(١) الى إجفاء الجفاء : أى الى أشد الجفاء

وَالْفَضْلُ فِي ذَلِكَ لِلْمَسْرُوقِ مِنْهُ ، وَلَا شَيْءَ لِلسَّارِقِ كَسَرِقَةِ أَبِي نُوَاسٍ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا مَعْنَى أَبِي الشِّيصِ بِكَمَالِهِ . قَالَ أَبُو الشِّيصِ :

وَقَفَ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي
مُتَأَخَّرٌ عَنْـــهُ وَلَا مُتَقَدَّمُ

فَسَرَقَهُ الْحُسَنُ بِكَمَالِهِ فَقَالَ :

فَمَا جَازَهُ[1] جُودٌ[2] وَلَا حَلَّ دُونَهُ
وَلَكِنْ يَصِيرُ[3] الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ

فَهَذَا هَذَا ، عَلَى أَنَّ بَيْتَ أَبِي الشِّيصِ ، أَحْلَى وَأَطْبَعُ ، وَمَعَ حَلَاوَتِهِ جَزَالَةٌ[4] . وَقَدْ ذُكِرَ عَنِ

(١) جازه : تعداه (٢) جود : كرم (٣) وفى نسخة خطية من ديوان أبى نواس ولكن يسير المجد حيث يسير (٤) جزالة : فصاحة ومتانة

الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ : مَا زِلْتُ أَحْسُدُ أَبَا الشِّيصِ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ ، حَتَّى أَخَذْتُهُ مِنْهُ ، وَسَرِقَةُ الْمُعَاصِرِ ، سُقُوطُ هِمَّةٍ ، وَبِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ يُنَاضِلُ أَصْحَابُ الْحَسَنِ عَنْهُ ، وَيُخَاصِمُونَ خُصَمَاءَهُ ، مُقِرِّينَ بِأَنْ لَيْسَ لَهُ أَفْضَلُ مِنْهَا . وَلَا لَهُمْ إِلَى سِوَى هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مَعْدَلٌ[1] عَنْهَا . فَقِسْ بِفَهْمِكَ ، وَأَعْمِلْ فِكْرَكَ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنْ أَبْوَابِ السَّرَقِ ، مَا وَجَدْتَهُ فِي أَشْعَارٍ لَمْ أَذْكُرْهَا ، يَظْهَرْ لَكَ جَمِيعُ مَا وَصَفْنَاهُ . وَيَبْدُ لَكَ جَمِيعُ مَا رَسَمْنَاهُ . قَالَ : وَمِمَّا يَقَعُ فِي عُيُوبِ الشِّعْرِ ، وَيَغْفُلُ الشَّاعِرُ عَنْهُ وَيَجُوزُهُ الْأَمْرُ فِيهِ ، لِصِغَرِ جِرْمِ الْعَيْبِ ، وَسَلَامَةِ اللَّفْظِ الَّذِي احْتَبَى[2] فِيهِ ،

(١) مصدر ميمى بمعنى العدول (٢) مِنْ : حبا : بمعنى درج

ثُمَّ يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ غَفْلَةِ النُّقَّادِ أَيْضًا عَنْهُ ، مِثْلُ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا

فَضَعْ هَذَا الْكَلَامَ ، عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا شَكَا دَاءَهُ ، وَوَصَفَهُ بِالْعِظَمِ فَعَادَ شَاكِيًا نَفْسَهُ ، وَجَعَلَهَا أَعْظَمَ الدَّاءِ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ كَفَى بِدَائِكَ دَاءً ، فَغَلِطَ وَقَالَ : كَفَى بِكَ دَاءً ، فَصَارَ كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً ، فَالسَّلَامَةُ هِيَ الدَّاءُ ، يُرِيدُ طُولُ الْبَقَاءِ سَبَبٌ لِلْفَنَاءِ . وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ . فَاللهُ هُوَ أَعْظَمُ شَهِيدٍ ، فَجَعَلَ الْمُتَنَبِّي نَفْسَهُ أَعْظَمَ الدَّاءِ ، وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا اسْتِعْظَامَ دَائِهِ . وَإِصْلَاحُ هَذَا الْفَسَادِ . وَبُلُوغُهُ إِلَى الْمُرَادِ . أَنْ يَقُولَ :

كَفَى بِالْمَنَايَا أَنْ تَكُنَّ أَمَانِيَا

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا

فَيَعُودُ الدَّاءُ الْمُسْتَعْظَمُ كَمَا أَرَادَ ، وَتَزُولُ خُشُونَةُ ابْتِدَائِهِ . وَشِدَّةُ جَفَائِهِ . إِذْ خَاطَبَ الْمَمْدُوحَ بِالْكَافِ ، فَجَعَلَهُ دَاءً عَظِيماً فِي أَوَّلِ كَلِمَةٍ سَمِعَهَا مِنْهُ . وَقَدْ تَأَدَّبَ خَوَاصُّ النَّاسِ وَكَثِيرٌ مِنْ عَوَامِّهِمْ ، فِي مِثَالِ هَذَا الْمَكَانِ ، فَهُمْ يَقُولُونَ عِنْدَ مُخَاطَبَاتِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، بِمَا يَخْشُنُ ذِكْرُهُ ، قُلْتُ لِلْأَبْعَدِ ، كَذَا ، أَوْ كَذَا لِلْأَبْعَدِ .

وَمِنْ عُيُوبِ هَذَا الْقِسْمِ أَيْضًا ، أَنَّ قَائِلَهُ قَصَدَ إِلَى سُلْطَانٍ جَدِيدٍ ، وَإِلَى مَكَانٍ يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى التَّعْظِيمِ

وَالتَّفْخِيمِ ، وَقَدْ صَدَرَ[١] عَنْ مَلِكٍ نَوَّهَ بِهِ ، أَعْنِي سَيْفَ الدَّوْلَةِ ، وَأَغْنَاهُ بَعْدَ فَقْرِهِ ، وَشَرَّفَهُ وَرَفَعَهُ . وَأَدْنَى[٢] مَوْضِعَهُ . فَوَرَدَ عَلَى كَافُورٍ هَذَا ، فِي مَرْتَبَةٍ شَرِيفَةٍ ، وَخُطَّةٍ مُنِيفَةٍ[٣] ، فَجَعَلَ بِجَهْلِهِ يَصِفُهُ ، فِي أَوَّلِ بَيْتٍ لَقِيَهُ بِهِ ، أَنَّهُ فِي حَالَةٍ لَا يَرَى مِنْهَا الْمَنِيَّةَ . أَوْ يَرَى الْمَنِيَّةَ ، أَعْظَمَ أُمْنِيَةً . وَعَلِمَ كَافُورٌ بِذَكَائِهِ ، وَوُصُولِ أَخْبَارِ النَّاسِ إِلَيْهِ أَنَّهُ فِي حَالَةٍ خِلَافِ مَا قَالَ ، وَأَنَّهُ كَفَرَ[٤] النِّعْمَةَ مِنَ الْمُنْعِمِ عَلَيْهِ ، وَأَرَاهُ أَنَّ جَمِيعَ مَا عَامَلَهُ بِهِ مِنَ الْجَاهِ الْوَاسِعِ ، وَالْغِنَى الْقَاطِعِ حَقِيرٌ لَدَيْهِ ، صَغِيرٌ فِي عَيْنَيْهِ . فَعَلِمَ كَافُورٌ

---

(١) صدر عن ملك : أى جاء من عنده (٢) أدنى موضعه : قرب منزلته (٣) منيفة : عالية (٤) كفر النعمة : جحدها

فِي هَذَا الْوَقْتِ أَنَّهُ مِمَّنْ لَا تَزْكُو[١] لَدَيْهِ الصَّنِيعَةُ[٢] وَإِنْ عَظُمَتْ . وَلَا تَكْبُرُ فِي عَيْنَيْهِ الْمَوَاهِبُ[٣] وَإِنْ جَسُمَتْ[٤] . وَلَمْ يَكُنْ فِي خُلُقٍ كَافُورٍ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى اتِّسَاعِ الْبَذْلِ . وَلَا مِنَ الرَّغْبَةِ فِي أَهْلِ الْآدَابِ وَالْفَضْلِ ، مَا عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ مِنْ ذَلِكَ ، فَزَهِدَ فِيهِ بَعْدَ رَغْبَةٍ ، وَعَلَّلَهُ[٥] بِالْقَلِيلِ ، وَشَاوَقَهُ[٦] بِالْجَزِيلِ . وَرَأَى الْمُتَنَبِّي أَنَّ الْأَسْوَدَ لَيْسَ لَهُ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْحُبِّ وَالْقُرْبِ ، مَا لَهُ عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمْ يَدِلَّ عَلَيْهِ ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ التَّعَتُّبِ[٧] وَالْعِتَابِ[٨] مَا يُعَطِّفُهُ عَلَيْهِ ، فَأَضَاعَ وَضَاعَ[٩] ، وَكَانَ يَتَوَقَّعُ[١٠]

---

(١) لا تزكو : لا تنمو (٢) الصنيعة : الاحسان (٣) المواهب جمع موهبة وهى العطية (٤) جسمت : عظمت (٥) علله : شغله ولهاه (٦) شاوقه : أطمعه (٧) التعتب : العيب . من قولهم فلان لا يتعتب عليه فى شىء أى لا يعاب (٨) العتاب : اللوم (٩) فأضاع وضاع : أى أهلك وهلك (١٠) يتوقع : ينتظر

الْإِيقَاعَ[١] . وَلِكُفْرَانِ النِّعَمِ نِقَمٌ[٢] . ثُمَّ نَجَاهُ رُكُوبُ ظَهْرِ الْهَرَبِ . وَأَقْبَلَ يَعْتَرِفُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ بِالذُّنُوبِ . وَكَانَ لَحَنُهُ[٣] وَشِعْرُهُ شَرِيفَيْنِ . وَعَقْلُهُ وَدِينُهُ ضَعِيفَيْنِ . وَمَعَ وَذَلِكَ فَسَقَطَاتُهُ كَثِيرَةٌ ، إِلَّا أَنَّ مَحَاسِنَهُ أَكْثَرُ وَأَوْفَرُ ، وَالْمَرْءُ يَعْجِزُ لَا مَحَالَةَ . وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى تَعْقِيدِ الْكَلَامِ ، وَيَعْتَمِدُ عَلَى عِلْمِهِ بِقُبْحِهِ ، فَيَقُولُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَصِفُ بِهِ نَاقَتَهُ :

فَتَبِيتُ تُسْئِدُ مُسْئِدًا فِي نَيِّهَا
إِسْآدَهَا فِي الْمَهْمَهِ الْإِنْضَاءُ[٤]

---

(١) الإيقاع : عيبه الناس (٢) نقم : جمع نقمة . والنقمة : المكافأة : بالعقوبة (٣) لحنه : أى ميله عن جهه القصد

(٤) الاسآد : السير السريع ، والنيّ : شحم الناقة ، والمهمه : المفازة والانضاء : الاجهاد — والمعنى : تبيت هذه الناقة تسرع فى السير ، والاجهاد يسرع فى إذابة شحمها كاسراعها فى قطع المفازاة

وَيَقُولُ فِي الْمَدْحِ :

أَنَّى يَكُونُ أَبَا الْبَرِيَّةِ آدَمٌ ؟
وَأَبُوكَ وَالثَّقَلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ

وَيَقُولُ فِي بَيْتٍ آخَرَ مِنْ قَصِيدَةٍ أُخْرَى يَمْدَحُ بِهَا ، وَالْبَيْتُ لَا يَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ مِمَّا قَبْلَهُ فِيمَا يَظْهَرُ ، وَلَا فِيمَا بَعْدَهُ بِشَيْءٍ :

كَأَنَّكَ مَا جَاوَدْتَ مَنْ بَانَ جُودُهُ
عَلَيْكَ وَلَا قَاوَمْتَ مَنْ لَمْ تُقَاوِمِ

وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ ، وَهَذِهِ الْأَجْنَاسُ مِنْ أَبْيَاتٍ . وَإِنْ ظَهَرَتْ مَعَانِيهَا بَعْدَ اسْتِقْصَاءٍ . وَأَطَاعَتْ غَوَامِضُهَا بَعْدَ اسْتِعْصَاءٍ[1] . فَهِيَ مَذْمُومَةُ السِّلْكِ[2] ،

(١) استعصاء : صعوبة (٢) السلك : النظم والتركيب

وَإِنِ اطَّلَعْتَ مِنْهَا عَلَى أَجْزَلِ الْإِفَادَةِ ، فَكَيْفَ إِذَا حَصَلْتَ مِنْهَا عَلَى السَّلَامَةِ بِلَا زِيَادَةٍ ؟ وَكَانَ أَيْضًا يَغْفُلُ عَنْ إِصْلَاحِ أَشْيَاءَ مِنْ كَلَامِهِ ، عَلَى قُرْبِ ذَلِكَ الْإِصْلَاحِ مِنَ الْفَهْمِ . مِثْلُ قَوْلِهِ يَرْثِي أُخْتَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ
كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ

فَجَعَلَ يَا أُخْتَ خَيْرٍ ، وَبِنْتَ خَيْرٍ ، كِنَايَةً عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ ، وَالْكِنَايَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِعِلَلٍ تَتَّسِعُ فِيهَا التُّهَمُ ، لِأَنَّ الْكِنَايَةَ سَتْرٌ وَتَعْمِيَةٌ ، فَمَا بَالُ شَرَفِ النَّسَبِ يُوَرَّى[1] عَنْهُ

(١) يورى : يخفى ويستر

تَوْرِيَةَ[٢] الْمَعَايِبِ . وَيُكْنَى عَنْهُ ، وَالتَّصْرِيحُ بِهِ مِنَ الْمَفَاخِرِ وَالْمَنَاقِبِ . وَقَدْ غَفَلَ عَنْ إِصْلَاحِ هَذَا بِلَفْظٍ فَصِيحٍ . وَمَعْنًى صَحِيحٍ . قَدْ كَادَ يَبْرُزُ مِنَ الْجَنَانِ[٣] إِلَى طَرَفِ اللِّسَانِ . وَهُوَ لَوْ فَطِنَ إِلَيْهِ :

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ

غِنًى بِهَذَا وَذَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ

قَالَ أَبُو الرَّيَّانِ : وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ الَّتِي أَثْبَتُّ لَكَ فِيهَا مَا دَخَلَ عَلَى الشُّعَرَاءِ الْمُجِيدِينَ ، مِنَ التَّقْصِيرِ وَالْغَفْلَةِ وَالْغَلَطِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، كَافِيَةٌ وَمُغْنِيَةٌ عَنْ إِيرَادِ سِوَى ذَلِكَ ، وَإِنْ لَقِيتَهَا بِجَوْدَةِ بَحْثٍ وَصِحَّةِ قِيَاسٍ

---

(٢) التورية : الستر والاخفاء . وفى البديع — الاتيان بلفظ له معنيان ، قريب وبعيد . فيراد البعيد منهما . ويورى عنه بالقريب

(٣) الجنان : القلب

لَمْ تَحْتَجْ إِلَى كَشْفِ عُيُوبِ أَشْعَارِ النَّاسِ . وَلَعَلَّ قَائِلاً يَقُولُ : مَالَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَتَرَكَ سِوَاهُمْ لِمَيْلِهِ عَلَى مَنْ بَكَّتَ[1] . وَلِتَفْضِيلِهِ مَنْ عَنْهُ سَكَتَ . فَقُلْ لِمَنْ قَالَ ذَلِكَ ، الْأَمْرُ عَلَى خِلَافِ مَا ظَنَنْتَ ، لَمْ أَذْكُرْ إِلَّا الْأَفْضَلَ فَالْأَفْضَلَ . وَالْأَشْهَرَ فَالْأَشْهَرَ . إِذْ كَانَتْ أَشْعَارُهُمْ هِيَ الْمَرْوِيَّةَ . فَالْحُجَّةُ بِهِمْ وَعَلَيْهِمْ هِيَ الْقَوِيَّةُ . فَقَدْ نَقَلْتُهُ عَلَى مَنْ مَيْلِي عَلَيْهِمْ . إِلَى مَيْلِي بِالْحَقِّ إِلَيْهِمْ . قَالَ أَبُو الرَّيَّانِ : فَأَمَّا نَقْدُ الْمُسْتَحْسَنِ : فَتَمْثِيلُهُ لَكَ يَعْظُمُ وَيَتَّسِعُ لِكَثْرَتِهِ ، فَلَا يَسَعُنَا إِيرَادُهُ ، وَلَكِنْ مَا سَلِمَ مِنْ جَمِيعِ مَا أَوْرَدْنَاهُ فَهُوَ فِي حَيِّزِ السَّالِمِ . ثُمَّ تَتَّسِعُ

(١) بكت : استقبله بما يكره . وغلبه بالحجة

obeikandl.com

طَبَقَاتُ الْجَوْدَةِ فِيهِ . وَأَحْسَنُ مِنْهُ مَا اعْتَدَلَ مَبْنَاهُ . وَأَغْرَبَ مَعْنَاهُ . وَزَادَ فِي مَحْمُودَاتِ الشِّعْرِ عَلَى سِوَاهُ . ثُمَّ يُمْدَحُ الْأَدْوَنُ فَالْأَدْوَنُ بِمِقْدَارِ انْحِطَاطِهِ إِلَى حَيِّزِ السَّلَامَةِ . ثُمَّ لَا مَدْحٌ وَلَا كَرَامَةٌ .

قَالَ مُحَمَّدٌ فَقُلْتُ : لِلّٰهِ دَرُّكَ يَا أَبَا الرَّيَّانِ ، فَمَا أَلْيَنَ جَانِبَكَ . وَمَا أَقْرَبَ غَائِبَكَ . وَمَا أَلْحَ طَالِبَكَ . وَمَا أَسْعَدَ صَاحِبَكَ . فَقَالَ : أَنْجَحَ اللّٰهُ مَطَالِبَكَ . وَقَضَى مَآرِبَكَ . وَصَفَّى مِنَ الْقَذَى مَشَارِبَكَ . وَبَثَّ فِي الْحَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي مَنَاقِبَكَ

تَمَّتِ الْمَقَامَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِمَسَائِلِ الِانْتِقَادِ
بِلُطْفِ الْفَهْمِ وَالِاقْتِصَادِ

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ أَوَّلًا وَآخِرًا وَصَلَاتُهُ عَلَى نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَامُهُ

وَقَدْ آنَ لَنَا أَنْ نَنْتَقِلَ بِكَ إِلَى تِلْكَ الدَّوْحَةِ الْفَارِعَةِ الْفَيْنَانَةِ ، وَتِلْكَ الرَّوْضَةِ الْأُنُفِ[1] الْحَسَّانَةِ فِي الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، نَعْنِي بِهَا مُخْتَارَاتِ شَيْخِنَا فِي بَابِ الْخُطَبِ الْعَرَبِيَّةِ، لِمَصَاقِعِ[2] بُلَغَائِهَا ، وَمُفْتَرِعِي[3] عُذْرَةِ بَيَانِهَا وَحَامِلِي أَلْوِيَةِ فُنُونِهَا ، وَمَالِكِي أَعِنَّةِ زِمَامِهَا . قَالَ رَحِمَهُ اللهُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

* * *

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ

(١) الأنف : الفيحاء ، لم تمس (٢) جمع مصقع : وهو البليغ
(٣) افتراع العذرة : فض البكارة ، والمراد ، أوائل البلغاء ومقدّموهم .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » . وَوَجَدْتُ فِي بَعْضِهَا : « أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ وَأَحُثُّكُم[1] عَلَى طَاعَتِهِ » . وَوَجَدْتُ فِي خُطْبَةٍ لَهُ بَعْدَ حَمْدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ ، وَإِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ : أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللهُ صَانِعٌ بِهِ ، وَأَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللهُ قَاضٍ فِيهِ ، فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ ، وَمِنَ الشَّبِيبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ ، وَمِنَ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَوْتِ ؛ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ ،

(١) حثه : حضه

وَلَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارٌ إِلَّا الْجَنَّةَ أَوِ النَّارَ » وَوَجَدْتُ كُلَّ خُطْبَةٍ مِفْتَاحُهَا الْحَمْدُ إِلَّا خُطْبَةَ الْعِيدِ ، فَإِنَّ مِفْتَاحَهَا التَّكْبِيرُ . وَتَكْبِيرُ الْإِمَامِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَنِ الْمِنْبَرِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ تَكْبِيرَةً .

وَمِنْهَا خُطْبَةُ قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيِّ :

وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُهُ بِسُوقِ عُكَاظَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ : اسْمَعُوا وَعُوا ، مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ، وَهُوَ الْقَائِلُ : فِي هَذِهِ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ، مَطَرٌ وَنَبَاتٌ ، وَآبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ ، وَذَاهِبٌ وَآتٍ ، ضَوْءٌ وَظَلَامٌ ، وَبَرٌّ

وَآثَامٌ ، لِبَاسٌ وَمَرْكَبٌ ، وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ ، وَنُجُومٌ تَنُورُ ، وَبُحُورٌ لَا تَغُورُ . وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ ، وَمِهَادٌ مَوْضُوعٌ ، وَلَيْلٌ دَاجٍ(١) ، وَسَمَاءٍ ذَاتُ أَبْرَاجٍ(٢) مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ . أَرَضُوا بِالْمُقَامِ فَأَقَامُوا ، أَمْ حُبِسُوا فَنَامُوا . وَهُوَ الْقَائِلُ : يَا مَعْشَرَ إِيَادٍ ، أَيْنَ ثَمُودُ وَعَادٌ ، وَأَيْنَ الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ . أَيْنَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي لَمْ يُشْكَرْ ، وَالظُّلْمُ الَّذِي لَمْ يُنْكَرْ . أَقْسَمَ(٣) قُسٌّ بِاللهِ . إِنَّ لِلهِ لَدِيناً هُوَ أَرْضَى مِنْ دِينِكُمْ هَذَا .

---

(١) داج : مظلم (٢) ابراج السماء أثنا عشر برجا وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت (٣) يدل هذا على أن قسًّا كان من هؤلاء الموحدين فى الجاهلية . ومثله كان زهير بن أبى سلمى على ما يفهم من معلقته

خطبة النبي صلى الله عليه وسلم : فى حجة الوداع .

وَمِنْهَا خُطْبَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ حَيْثُ قَالَ :

الْحَمْدُ لِلّٰهِ نَحْمَدُهُ . وَنَسْتَعِينُهُ وَنُؤْمِنُ بِهِ ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ ، وَأَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَسْتَفْتِحُ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، أَمَّا بَعْدُ : أَيُّهَا النَّاسُ . اِسْمَعُوا مِنِّي أُبَيِّنْ لَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي ، لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ

بَعْدَ عَامِي هَذَا فِي مَوْقِفِي هَذَا ، أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ ، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ ، فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى الَّذِي ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا ، وَإِنَّ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَإِنَّ أَوَّلَ رِبًا أَبْدَأُ بِهِ ، رِبَا عَمِّي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَإِنَّ دِمَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ . وَأَوَّلُ دَمٍ أَبْدَأُ بِهِ ، دَمُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَإِنَّ مَآثِرَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، غَيْرَ السِّدَانَةِ(١) وَالسِّقَايَةِ(٢) . وَالْعَمْدُ قَوَدٌ ، وَشِبْهُ الْعَمْدِ مَا قُتِلَ بِالْعَصَا

(١) السدانة : خدمة الكعبة (٢) السقاية : سقى الحجيج

وَالْحَجَرِ، وَفِيهِ مِائَةُ بَعِيرٍ ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ . أَيُّهَا النَّاسُ : « إِنَّمَا النَّسِيءُ[1] زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ، يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ، يُحِلُّونَهُ عَامًا ، وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا ، لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ » . وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ ، كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ » ثَلَاثَةٌ

(١) النسيء : التأخير والتأجيل

مُتَوَالِيَاتٌ وَوَاحِدٌ فَرْدٌ ، ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبٌ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ لِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ ، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوَطِّئْنَ فُرُشَكُمْ غَيْرَكُمْ ، وَلَا يُدْخِلْنَ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ بُيُوتَكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ ، وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، فَإِنِ انْتَهَيْنَ وَأَطَعْنَكُمْ ، فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا النِّسَاءُ عِنْدَكُمْ عَوَارٍ(٢) لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا ،

(١) عوار : عارية

أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْراً ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، أَيُّهَا النَّاسُ : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » ، وَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مُسْلِمٍ مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طِيبِ نَفْسِهِ عَنْهُ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ كِتَابَ اللهِ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كُلُّكُمْ لِآدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ، « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ » ، وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ فَضْلٌ

إِلَّا بِالتَّقْوَى ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، قَالَ : فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ[1] الْغَائِبَ . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ اللهَ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ ، فَلَا يَجُوزُ لِوَارِثٍ وَصِيَّةٌ ، وَلَا تَجُوزُ وَصِيَّتُهُ فِي أَكْثَرَ مِنَ الثُّلُثِ ، وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ . مَنْ دُعِيَ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ تَوَلَى غَيْرَ مَوَالِيهِ ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

(١) فى البيان والتبيين نقص كلمة منكم

خطبة أبي بكر رضي الله عنه

وَمِنْهَا مَا رُوِى عَنْ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ . قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو سَهْلٍ قَالَ حَدَّثَنِي الطَّنَافِسِىُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللهِ الْقُرَشِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عُكَيْمٍ قَالَ : خَطَبَنَا أَبُو بَكْرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّى أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَحْدَهُ ، وَأَنْ تُثْنُوا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَتَخْلِطُوا الرَّغْبَةَ(١) بِالرَّهْبَةِ(٢) ، وَالْإِلْحَافَ(٣) بِالْمَسْأَلَةِ ؛ فَإِنَّ اللهَ أَثْنَى عَلَى زَكَرِيَّا وَأَهْلِ بَيْتِهِ فَقَالَ : (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ قَدِ ارْتَهَنَ(٤)

(١) الرغبة : المحبة (٢) الرهبة : الخوف (٣) الالحاف : الالحاح وكثرة السؤال (٤) ارتهن الشيء منه : أخذه رهنا

بِحَقِّهِ أَنْفُسَكُمْ ، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَاثِيقَكُمْ[١] ، وَاشْتَرَى مِنْكُمُ الْقَلِيلَ[٢] الْفَانِيَ بِالْكَثِيرِ[٣] الْبَاقِي . هَذَا كِتَابُ اللهِ فِيكُمْ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ ، وَلَا يُطْفَأُ نُورُهُ ، فَصَدِّقُوهُ وَانْتَصِحُوهُ[٤] وَاسْتَضِيئُوا مِنْهُ لِيَوْمِ الظُّلْمَةِ . ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ تَغْدُونَ وَتَرُوحُونَ[٥] فِي أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عِلْمُهُ عَنْكُمْ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا يَنْقَضِيَ إِلَّا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ لِلهِ فَافْعَلُوا ، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ إِلَّا بِاللهِ . فَسَابِقُوا فِي مَهَلٍ[٦] ؛ فَإِنَّ قَوْمًا جَعَلُوا آجَالَهُمْ لِغَيْرِهِمْ وَنَسُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَأَنْهَاكُمْ أَنْ تَكُونُوا

---

(١) المواثيق : العهود (٢) يريد متاع الدنيا : لقوله تعالى « قل متاع الدنيا قليل » (٣) يريد نعيم الجنة . فانه كثير دائم . « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » (٤) انتصحوه : أقبلوا نصحه

(٥) الغدو : أول النهار. الرواح : آخر النهار. (٦) المهل : التؤدة

أَمْثَالَهُمْ ، وَالْوَحَا[١] الْوَحَا ، وَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ ! فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ طَالِباً حَثِيثاً[٢] مَرُّهُ ، سَرِيعاً سَيْرُهُ .

وَفِي غَيْرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ : أَيْنَ مَنْ تَعْرِفُونَ مِنْ إِخْوَانِكُمْ ! قَدِ انْتَهَتْ عَنْهُمُ الْأَعْمَالُ ، وَوَرَدُوا عَلَى مَا قَدَّمُوا ، وَحَلُّوا عَلَيْهِمْ بِالشِّقْوَةِ[٣] وَالسَّعَادَةِ . أَيْنَ الْجَبَّارُونَ الَّذِينَ بَنَوُا الْمَدَائِنَ وَحَصَّنُوهَا بِالْحَوَائِطِ ! قَدْ صَارُوا تَحْتَ الصَّخْرِ وَالْآكَامِ[٤] .

* * *

وَلَهُ أَيْضًا فِي رِوَايَةٍ . رَوَاهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ مِنْ وَلَدِ أَبِي زَيْدٍ الْقَارِئُ .

---

(١) الوحا الوحا : البدار . البدار (٢) حثيثاً : سريعاً
(٣) الشقوة : ضد السعد (٤) الآكام : جمع آكمة وهى التل

حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ:

إِنَّ أَشْقَى النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْمُلُوكُ. فَرَفَعَ النَّاسُ رُؤُوسَهُمْ؛ فَقَالَ: مَا لَكُمْ يَا مَعْشَرَ النَّاسِ! إِنَّكُمْ لَطَعَّانُونَ(١) عَجِلُونَ، إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا مَلَكَ زَهَّدَهُ اللهُ فِيمَا فِي يَدِهِ، وَرَغَّبَهُ فِيمَا فِي يَدَيْ غَيْرِهِ، وَانْتَقَصَهُ شَطْرَ(٢) أَجَلِهِ، وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الْإِشْفَاقَ، فَهُوَ يَحْسُدُ عَلَى الْقَلِيلِ، وَيَتَسَخَّطُ(٣) الْكَثِيرَ، وَيَسْأَمُ الرَّخَاءَ(٤)، وَتَنْقَطِعُ عَنْهُ لَذَّةُ الْبَقَاءِ، لَا يَسْتَعْمِلُ الْعِبْرَةَ(٥) وَلَا يَسْكُنُ إِلَى الثِّقَةِ. فَهُوَ كَالدِّرْهَمِ الْقَسِيِّ(٦)

---

(١) الطعانون: سريعو الاعتراض (٢) شطر الشيء: نصفه
(٣) يتسخط: لا يرضى (٤) يسأم يبطر (٥) العبرة: الاعتبار
(٦) القسي من الدراهم: الزائف

وَالسَّرَابِ[١] الْخَادِعِ ، جَذِلُ[٢] الظَّاهِرِ ، حَزِينُ الْبَاطِنِ ، فَإِذَا وَجِبَتْ[٣] نَفْسُهُ ، وَنَضَبَ[٤] عُمْرُهُ ، وَضَحَى[٥] ظِلُّهُ ، حَاسَبَهُ اللهُ فَأَشَدَّ حِسَابَهُ ، وَأَقَلَّ عَفْوَهُ ، أَلاَ إِنَّ الْفُقَرَاءَ هُمُ الْمَرْحُومُونَ . وَخَيْرُ الْمُلُوكِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ ، وَحَكَمَ بِكِتَابِ اللهِ ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ عَلَى خِلاَفَةِ نُبُوَّةٍ ، وَمَفْرِقِ مَحَجَّةٍ[٦] ، وَسَتَرُونَ بَعْدِي مُلْكًا عَضُوضًا[٧] ، وَأُمَّةً شَعَاعًا[٨] ، وَدَمًا مُفَاحًا[٩] ، فَإِنْ كَانَتْ لِلْبَاطِلِ نَزْوَةٌ[١٠] ، وَلأَهْلِ

---

(١) السراب الخادع : ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر كأنه ماء
(٢) الجذل : الفرح (٣) وجب : سقط ومات (٤) نضب عمره : انقضى (٥) ضحى ظله : هلك (٦) المحجة : جادة الطريق أى وسطه (٧) ملك عضوض : فيه استبداد وعسف (٨) شعاعاً : متفرقة (٩) الدم المفاح : المراق (١٠) النزوة : الوثبة

الْحَقِّ جَوْلَةٌ ، يَعْفُو لَهَا الْأَثَرُ ، وَتَمُوتُ السُّنَنُ ، فَالْزَمُوا الْمَسَاجِدَ ، وَاسْتَشِيرُوا الْقُرْآنَ ، وَالْزَمُوا الْجَمَاعَةَ . وَلْيَكُنِ الْإِبْرَامُ[1] بَعْدَ التَّشَاوُرِ، وَالصَّفْقَةُ[2] بَعْدَ طُولِ التَّنَاظُرِ ، أَيُّ بِلَادٍ لَكُمْ خُرْسَةٌ فَإِنَّ اللهَ سَيَفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَقْصَاهَا كَمَا فَتَحَ أَدْنَاهَا .

وَلَهُ أَيْضًا :

أَرَادَ عُمَرُ الْكَلَامَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رِسْلِكَ[3] . نَحْنُ الْمُهَاجِرُونَ أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا ، وَأَوْسَطُهُمْ دَارًا وَأَكْرَمُهُمْ أَحْسَابًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وُجُوهًا ، وَأَكْثَرُ

(١) أبرم الأمر : أحكمه (٢) الصفقة : يريدنا تمام الأمر على جميع الأقطار والغنم منها (٣) على رسلك : أى على مهلك

النَّاسِ وِلَادَةً فِي الْعَرَبِ ، وَأَمَسُّهُمْ[1] رَحِمًا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَسْلَمْنَا قَبْلَكُمْ ، وَقُدِّمْنَا فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ ، فَأَنْتُمْ إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ ، وَشُرَكَاؤُنَا فِي الْفَيْءِ[2] ، وَأَنْصَارُنَا عَلَى الْعَدُوِّ ، آوَيْتُمْ وَوَاسَيْتُمْ ، فَجَزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا ؛ نَحْنُ الْأُمَرَاءُ ، وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءُ ؛ لَا تَدِينُ الْعَرَبُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَنْتُمْ مَحْقُوقُونَ أَلَّا تَنْفَسُوا[3] عَلَى إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَا سَاقَ اللهُ إِلَيْهِمْ .

☆
☆ ☆

وَلَهُ أَيْضًا :

الْهَيْثَمُ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : لَمَّا بُوِيعَ أَبُو بَكْرٍ

(١) الأمس : الأقرب (٢) الفيء : الغنيمة (٣) نفس عليه : حسده وضن عليه

الصِّدِّيقُ رَضِى اللهُ عَنْهُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَنَزَلَ مِرْقَاةً[١] مِنْ مَقْعَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ .

إِنِّى وَلِيتُ أَمْرَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، وَلَكِنَّهُ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَسَنَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . إِعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ[٢] التُّقَى ، وَأَنَّ أَحْمَقَ الْحُمْقِ[٣] الْفُجُورُ[٤] ، وَأَنَّ أَقْوَاكُمْ عِنْدِى الضَّعِيفُ ، حَتَّى آخُذَ لَهُ بِحَقِّهِ ، وَأَضْعَفَكُمْ عِنْدِى الْقَوِىُّ حَتَّى آخُذَ مِنْهُ الْحَقَّ ، إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِى[٥] ، وَإِنْ زُغْتُ[٦]

(١) مرقاة : درجة (٢) الكيس : العقل (٣) الحمق : فساد الرأى (٤) الفجور : ارتكاب المعاصى بلا مبالاة (٥) أعينونى : ساعدونى (٦) زغت : تحولت

فَقَوِّمُونِي ، أَقُولُ قَوْلِي هذَا ، واسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ .

خطبة عمر رضي الله عنه

وَمِنْهَا خُطْبَةٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قَالَ : وَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَقَالَ :

مَا كَانَ اللهُ لِيَرَانِي أَرَى نَفْسِي أَهْلاً لِمَجْلِسِ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ نَزَلَ عَنْ مَجْلِسِهِ مِرْقَاةً ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : إِقْرَءُوا الْقُرْآنَ تُعْرَفُوا بِهِ ، وَاعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ . إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ حَقُّ ذِي حَقٍّ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ . أَلاَ وَإِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللهِ بِمَنْزِلَةِ وَالِي الْيَتِيمِ :

إِنِ اسْتَغْنَيْتُ عَفَفْتُ[١] ، وَإِنِ افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ ، تَقَرُّمَ[٢] الْبَهْمَةِ الْأَعْرَابِيَّةِ ، الْقَضْمَ[٣] ، لَا الْخَضْمَ[٤] .

☆
☆ ☆

خطبة لعثمان بن عفان رضي الله عنه

وَمِنْهَا لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

قَالَ : وَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ : رَحِمَهُمَا اللهُ ، لَوْ جَلَسَا هَذَا الْمَجْلِسَ ، مَا كَانَ بِذَلِكَ مِنْ بَأْسٍ[٥] ، فَجَلَسَ عَلَى ذِرْوَةِ[٦] الْمِنْبَرِ فَرَمَاهُ[٧] النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مَرْكَبٍ[٨]

---

(١) عفف : امتنع وترفع (٢) تقرم الصبي والبهم : أكل أكلا ضعفا
(٣) القضم : الأكل بأطراف الأسنان (٤) الخضم : بأقصى الأضراس والمراد الأكل الخفيف الذى تدفع إليه الحاجة (٥) البأس : الخوف ، الشجاعة والمراد هنا : مانع (٦) ذروة الشيء : أعلاه
(٧) رماه الناس : نظروا اليه شذرا (٨) المركب : ما يركب براً وبحراً

صَعْبٌ ، وَإِنَّ مَعَ الْيَوْمِ أَيَّامًا ، وَمَا كُنَّا خُطَبَاءَ ، وَإِنْ نَعِشْ لَكُمْ تَأْتِكُمُ الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

خطبة لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه

وَمِنْهَا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَكَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ ، وَآذَنَتْ[١] ، بِوَدَاعٍ ، وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ فَأَشْرَفَتْ[٢] بِاطِّلَاعٍ ، وَإِنَّ الْمِضْمَارَ[٣] الْيَوْمَ ، وَغَدًا السِّبَاقُ ، أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ[٤] ، فَمَنْ

(١) أذنت : أعلمت (٢) أشرف على الشيء : اطلع عليه
(٣) المضمار : مسافة الفرس فى السباق (٤) الأجل غاية الوقت : والمراد وقت الموت

قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ ، فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا لِلّٰهِ فِي الرَّغْبَةِ ، كَمَا تَعْمَلُونَ لَهُ فِي الرَّهْبَةِ ، أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا ، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا . أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ الْحَقُّ ضَرَّهُ الْبَاطِلُ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ الْهُدَى جَارَ بِهِ الضَّلَالُ ، أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ[1] ، وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ ؛ وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ .

* * *

وَلَهُ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ .

أَيُّهَا النَّاسُ : كِتَابَ اللّٰهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّكُمْ ، لَا يَدَّعِي

(١) الظعن : الرحيل

مُدَّعٍ إِلاَّ عَلَى نَفْسِهِ . شُغِلَ مَنِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَهُ ، سَاعٍ نَجَا ، وَطَالِبٌ يَرْجُو ، وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ : ثَلاَثَةٌ ؛ وَاثْنَانِ : مَلَكٌ طَارَ بِجَنَاحَيْهِ ، وَنَبِيٌّ أَخَذَ اللهُ بِيَدَيْهِ ، لَا سَادِسَ . هَلَكَ مَنِ اقْتَحَمَ[1] ، وَرَدِيَ[2] مَنْ هَوَى . الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ مَضَلَّةٌ ، وَالْوُسْطَى الْجَادَّةُ[3] : مَنْهَجٌ[4] : عَلَيْهِ بَاقِي الْكِتَابِ وَآثَارُ النُّبُوَّةِ . إِنَّ اللهَ أَدَّبَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِأَدَبَيْنِ : السَّوْطِ[5] وَالسَّيْفِ ، فَلَا هَوَادَةَ[6] فِيهِمَا عِنْدَ الْإِمَامِ ، فَاسْتَتِرُوا بِبُيُوتِكُمْ ، وَأَصْلِحُوا[7] ذَاتَ

---

(١) اقتحم الأمر : رمى نفسه فيه بشدة ومشقة
(٢) ردى : هلك (٣) الجادة : معظم الطريق ، أو وسطه
(٤) المنهج : الطريق الواضح (٥) السوط : آلة الضرب
(٦) الهوادة : اللين والرفق (٧) أصلحوا ذات بينكم : أحلوا الاخاء محل الشقاق

بَيْنَكُمْ ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ، مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ[1] لِلْحَقِّ هَلَكَ ، قَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مِلْتُمْ عَلَيَّ فِيهَا مَيْلَةً لَمْ تَكُونُوا عِنْدِي مَحْمُودِينَ وَلَا مُصِيبِينَ . وَاللهِ أَنْ لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ . عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ . اُنْظُرُوا . فَإِنْ أَنْكَرْتُمْ فَأَنْكِرُوا ، وَإِنْ عَرَفْتُمْ فَارْوُوا ، حَقٌّ وَبَاطِلٌ ، وَلِكُلٍّ أَهْلٌ ، وَاللهِ لَئِنْ أُمِّرَ[2] الْبَاطِلُ لَقَدِيمًا فَعَلَ ، وَلَئِنْ أُمِّرَ الْحَقُّ لَرُبَّ وَلَعَلَّ . مَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ . . .

(١) أبدى صفحته : أعرض عن الحق (٢) أمرَ : سلط

وَلَهُ أَيْضًا .

خَطَبَ عَلِيٌّ حِينَمَا قُتِلَ عَامِلُهُ بِالْأَنْبَارِ ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ :

يَا عَجَبًا مِنْ جِدِّ[١] هَؤُلَاءِ فِي بَاطِلِهِمْ ، وَفَشَلِكُمْ[٢] عَنْ حَقِّكُمْ ، فَقُبْحًا لَكُمْ ، وَتَرَحًا[٣] حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا[٤] يُرْمَى ، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ ، وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ ، إِنْ أَمَرْتُكُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ فِي الْحَرِّ ، قُلْتُمْ : حَمَارَّةُ[٥] الْقَيْظِ أَمْهِلْنَا ، يَنْسَلِخِ[٦] الْحَرُّ ، وَإِنْ أَمَرْتُكُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ ، قُلْتُمْ : أَمْهِلْنَا ، يَنْسَلِخِ الشِّتَاءُ .

---

(١) الجد : الاجتهاد والعجلة (٢) الفشل : التراخي والجبن عند الشدة (٣) الترح : الحزن (٤) الغرض : الهدف والقصد (٥) حمارة القيظ : شدته (٦) ينسلخ : يمضي

هَـذَا أَوَانُ قُرٍّ[١] ، كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ ، فَأَنْتُمْ وَاللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ ، يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ ! أَحْلَامَ[٢] الْأَطْفَالِ ، وَعُقُولَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ[٣] ، أَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي[٤] بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ[٥] حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ : ابْنُ أَبِي طَالِبٍ شُجَاعٌ « وَلَـكِنْ » لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ ، لِلّٰهِ أَبُوهُمْ ؟ هَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا[٦] وَأَطْوَلُ تَجْرِبَةً مِنِّي ؟ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ ، فَهَأَنَا الْآنَ ، قَدْ نَيَّفْتُ[٧] عَلَى السِّتِّينَ ، وَلَـكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ . يَقُولُهَا ثَلَاثًا .

---

(١) القر : البرد الشديد

(٢) أحلام : عقول (٣) الحجال : جمع حجل وهو الخلخال

(٤) الرأى : الاعتقاد والاصابة فى التدبير (٥) الخذلان : ترك النصرة والاعانة (٦) المراس : الشدة والقوة (٧) نيف : زاد

☆
☆ ☆

خطبة لمعاوية

وَلِمُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ :

بَلَغَنِي عَنْ شُعَيْبِ بْنِ صَفْوَانَ قَالَ : خَطَبَ مُعَاوِيَةُ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ ، وَزَمَنٍ شَدِيدٍ ، يُعَدُّ الْمُحْسِنُ فِيهِ مُسِيئًا ، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوًّا[1] ، لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا ، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا ، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً[2] حَتَّى تَحُلَّ بِنَا . فَالنَّاسُ أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ : مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ ، وَكَلَالُ حَدِّهِ ، وَنَضِيضُ[3] وَفْرِهِ ؛ وَمِنْهُمُ الْمُصْلِتُ[4] لِسَيْفِهِ ،

(١) العتو : الاستكبار ومجاوزة الحد
(٢) القارعة : النكبة المهلكة (٣) نضيض وفره : قلة ماله
(٤) أصلت السيف : جرده من غمده

وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، قَدْ أَشْرَطَ[١] نَفْسَهُ، وَأَوْبَقَ[٢] دِينَهُ، لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ، أَوْ مِقْنَبٍ[٣] يَقُودُهُ، أَوْ مِنْبَرٍ يَقْرَعُهُ[٤]، وَلَبِئْسَ الْمَتْجَرَانِ، تَرَاهُمَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا، وَمِمَّا عِنْدَ اللهِ عِوَضًا؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا قَدْ طَامَنَ[٥] مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَزَخْرَفَ نَفْسَهُ لِلْأَمَانَةِ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللهِ ذَرِيعَةً[٦] إِلَى الْمَعْصِيَةِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُولَةٌ[٧] فِي نَفْسِهِ، وَانْقِطَاعٌ مِنْ سَبَبِهِ، فَقَصَّرَ بِهِ الْحَالُ عَنْ أَمَلِهِ،

---

(١) أشرط نفسه لكذا: أعدها وقدمها (٢) أوبق دينه: أهلكه
(٣) المقنب: جماعة الخيل (٤) يقرعه: يعلوه (٥) طامن من شخصه: خفض (٦) الذريعة: الوسيلة (٧) الضئولة: الصغر والضعف

فَتَحَلَّى[١] بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ الزُّهَّادِ ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلَا مَغْدًى . وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ[٢] أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ ، وَأَرَاقَ[٣] دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ[٤] ، وَخَائِفٍ مُنْقَمِعٍ[٥] ، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ[٦] ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ ، وَمُوجَعٍ ثَكْلَانَ[٧] ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ ، وَشَمِلَتْهُمُ الذِّلَّةُ . فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ[٨] ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ[٩] ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ[١٠] ، قَدْ وُعِظُوا حَتَّى مَلُّوا[١١] ، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا ، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا . فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ

---

(١) تحلى : تزين (٢) غض : خفض (٣) أراق : اسكب
(٤) النادّ : النافر الذاهب على وجهه (٥) منقمع : مستخف ومستتر (٦) معكوم : معقول عن الكلام (٧) الثكلان : الذى فقد ولده (٨) الأجاج : الملح (٩) الضامر : الضعيف المهزول
(١٠) قرحة : مجروحة (١١) ملوا : سئموا

حُثَالَةِ الْقَرَظِ[١] ، وَقُرَاضَةِ الْجَلَمِ[٢] . وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ، وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً ، فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ .

* * *

خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت أبيه

وَلِيَزِيدَ ابْنِ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ .

خَطَبَ فَقَالَ : إِنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ حَبْلًا مِنْ حِبَالِ اللهِ ، مَدَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَمُدَّهُ ، ثُمَّ قَطَعَهُ حِينَ شَاءَ أَنْ يَقْطَعَهُ ؛ وَكَانَ دُونَ مَنْ قَبْلَهُ ، وَهُوَ خَيْرٌ مِمَّنْ بَعْدَهُ ، وَلَا أُزَكِّيهِ[٣] عِنْدَ رَبِّهِ ، وَقَدْ صَارَ إِلَيْهِ .

---

(١) حثالة القرظ : ما يسقط من ورق السلم (٢) قراضة الجلم : ما يسقط من قرض الطائر الجارح أو من التيس (٣) أزكيه : أمدحه

فَإِنْ يَعْفُ عَنْهُ فَبِرَحْمَتِهِ ، وَإِنْ يُعَاقِبْهُ فَبِذَنْبِهِ ، وَقَدْ وَلِيتُ الْأَمْرَ بَعْدَهُ ، وَلَسْتُ أَعْتَذِرُ مِنْ جَهْلٍ ، وَلَا آسَى عَلَى عِلْمٍ . وَعَلَى رِسْلِكُمْ ! إِذَا كَرِهَ اللهُ أَمْرًا غَيَّرَهُ .

خطبة عتبة ابن أبى سفيان

وَلِعُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ .

أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْعُتْبِيِّ قَالَ :

احْتَبَسَتْ كُتُبُ مُعَاوِيَةَ حَتَّى أَرْجَفَ[1] أَهْلُ مِصْرَ بِمَوْتِهِ ، ثُمَّ وَرَدَ كِتَابُهُ بِسَلَامَتِهِ ، فَصَعِدَ عُتْبَةُ الْمِنْبَرَ وَالْكِتَابُ فِي يَدِهِ فَقَالَ .

يَا أَهْلَ مِصْرَ ! قَدْ طَالَتْ مُعَاتَبَتُنَا إِيَّاكُمْ

(١) أرجف : خاض فى الأخبار السيئة

بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَظبَاتِ[١] السُّيُوفِ ، حَتَّى صِرْنَا شَجًى[٢] فِي لَهَوَاتِكُمْ ، مَا تُسِيغُنَا[٣] حُلُوقُكُمْ ، وَأَقْذَاءً[٤] فِي أَعْيُنِكُمْ ، مَا تَطْرُفُ عَلَيْهَا جُفُونُكُمْ . فَحِينَ اشْتَدَّتْ عُرَا الْحَقِّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا ، وَاسْتَرْخَتْ عُقَدُ الْبَاطِلِ مِنْكُمْ حَلاًّ ، أَرْجَفْتُمْ بِالْخَلِيفَةِ ، وَأَرَدْتُمْ تَوْهِينَ[٥] السُّلْطَانِ ، وَخُضْتُمُ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ ، وَأَقْدَمُ عَهْدِكُمْ بِهِ حَدِيثٌ . فَارْبَحُوا أَنْفُسَكُمْ إِذْ خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ ، فَهَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخَبَرِ السَّارِّ عَنْهُ ، وَالْعَهْدِ الْقَرِيبِ مِنْهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ سُلْطَانَنَا عَلَى أَبْدَانِكُمْ دُونَ قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْلِحُوا لَنَا مَا ظَهَرَ ،

---

(١) الظبة : حد السيف أو السنان (٢) الشجى : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه (٣) الشراب السائغ : الهنىء (٤) القذى : الجسم الغريب الذى يقع فى العين أو الغمص (٥) توهين : من الوهن وهو الضعف

نَكِلْكُمْ إِلَى اللهِ فِيمَا بَطَنَ ، وَأَظْهِرُوا خَيْرًا وَإِنْ أَسْرَرْتُمْ شَرًّا ، فَإِنَّكُمْ حَاصِدُونَ مَا أَنْتُمْ زَارِعُونَ ، وَعَلَى اللهِ نَتَوَكَّلُ وَبِهِ نَسْتَعِينُ .

☆
☆ ☆

وَلَهُ أَيْضًا :

وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ أَنَّ عُتْبَةَ خَطَبَ أَهْلَ مِصْرَ حِينَ هَاجُوا[1] فَقَالَ :

يَا أَهْلَ مِصْرَ خَفَّ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ مَدْحُ الْحَقِّ وَلَا تَفْعَلُونَهُ ، وَذَمُّ الْبَاطِلِ وَأَنْتُمْ تَأْتُونَهُ ، كَالْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا[2] أَثْقَلَهُ حَمْلُهَا وَلَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهَا . وَإِنِّي وَاللهِ لَا أُدَاوِي أَدْوَاءَكُمْ بِالسَّيْفِ مَا اكْتَفَيْتُ

(١) هاجوا : اضطربوا (٢) الاسفار : الكتب الكبيرة

بِالسَّوْطِ ، وَلَا أَبْلُغُ السَّوْطَ مَا كَفَتْنِي الدِّرَّةُ(١) ، وَلَا أُبْطِئُ عَنِ الْأُولَى إِنْ لَمْ تَصْلُحُوا عَلَى الْأُخْرَى ، نَاجِزاً بِنَاجِزٍ ، وَمَنْ حَذَّرَ كَمَنْ بَشَّرَ ، فَدَعُوا قَالَ وَيَقُولُ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقَالَ فَعَلَ وَيَفْعَلُ ؛ فَإِنَّ هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ عِقَابٌ ، وَلَا بَعْدَهُ عِتَابٌ .

خطبة لعبد الله ابن الزبير

وَلِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ :

خَطَبَ حِينَ قُتِلَ أَخُوهُ مُصْعَبٌ فَقَالَ :

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ . إِنَّهُ لَنْ يَذِلَّ مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ ، وَإِنْ كَانَ فَرْدًا ،

(١) الدرة : السوط الذى يضرب به

وَلَنْ يَعِزَّ مَنْ كَانَ أَوْلِيَاءُ[١] الشَّيْطَانِ حِزْبَهُ ، وَإِنْ كَانَ مَعَهُ الْأَنَامُ ، أَتَانَا خَبَرٌ مِنْ قِبَلِ الْعِرَاقِ أَجْزَعَنَا[٢] وَأَفْرَحَنَا : قَتْلُ مُصْعَبٍ رَحِمَهُ اللهُ ، فَأَمَّا الَّذِي أَحْزَنَنَا مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ لِفِرَاقِ الْحَمِيمِ لَذْعَةً[٣] يَجِدُهَا حَمِيمُهُ[٤] عِنْدَ الْمُصِيبَةِ بِهِ ، ثُمَّ يَرْعَوِي بَعْدَهَا ذُو الرَّأْيِ إِلَى جَمِيلِ الصَّبْرِ ، وَكَرِيمِ الْعَزَاءِ ، وَأَمَّا الَّذِي أَفْرَحَنَا مِنْ ذَلِكَ ، فَعِلْمُنَا أَنَّ قَتْلَهُ شَهَادَةٌ ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَنَا وَلَهُ الْخِيَرَةُ . أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ أَهْلَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ ، بَاعُوهُ بِأَقَلِّ ثَمَنٍ كَانُوا يَأْخُذُونَهُ بِهِ . إِنَّا وَاللهِ مَا نَمُوتُ حَبَجًا[٥] وَلَا

---

(١) أولياء : مناصرون ومعاونون (٢) أجزعنا : أحزننا
(٣) لذعه : حرقه (٤) الحميم : المخلص
(٥) الحبج : أن يأكل البعير لحاء العرفج فيرم بطنه سمناً وربما قتله ذلك

نَمُوتُ إِلَّا قَتْلاً ، قَعْصًا[١] بِالرِّمَاحِ ، وَقَصْفًا تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ، لَيْسَ كَمَا تَمُوتُ بَنُو مَرْوَانَ ؛ وَاللهِ إِنْ[٢] قُتِلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ . أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا عَارِيَةٌ[٣] مِنَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى (الَّذِي لَا يَبِيدُ ذِكْرُهُ ، وَلَا يَذِلُّ سُلْطَانُهُ) فَإِنْ تُقْبِلْ عَلَيَّ لَا آخُذْهَا أَخْذَ الْبَطِرِ الْأَشِرِ[٤] وَإِنْ تُدْبِرْ عَنِّي لَا أَبْكِ عَلَيْهَا بُكَاءَ الْخَرِفِ الْمُهْتَرِ[٥] ثُمَّ نَزَلَ .

✡
✡ ✡

خطبة لزياد بن ابيه

وَلِزِيَادِ بْنِ أَبِيهِ :

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ

(١) قعصه : قتله مكانه (٢) إن : نافية بمعنى ما (٣) العارية : ما تملك منفعته بغير عوض والمقصود الوديعة (٤) البطر الأشر : الطاغى فى النعمة (٥) الخرف : الذى فسد عقلة بسبب الكبر . المهتر : من ذهب عقله بسبب مرض أو كبر أو حزن

ابْنِ أَبِي عَاصِمٍ بِبَعْضِهَا . وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنِ الْهَيْثَمِ ابْنِ عَدِيٍّ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ زِيَادٌ أَمِيرًا عَلَى الْبَصْرَةِ نَظَرَ إِلَى أَبْيَاتِهَا ، قَالَ : رُبَّ فَرِحٍ بِإِمَارَتِي لَنْ تَنْفَعَهُ (وَ) كَارِهٍ لَهَا لَنْ تَضُرَّهُ ، فَدَخَلَ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ[1] أَبْيَضُ ، وَرِدَاءٌ صَغِيرٌ ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَةً بَتْرَاءَ : لَمْ يُصَلِّ فِيهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَطَبَهَا ، ثُمَّ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ قَالَ مُعَاوِيَةُ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ ، وَشَهِدَتِ الشُّهُودُ بِمَا قَدْ سَمِعْتُمْ . وَإِنَّمَا كُنْتُ امْرَأً حَفِظَ اللهُ مِنْهُ مَا ضَيَّعَ النَّاسُ ، وَوَصَلَ مَا قَطَعُوا ، أَلَا وَإِنَّا قَدْ وَلِينَا وَوَلِينَا الْوَالُونَ[2] ، وَسُسْنَا وَسَاسَنَا السَّائِسُونَ[3] ،

(١) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب (٢) الوالون : جمع وال وهو الحاكم (٣) السائسون : جمع سائس وهو القائم بالأمر

وَإِنَّا وَجَدْنَا هَذَا الْأَمْرَ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا شِدَّةٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ[١] ، وَلِينٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ . وَايْمُ اللهِ مَا مِنْ كِذْبَةٍ أَكْبَرُ شَاهِدًا مِنْ كِذْبَةِ إِمَامٍ عَلَى مِنْبَرٍ ؛ فَإِذَا سَمِعْتُمُوهَا مِنِّي فَاغْتَمِزُوهَا[٢] فِيَّ ، وَاعْلَمُوا أَنْ عِنْدِي أَمْثَالَهَا ، وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي آمُرُ فِيكُمْ بِالْأَمْرِ فَأَنْفِذُوهُ عَلَى أَذْلَالِهِ[٣] . وَايْمُ اللهِ إِنَّ لِي فِيكُمْ لَصَرْعَى[٤] كَثِيرَةً ، فَلْيَحْذَرْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرْعَايَ . وَايْمُ اللهِ لَآخُذَنَّ الْبَرِيءَ بِالسَّقِيمِ ، وَالْمُطِيعَ بِالْعَاصِي ، وَالْمُقْبِلَ بِالْمُدْبِرِ ، حَتَّى تَسْتَقِيمَ لِي قَنَاتُكُمْ ، وَحَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ :

---

(١) العنف : القساوة . (٢) اغتمزه : طعن عليه (٣) أذلاله : طرقه ووجوهه (٤) صرعى : جمع صريع بمعنى مصروع وهو المطروح على الأرض .

« أُنْجُ سَعْدُ فَقَدْ قُتِلَ سَعِيدٌ[١] » فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ ابْنُ الْأَهْتَمِ التَّمِيمِيُّ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَشْهَدُ أَنَّكَ أُوتِيتَ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ؛ فَقَالَ لَهُ : كَذَبْتَ ، ذَاكَ نَبِيُّ اللهِ دَاوُدَ . ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ ، فَقَالَ : إِنَّمَا الْمَرْءُ بِجِدِّهِ ، وَالسَّيْفُ بِحَدِّهِ ، وَالْجَوَادُ بِشَدِّهِ ؛ وَقَدْ بَلَّغَكَ جِدُّكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مَا نَرَى ؛ وَإِنَّمَا الْحَمْدُ بَعْدَ الْبَلَاءِ[٢] ، وَالثَّنَاءُ بَعْدَ الْعَطَاءِ ، وَإِنَّا لَا نُثْنِي حَتَّى نَبْتَلِيَ . ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ مِرْدَاسُ بْنُ أُدَيَّةَ ، فَقَالَ : قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَتَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَإِنَّ خَلِيلَ اللهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَدَّى عَنِ اللهِ غَيْرَ الَّذِي أَدَّيْتَهُ .

---

(١) هذا مثل يضرب عند الشدائد فى الاستخبار عن الأمرين أيهما وقع الخير . أم الشر (٢) البلاء : الاختبار

قَالَ اللهُ تَعَالَى : (أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى[١]) . وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ تَأْخُذُ الْبَرِئَ بِالسَّقِيمِ ، وَالْمُطِيعَ بِالْعَاصِي ، وَالْمُقْبِلَ بِالْمُدْبِرِ ؛ فَقَالَ لَهُ : اسْكُتْ ، فَوَاللهِ مَا أَجِدُ إِلَى مَا أُرِيدُ سَبِيلًا ، إِلَّا أَنْ أَخُوضَ إِلَيْهِ الْبَاطِلَ خَوْضًا . ثُمَّ نَزَلَ .

وَقَالَ فِي خُطْبَةٍ لَهُ أُخْرَى .

حَرَامٌ عَلَيَّ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ حَتَّى أُسَوِّيَهَا بِالْأَرْضِ هَدْمًا وَإِحْرَاقًا . إِيَّاىَ وَدَلَجَ[٢] اللَّيْلِ ، فَإِنِّي لَا أُوتَى بِمُدْلِجٍ[٣] إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ ، وَإِيَّاىَ وَدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَداً دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ

---

(١) لا تزر وازرة وزر أخرى : أى لا تحمل نفس آثمة اثم غيرها

(٢) دلج الليل : الساعة المتأخرة منه (٣) المدلج : السائر فى آخر الليل

لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحْدَثْتُمْ[١] أَحْدَاثاً[٢] ، وَأَحْدَثْنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ عُقُوبَةً ؛ فَمَنْ غَرَّقَ قَوْماً غَرَّقْنَاهُ ، وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْماً أَحْرَقْنَاهُ ، وَمَنْ نَقَبَ بَيْتاً نَقَبْنَا عَنْ قَلْبِهِ ، وَمَنْ نَبَشَ قَبْراً دَفَنَّاهُ فِيهِ حَيًّا ، فَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَلْسِنَتَكُمْ أَكُفَّ عَنْكُمْ . وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ مِنْكُمْ أَشْيَاءُ قَدْ جَعَلْتُهَا دَبْرَ أُذُنِي وَتَحْتَ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مُحْسِناً فَلْيَزْدَدْ ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئاً فَلْيَنْزِعْ . إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَهُ السُّلُّ مِنْ بُغْضِي لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعاً[٣] وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْراً ، حَتَّى يُبْدِيَ لِي صَفْحَتَهُ ،

(١) أحدثتم : أوجدتم (٢) أحداثاً : جمع حدث . والحدث : الأمر الحادث . والأمر المنكر الذى ليس بمعتاد (٣) القناع : ما يستتر به الوجه

فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ أُنَاظِرْهُ(١) ؛ فَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَاسْتَأْنِفُوا(٢) أَمْرَكُمْ .

خطبة للحجاج حين دخل البصرة

دَخَلَ وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفاً مُتَنَكِّبٌ(٣) قَوْساً عَرَبِيَّةً ، فَعَلاَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا(٤)

مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَثَرَ(٥) عِيدَانَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَوَجَدَنِي أَمَرَّهَا عُوداً وَأَصْلَبَهَا مَكْسِراً(٦) ، فَوَجَّهَنِي

(١) أناظره : أمهله (٢) ائتنف الشيء : أخذ فيه وابتدأ
(٣) تنكب القوس القاها على منكبه (٤) الثنايا : نهاية الجبل والمراد أنه لا يبالى بالشدائد (٥) نثر : طرح (٦) أى أقواها وأشدها .

إِلَيْكُمْ . أَلَا فَوَاللهِ لَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصْبَ[١] السَّلَمَةِ ، وَلَأَلْحُوَنَّكُمْ لَحْوَ[٢] الْعُودِ ، وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ[٣] ، حَتَّى تَسْتَقِيمَ لِي قَنَاتُكُمْ ، وَحَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ : « أُنْجُ سَعْدُ فَقَدْ قُتِلَ سَعِيدٌ » . أَلَا وَإِيَّايَ وَهَذِهِ السُّفَعَاءَ وَالزَّرَافَاتِ ، فَإِنِّي لَا أُوتَى بِأَحَدٍ مِنَ الْجَالِسِينَ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ .

* * *

خطبة للحجاج أيضا

أَرْجَفَ النَّاسُ بِمَوْتِ الْحَجَّاجِ فَخَطَبَ فَقَالَ : إِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، أَهْلِ الشِّقَاقِ

(١) عصبه : قطعه — السلمة : شجرة السنط (٢) لحا العود : قشره (٣) مثل يضرب للتهديد والانذار . لأن الابل الغريبة تضرب لاضطرابها

وَالنِّفَاقِ ، نَزَغَ[١] الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالوا : مَاتَ الْحَجَّاجُ وَمَاتَ الْحَجَّاجُ ! فَمَهْ[٢] ! وَهَلْ يَرْجُو الْحَجَّاجُ الْخَيْرَ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ! وَاللهِ مَا يَسُرُّنِى أَلَا أَمُوتَ ، وَإِنَّ لِىَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ! وَمَا رَأَيْتُ اللهَ رَضِىَ بِالتَّخْلِيدِ إِلَّا لِأَهْوَنِ خَلْقِهِ عَلَيْهِ إِبْلِيسَ . وَلَقَدْ دَعَا اللهَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ[٣] فَقَالَ (رَبِّ اغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَا يَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى) ، فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ إِلَّا الْبَقَاءَ . فَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ أَيُّهَا الرَّجُلُ ! وَكُلُّكُمْ ذَلِكَ الرَّجُلُ ! . كَأَنِّى وَاللهِ بِكُلِّ حَىٍّ مِنْكُمْ مَيِّتًا . وَبِكُلِّ رَطْبٍ[٤] يَابِسًا[٥]

---

(١) نزغ : أغرى (٢) مه مه اكفف (٣) يعنى به داود عليه السلام (٤) الرطب : الندى (٥) اليابس : الجاف

وَنُقِلَ فِي ثِيَابِ أَكْفَانِهِ إِلَى ثَلَاثِ أَذْرُعٍ طُولاً فِي ذِرَاعٍ عَرْضًا ، وَأَكَلَتِ الْأَرْضُ لَحْمَهُ وَمَصَّتْ صَدِيدَهُ(١) ، وَانْصَرَفَ الْحَبِيبُ مِنْ وَلَدِهِ يَقْسِمُ الْخَبِيثَ مِنْ مَالِهِ ؛ إِنَّ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ يَعْلَمُونَ مَا أَقُولُ ، ثُمَّ نَزَلَ .

✡
✡ ✡

خطبة أخرى للحجاج حين أراد الحج

خَطَبَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ ، وَقَدِ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمُ ابْنِي هَذَا ، وَأَوْصَيْتُهُ بِخِلَافِ مَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وَسَلَّمَ) فِي الْأَنْصَارِ ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْصَى أَنْ يُقْبَلَ مِنْ

(١) الصديد : القيح المختلط بالدم

مُحْسِنِهِمْ ، وَأَنْ يُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ؛ وَإِنِّى أَمَرْتُهُ أَلَّا يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِكُمْ وَلَا يَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِكُمْ . أَلَا وَإِنَّكُمْ سَتَقُولُونَ بَعْدِى مَقَالَةً لَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ إِظْهَارِهَا إِلَّا مَخَافَتِى ، سَتَقُولُونَ بَعْدِى : لَا أَحْسَنَ اللهُ لَهُ الصَّحَابَةَ ! أَلَا وَإِنِّى مُعَجِّل لَكُمُ الْجَوَابَ : لَا أَحْسَنَ اللهُ لَكُمُ الْخِلَافَةَ ، ثُمَّ نَزَلَ .

✡
✡ ✡

خطبة للحجاج أيضا فى إظهار الجبروت

خَطَبَ فَقَالَ فِى خُطْبَتِهِ : سَوْطِى سَيْفِى ، فَنِجَادُهُ(١) فِى عُنُقِى ، وَقَائِمُهُ فِى يَدِى ، وَذُبَابُهُ(٢)

(١) النجاد : حمالة السيف (٢) ذبابه : طرفه الذى يضرب به

قِلَادَةٌ[١] لِمَنْ اغْتَرَّ بِي ! فَقَالَ الْحَسَنُ : بُؤْسًا[٢] لِهَذَا ! مَا أَغَرَّهُ بِاللهِ ! .

وَحَلَفَ رَجُلٌ بِالطَّلَاقِ أَنَّ الْحَجَّاجَ فِي النَّارِ ، ثُمَّ أَتَى امْرَأَتَهُ فَمَنَعَتْهُ نَفْسَهَا ؛ فَأَتَى ابْنَ سِيرِينَ يَسْتَفْتِيهِ ؛ فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، امْضِ فَكُنْ مَعَ أَهْلِكَ ، فَإِنَّ الْحَجَّاجَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي النَّارِ لَمْ يَضُرَّكَ أَنْ تَزْنِيَ .

* * *

خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه

حَدَّثَنِي أَبُو سَهْلٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ شُعَيْبِ بْنِ صَفْوَانَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، قَالَ :

---

(١) القلادة : ما يجعل حول العنق (٢) البؤس : الشدة والفقر

كَانَ آخِرُ خُطْبَةٍ خَطَبَ بِهَا عُمَرُ بْنُ عَبْدُ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ ، أَنْ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا(١) ، وَلَنْ تُتْرَكُوا سُدًى ، وَإِنَّ لَكُمْ مَعَاداً يَنْزِلُ اللهُ فِيهِ لِلْحُكْمِ فِيكُمْ وَالْفَصْلِ بَيْنَكُمْ ، فَخَابَ وَخَسِرَ مَنْ خَرَجَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَحُرِمَ جَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ . أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ غَداً إِلَّا مَنْ حَذِرَ الْيَوْمَ وَخَافَ ، وَبَاعَ نَافِدًا بِبَاقٍ ، وَقَلِيلًا بِكَثِيرٍ ، وَخَوْفًا بِأَمَانٍ ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ فِي أَسْلَابِ(٢) الْهَالِكِينَ ، وَسَتَكُونُ مِنْ بَعْدِكُمْ لِلْبَاقِينَ كَذَلِكَ ، حَتَّى تُرَدَّ

(١) العبث : العمل الذى لا يرجى منه غاية (٢) الأسلاب : ثياب المآتم . والمراد بها تراث الموتى

إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ ! ثُمَّ إِنَّكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ تُشَيِّعُونَ غَادِيًا وَرَائِحًا إِلَى اللهِ قَدْ قَضَى نَحْبَهُ[1] ، حَتَّى تُغَيِّبُوهُ فِي صَدَعٍ[2] مِنَ الْأَرْضِ فِي بَطْنِ صَدْعٍ غَيْرَ مُوَسَّدٍ وَلَا مُمَهَّدٍ[3] ، قَدْ فَارَقَ الْأَحْبَابَ وَبَاشَرَ التُّرَابَ وَوَاجَهَ الْحِسَابَ ، فَهُوَ مُرْتَهَنٌ بِعَمَلِهِ ، غَنِيٌّ عَمَّا تَرَكَ ، فَقِيرٌ إِلَى مَا قَدَّمَ فَاتَّقُوا اللهَ قَبْلَ انْقِضَاءِ مَوَاقِيتِهِ وَنُزُولِ الْمَوْتِ بِكُمْ ! أَمَّا إِنِّي أَقُولُ هَذَا وَمَا أَعْلَمُ أَنَّ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الذُّنُوبِ أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدِي ، فَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ . ثُمَّ رَفَعَ طَرَفَ رِدَائِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ .

---

(١) قضى نحبه : مات (٢) الصدع : الشق

(٣) موسد : له وسادة : (مخدة) لا ممهد : لا مهاد له : غير مفروش

✡
✡ ✡

خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد

خَطَبَ فَذَكَرَ اللهَ وَجَلَالَهُ ثُمَّ قَالَ : كُنْتَ كَذَلِكَ مَا شِئْتَ أَنْ تَكُونَ ، لاَ يَعْلَمُ كَيْفَ أَنْتَ إِلاَّ أَنْتَ ، ثُمَّ ارْتَأَيْتَ أَنْ تَخْلُقَ الْخَلْقَ فَمَاذَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عَجَائِبِ صُنْعِكَ ، الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ مِنْ خَلْقِكَ ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ مِنْ ذَرِّكَ[1] : مِنْ صُنُوفِ أَفْوَاجِهِ[2] وَأَفْرَادِهِ وَأَزْوَاجِهِ ، كَيْفَ أَدْمَجْتَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ وَالْبَعُوضَةِ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْبَاحِ الَّتِي امْتَزَجَتْ بِالْأَرْوَاحِ !

✡
✡ ✡

خطبة له أيضا

وَخَطَبَ يَوْمًا فَسَقَطَتْ جَرَادَةٌ عَلَى ثَوْبِهِ فَقَالَ :

(١) الذرة : النملة الصغيرة (٢) الأفواج : الجماعات

obeikandl.com

سُبْحَانَ مَنِ الْجَرَادَةُ مِنْ خَلْقِهِ ، أَدْمَجَ قَوَائِمَهَا ، وَطَوَّقَهَا جَنَاحَهَا ، وَوَشَّى[١] جِلْدَهَا ، وَسَلَّطَهَا عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا .

خطبة للحجاج

أَيُّهَا النَّاسُ ، اِحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ ، وَخذُوا الْأَنْفُسَ بِضَمِيرِهَا ، فَإِنَّهَا أَسْوَأُ[٢] شَيْءٍ إِذَا أُعْطِيَتْ وَأَعْصَى شَيْءٍ إِذَا سُئِلَتْ . وَإِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ[٣] عَنْ مَحَارِمِ[٤] اللهِ أَيْسَرَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عَذَابِ اللهِ .

---

(١) وشى جلدها : حسنه ونقشه (٢) وفى بعض النسخ أسوك : من ساك الرجل اذا مشى مشياً ضعيفاً وهو غامض المعنى والأظهر ما قلناه لك . ويؤيده (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) (٣) الصبر : البعد والكف (٤) محارم : جمع محرم . والمراد كل ما حرمه الله

خطبة سليمان ابن عبد الملك

إِنَّ الدَّارَ دَارُ غُرُورٍ وَمَنْزِلُ بَاطِلٍ ، تُضْحِكُ بَاكِيًا وَتُبْكِي ضَاحِكًا ، وَتُخِيفُ آمِنًا وَتُؤَمِّنُ خَائِفًا ، وَتُفْقِرُ مُثْرِيًا وَتُثْرِي مُقْتِرًا(١) ، مَيَّالَةٌ غَرَّارَةٌ لَعَّابَةٌ بِأَهْلِهَا ! عِبَادَ اللهِ ! اتَّخِذُوا كِتَابَ اللهِ إِمَامًا ، وَارْتَضُوا بِهِ حَكَمًا ، وَاجْعَلُوهُ لَكُمْ قَائِدًا ، فَإِنَّهُ نَاسِخٌ لِمَا كَانَ قَبْلَهُ وَلَمْ يَنْسَخْهُ كِتَابٌ بَعْدَهُ . إِعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ ! أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَحْلُو(٢) كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَمَا يَحْلُو ضَوْءُ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ(٣) ، ظَلاَمَ اللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ(٤) .

---

(١) مقتراً من أقتر الرجل : أى افتقر (٢) يحلو : يسحق ويبيد
(٣) تنفس الصبح : طلع النهار وظهر (٤) عسعس : جن وأظلم

خطبة يزيد ابن الوليد بعد قتله الوليد

حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، وَاللهِ مَا خَرَجْتُ أَشَراً وَلَا بَطَراً وَلَا حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا وَلَا رَغْبَةً فِي الْمُلْكِ ، وَمَا بِي إِطْرَاءُ[1] نَفْسِي ، وَإِنِّي لَظَلُومٌ لَهَا إِنْ لَمْ يَرْحَمْنِي اللهُ ، وَلَكِنْ خَرَجْتُ غَضَباً لِلهِ وَدِينِهِ ، دَاعِياً إِلَى اللهِ وَإِلَى سُنَّةِ نَبِيِّهِ ، لَمَّا هُدِمَتْ مَعَالِمُ الْهُدَى ، وَأُطْفِئَ نُورُ أَهْلِ التَّقْوَى ، وَظَهَرَ الْجَبَّارُ[2] الْعَنِيدُ ، الْمُسْتَحِلُّ لِكُلِّ حُرْمَةٍ ، وَالرَّاكِبُ لِكُلِّ بِدْعَةٍ ، الْكَافِرُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ، وَإِنَّهُ لَابْنُ عَمِّي فِي النَّسَبِ وَكَفِيئِي[3] فِي الْحَسَبِ ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ اسْتَخَرْتُ اللهَ فِي

(١) الاطراء : المدح (٢) الجبار : العاتى (٣) كفيئى : نظيرى

أَمْرِهِ ، وَسَأَلْتُهُ أَلاَّ يَكِلَنِي إِلَى نَفْسِي ، وَدَعَوْتُ إِلَى ذَلِكَ مَنْ أَجَابَنِي مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِي ، حَتَّى أَرَاحَ اللهُ مِنْهُ الْعِبَادَ ، وَطَهَّرَ مِنْهُ الْبِلَادَ ، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، لَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ لَكُمْ عَلَيَّ أَلَّا أَضَعَ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ ، وَلَا لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ ، وَلَا أَكْرِيَ[1] نَهْراً ، وَلَا أَكْنِزَ مَالاً ، وَلَا أُعْطِيَهُ زَوْجًا وَلَا وَلَداً ، وَلَا أَنْقُلَهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ حَتَّى أَسُدَّ ثَغْرَ[2] ذَلِكَ الْبَلَدِ وَخَصَاصَةَ[3] أَهْلِهِ ، فَإِنْ فَضَلَ فَضْلٌ نَقَلْتُهُ

(١) أكرى : أحفر (٢) الثغر : البلد على حدود العدو تقوم عليه حراسة الجند . يريد تقوية الدفاع عن الدين وأهله وفى بعض النسخ فقر : بدل ثغر وهو كما لا يخفى غير ظاهر (٣) الخصاصة : الفقر

إِلَى الْبَلَدِ الَّذِى يَلِيهِ . وَلَا أُجَمِّرَكُمْ[١] فِى بُعُوثِكُمْ فَأَفْتِنَكُمْ وَأَفْتِنَ أَهْلِيكُمْ ، وَلَا أُغْلِقَ بَابِى دُونَكُمْ فَيَأْكُلَ قَوِيُّكُمْ ضَعِيفَكُمْ ، وَلَا أَحْمِلَ عَلَى أَهْلِ جِزْيَتِكُمْ مَا أُجْلِيهِمْ بِهِ عَنْ بِلَادِهِمْ ، وَأَقْطَعُ بِهِ نَسْلَهُمْ . وَلَكُمْ عَلَىَّ إِدْرَارُ الْعَطَاءِ فِى كُلِّ سَنَةٍ ، وَالرِّزْقِ فِى كُلِّ شَهْرٍ ، حَتَّى يَسْتَوِىَ بِكُمُ الْحَالُ ، فَيَكُونَ أَفْضَلُكُمْ كَأَدْنَاكُمْ . فَإِنْ أَنَا وَفَيْتُ لَكُمْ ، فَعَلَيْكُمُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَحُسْنُ الْمُؤَازَرَةِ وَالْمُكَاتَفَةِ[٢] ، وَإِنْ لَمْ أَفِ لَكُمْ ، فَلَكُمْ أَنْ تَخْلَعُونِى ، إِلَّا أَنْ تَسْتَتِيبُونِى[٣] ، فَإِنْ أَنَا تُبْتُ

---

(١) تجمير العساكر : حبسهم فى بلاد العدو ولم يقفلهم . وفى الحديث « لا تجمروا الجيش فتفتنوهم » . وفى البيان : ثغوركم (٢) المكاتفة : المعاونة (٣) تستتيبونى : تطالبونى بالتوبة

قَبِلْتُمْ مِنِّى ، وَإِنْ عَرَفْتُمْ أَحَدًا يَقُومُ مَقَامِى مِمَّنْ يُعْرَفُ بِالصَّلَاحِ يُعْطِيكُمْ مِنْ نَفْسِهِ مِثْلَ الَّذِى أَعْطَيْتُكُمْ ، فَأَرَدْتُمْ أَنْ تُبَايِعُوهُ ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ بَايَعَهُ ، وَدَخَلَ فِى طَاعَتِهِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِى مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ . وَأَقُولُ قَوْلِى هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِى وَلَكُمْ .

فَلَمَّا بويِعَ مَرْوَانُ نَبَشَهُ وَصَلَبَهُ . وَكَانُوا يَقْرَءُونَ فِى الْكُتُبِ : يَا مُبَذِّرَ الْكُنُوزِ ، وَيَا سَجَّادًا[1] بِالْأَسْحَارِ[2] ، كَانَتْ وِلَايَتُكَ لَهُمْ رَحْمَةً ، وَعَلَيْهِمْ حُجَّةً ، أَخَذُوكَ فَصَلَبُوكَ .

---

(١) السجاد : كثير السجود (٢) الأسحار : جمع سحر . والسحر : آخر الليل

☆
☆ ☆

خطبة أبي حمزة الخارجي

خَطَبَ أَبُو حَمْزَةَ الْخَارِجِيُّ بِمَكَّةَ فَذَكَرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بِمَا هُمْ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَوَلِيَ عُثْمَانُ فَسَارَ سِتَّ سِنِينَ بِسِيرَةِ صَاحِبَيْهِ وَكَانَ دُونَهُمَا ، ثُمَّ سَارَ فِي السِّتِّ الْأَوَاخِرِ بِمَا أَحْبَطَ[1] بِهِ الْأَوَائِلَ ، ثُمَّ مَضَى لِسَبِيلِهِ . وَوَلِيَ عَلِيٌّ فَلَمْ يَبْلُغْ مِنَ الْحَقِّ قَصْدًا ، وَلَمْ يَرْفَعْ لَهُ مَنَارًا ، ثُمَّ مَضَى لِسَبِيلِهِ . ثُمَّ وَلِيَ مُعَاوِيَةُ لَعِينُ رَسُولِ اللهِ وَابْنُ لَعِينِهِ ، اتَّخَذَ عِبَادَ اللهِ خَوَلًا[2] ، وَمَالَ اللهِ دُوَلًا[3] ،

---

(١) أحبط : أبطل (٢) خولا : عبيداً وإماء (٣) دُولا : جمع دُولة : والدُّولة : ما يتداوله الأغنياء فيما بينهم ويخصون به أنفسهم . ولا يعطون منه إلى الفقراء . ومن ذلك قوله تعالى (كى لا يكونَ دُولةً بينَ الأغنياء منكم)

وَدِينَهُ دَغَلًا[١] ثُمَّ مَضَى لِسَبِيلِهِ ، فَٱلْعَنُوهُ لَعَنَهُ اللهُ .
ثُمَّ وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ، يَزِيدُ الْخُمُورِ ، وَيَزِيدُ الْقُرُودِ ، وَيَزِيدُ الْفُهُودِ ، الْفَاسِقُ فِي بَطْنِهِ ، وَالْمَأْبُونُ[٢] فِي فَرْجِهِ ، ثُمَّ اقْتَصَّهُمْ[٣] خَلِيفَةً خَلِيفَةً ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ . ثُمَّ ذَكَرَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ : يَأْكُلُ الْحَرَامَ ، وَيَلْبَسُ الْحُلَّةَ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، قَدْ ضُرِبَتْ فِيهَا[٤] الْأَبْشَارُ ، وَهُتِكَتِ[٥] الْأَسْتَارُ ، حَبَابَةُ عَنْ يَمِينِهِ[٦] ، وَسَلَّامَةُ عَنْ يَسَارِهِ تُغَنِّيَانِهِ ، إِذَا حَتَّى

---

(١) دغلا : غشا (٢) المأبون : المتهم (٣) اقتصهم : عابهم
(٤) البشرة : الجلد . أى ضرب فى سبيل جمع ثمنها الناس .
(٥) هتكت : فضحت (٦) حبابة وسلامة فينتان مغنيتان .

أَخَذَ الشَّرَابُ فِيهِ كُلَّ مَأْخَذٍ ، قَدَّ[١] ثَوْبَهُ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَقَالَ : أَلَا أَطِيرُ ! نَعَمْ ! طِرْ إِلَى النَّارِ . ثُمَّ ذَكَرَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ : شَبَابٌ وَاللهِ مُكْتَهِلُونَ[٢] فِي شَبَابِهِمْ ، غَضِيضَةٌ[٣] عَنِ الشَّرِ أَعْيُنُهُمْ ، ثَقِيلَةٌ عَنِ الْبَاطِلِ أَرْجُلُهُمْ[٤] ، أَنْضَاءُ[٥] عِبَادَةٍ ، وَأَطْلَاحُ[٦] سَهَرٍ ، يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، مُنْحَنِيَةً أَصْلَابُهُمْ[٧] عَلَى أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ ، قَدْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ رُكَبَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَجِبَاهَهُمْ ، وَاسْتَقَلُّوا ذَلِكَ فِي جَنْبِ[٨] اللهِ ، حَتَّى إِذَا رَأَوُا السِّهَامَ قَدْ فُوِّقَتْ[٩] ،

---

(١) قد : شق (٢) اكتهل : صار كهلا (٣) غض الطرف: أغمضه كناية عن التباعد عن الشر (٤) كتابة عن التقاعد عنه
(٥) انضاء : جمع نضو وهو المهزول (٦) أطلاح : جمع طلح وهو المهزول (٧) أصلابهم : ظهورهم (٨) جنب الله : حق الله
(٩) فوقت : سددت

وَالرِّمَاحَ قَدْ أُشْرِعَتْ[١]، وَالسُّيُوفَ قَدِ انْتُضِيَتْ[٢]، وَأَرْعَدَتِ الْكَتِيبَةُ[٣] بِصَوَاعِقِ الْمَوْتِ، مَضَى الشَّابُّ مِنْهُمْ قُدُمًا[٤]، حَتَّى اخْتَلَفَتْ رِجْلاَهُ عَلَى عُنُقِ فَرَسِهِ، وَتَخَضَّبَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ بِالدِّمَاءِ. فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ سِبَاعُ الْأَرْضِ، وَانْحَطَّتْ إِلَيْهِ طَيْرُ السَّمَاءِ، فَكَمْ مِنْ عَيْنٍ فِي مِنْقَارِ طَائِرٍ، طَالَمَا بَكَى صَاحِبُهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَوْفِ اللهِ، وَكَمْ مِنْ كَفٍّ زَايَلَتْ[٥] مِعْصَمَهَا، طَالَمَا اعْتَمَدَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ بِالسُّجُودِ لِلّٰهِ! ثُمَّ قَالَ: أَوَّهْ أَوَّهْ[٦]، وَبَكَى ثُمَّ نَزَلَ.

---

(١) أشرعت: رفعت (٢) انتضيت: أخرجت من أغمادها
(٣) الكتيبة: القطعة من الجيش. وجماعة الفرسان (٤) قدما: مقداما لا يتراجع (٥) زايلت: فارقت (٦) أوه: كلمة معناها التحزن

خطبة قطرى الخارجى

ذَكَرَ فِيهَا الَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ، فَقَالَ : حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وَأُنْزِلُوا فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَانًا ، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَجْنَانًا[1] وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانًا ، وَمِنَ الرُّفَاتِ[2] جِيرَانًا ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا ، إِنْ أَخْصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا ، أَوْ أَقْحَطُوا[3] لَمْ يَقْنَطُوا جَمِيعٌ أَوْحَادٌ ، وَجِيرَةٌ أَبْعَادٌ ، لَا يَزُورُونَ وَلَا يُزَارُونَ ، فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللهُ ، وَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِهِ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ[4] .

---

(١) أجنان : جمع جنن وهو القبر (٢) الرفات : الأجساد البالية
(٣) أقحطو : نزل بهم القحط (٤) أى تمسكوا بدينه .

✡
✡ ✡

من خطبة ليوسف ابن عمر

اتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ ، فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ أَمَلًا لَا يَبْلُغُهُ ، وَجَامِعٍ مَالًا لَا يَأْكُلُهُ ، وَمَانِعٍ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ ، أَصَابَهُ حَرَاماً ، وَوَرَّثَهُ عَدُوًّا ، احْتَمَلَ إِصْرَهُ(١) ، وَبَاءَ(٢) بِوِزْرِهِ ، وَوَرَدَ عَلَى رَبِّهِ آسِفاً لَاهِفاً ، « قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ » .

✡
✡ ✡

وفى خطبة للحجاج

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : سَمِعْتُهُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ : امْرَأً زَوَّرَ(٣) عَمَلَهُ ، امْرَأً حَاسَبَ نَفْسَهُ ، امْرَأً

(١) إصره : إثمه . (٢) باء بوزره : رجع بإثمه وعقابه
(٣) زور عمله : حسنه ومنه تزوير الكذب : أى تحسينه . وامرأ مفعول لفعل محذوف كأنه رحم وما فى معناه

فَكَّرَ فِيمَا يَقْرَؤُهُ فِي صَحِيفَتِهِ ، وَيَرَاهُ فِي مِيزَانِهِ ، أَمْرًا كَانَ عِنْدَ هَوَاهُ زَاجِرًا(١) ، وَعِنْدَ هَمِّهِ(٢) آمِرًا ، أَخَذَ بِعِنَانِ قَلْبِهِ ، كَمَا يَأْخُذُ بِخِطَامِ(٣) جَمَلِهِ ، فَإِنْ قَادَهُ إِلَى طَاعَةِ اللهِ تَبِعَهُ ، وَإِنْ قَادَهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللهِ كَفَّهُ(٤) .

خطبة المنصور العباسى

خَطَبَ الْمَنْصُورُ بِمَكَّةَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ . إِنَّمَا أَنَا سُلْطَانُ اللهِ فِي أَرْضِهِ ، أَسُوسُكُمْ بِتَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ ، وَتَأْيِيدِهِ وَتَبْصِيرِهِ . وَخَازِنُهُ عَلَى فَيْئِهِ(٥) أَعْمَلُ فِيهِ بِمَشِيئَتِهِ ، وَأَقْسِمُهُ بِإِرَادَتِهِ ، وَأُعْطِيهِ بِإِذْنِهِ ، قَدْ جَعَلَنِي عَلَيْهِ قُفْلًا ، إِذَا شَاءَ أَنْ يَفْتَحَنِي

(١) أى لنفسه . (٢) أى عزمه (٣) الخطام : حبل يجعل فى عنق البعير (٤) كفه : منعه (٥) الفئ : الغنيمة . والمراد المال .

لِإِعْطَائِكُمْ ، وَقَسْمِ أَرْزَاقِكُمْ ، فَتَحَنِي ، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُقْفِلَنِي عَلَيْهَا أَقْفَلَنِي . فَارْغَبُوا إِلَى اللهِ وَاسْأَلُوهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ الشَّرِيفِ ، الَّذِي وَهَبَ لَكُمْ فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ مَا أَعْلَمَكُمْ فِي كِتَابِهِ إِذْ يَقُولُ : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً » أَنْ[1] يُوَفِّقَنِي لِلصَّوَابِ وَالرَّشَادِ ، وَيُلْهِمَنِي الرَّأْفَةَ بِكُمْ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ ، وَيَفْتَحَنِي لِإِعْطَائِكُمْ وَقَسْمِ أَرْزَاقِكُمْ بِالْعَدْلِ عَلَيْكُمْ .

✡
✡ ✡

خطبة لداود ابن على

خَطَبَ فَقَالَ : أَحْرَزَ[2] لِسَانٌ رَأْسَهُ ، اتَّعَظَ امْرُؤٌ بِغَيْرِهِ ، اعْتَبَرَ عَاقِلٌ قَبْلَ أَنْ يُعْتَبَرَ بِهِ ، فَأَمْسَكَ

(١) معمول لفعل اسألوه (٢) أحرز : صان

الْفَضْلَ[١] مِنْ قَوْلِهِ ، وَقَدَّمَ الْفَضْلَ مِنْ عَمَلِهِ . ثُمَّ أَخَذَ بِقَائِمِ سَيْفِهِ فَقَالَ : إِنَّ بِكُمْ دَاءً هَذَا دَوَاؤُهُ ، وَأَنَا زَعِيمٌ[٢] لَكُمْ بِشِفَائِهِ ، وَمَا بَعْدَ الْوَعِيدِ[٣] إِلَّا الْإِيقَاعُ[٤] .

☆
☆ ☆

ومن خطبة له أيضاً

لَمَّا قَامَ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ ، قَامَ بِوَجْهٍ كَوَرَقَةِ الْمُصْحَفِ ، فَاسْتَحْيَا فَلَمْ يَتَكَلَّمْ ؛ فَنَهَضَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ ؛ فَقَالَ الْمَنْصُورُ : فَقُلْتُ : شَيْخُنَا[٥] وَكَبِيرُنَا ، وَيَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ ، فَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ اثْنَانِ ، فَانْتَضَيْتُ سَيْفِي ، وَغَطَّيْتُهُ بِثَوْبِي ، وَقُلْتُ :

(١) الفضل : الزيادة يقال « سكت عن قدرة ، ونطق عن حكمة »
(٢) زعيم : كفيل وضمين (٣) الوعيد : التهديد (٤) الأيقاع : الأهلاك (٥) فقلت الخ . من مظنون المنصور

إِنْ فَعَلَ نَاجَزْتُهُ[١] ؛ فَلَمَّا رَقَى عَتَبًا[٢]، اسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ دُونَ أَبِي الْعَبَّاسِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَكْرَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ ، وَلَأَثَرُ الْفَعَالِ عَلَيْكُمْ أَجْدَى مِنْ تَشْقِيقِ[٣] الْمَقَالِ ، وَحَسْبُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ مُمْتَثَلًا فِيكُمْ ، وَابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ خَلِيفَةً عَلَيْكُمْ ، وَاللهِ قَسَماً بَرًّا لَا أُرِيدُ إِلَّا اللهَ بِهِ ، مَا قَامَ هَذَا الْمَقَامَ أَحَدٌ ، بَعْدَ رَسُولِ اللهِ أَحَقُّ بِهِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا ، فَلْيَظُنَّ ظَانُّكُمْ ، وَلْيَهْمِسْ هَامِسُكُمْ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : ثُمَّ نَزَلَ وَشِمْتُ[٤] سَيْفِي .

---

(١) ناجزه : بارزه وقاتله (٢) عتبا : درج المنبر (٣) تشقيق المقال : تدبيجه وتحسينه (٤) شام سيفه : أغمده

✡
✡ ✡

خطبة لأعرابى

أَمَّا بَعْدُ[1] . فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ ، وَالآخِرَةَ دَارُ بَقَاءٍ ، فَخُذُوا أَيُّهَا النَّاسُ لِمَقَرِّكُمْ مِنْ مَمَرِّكُمْ ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ ، فَفِي الدُّنْيَا أُحْيِيتُمْ ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَالْمُسْتَغْفَرُ اللهُ ، وَالْمَدْعُوُّ لَهُ الْخَلِيفَةُ ، ثُمَّ الْأَمِيرُ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ .

✡
✡ ✡

خطبة المأمون يوم الجمعة

الْحَمْدُ لِلّٰهِ مُسْتَخْلِصِ الْحَمْدِ لِنَفْسِهِ ، وَمُسْتَوْجِبِهِ عَلَى خَلْقِهِ ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ ، وَأُومِنُ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ

(١) وردت هذه الخطبة فى الآمالى لأبى على القالى جزء أول ص ٢٥٤ طبع دار الكتب

obeikandl.com

بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ وَحْدَهُ ، وَالْعَمَلِ لِمَا عِنْدَهُ ، وَالتَّنَجُّزِ لِوَعْدِهِ ، وَالْخَوْفِ لِوَعِيدِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَسْلَمُ إِلَّا مَنِ اتَّقَاهُ وَرَجَاهُ ، وَعَمِلَ لَهُ وَأَرْضَاهُ ، فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ، وَابْتَاعُوا(١) مَا يَبْقَى بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ ، وَكُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبْدَلُوا . فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى ؛ وَمَا بَيْنَ

(١) ابتاعوا : اشتروا

أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ ، وَإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ ، وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ الْوَاحِدَةُ ، لَجَدِيرَةٌ(١) بِقِصَرِ الْمُدَّةِ ، وَإِنَّ غَائِبًا يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، لَحَرِيٌّ(٢) بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ(٣) ، وَإِنَّ قَادِمًا يَحُلُّ بِالْفَوْزِ أَوْ بِالشِّقْوَةِ(٤) ، لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ ، فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ ، وَنَصَحَ نَفْسَهُ ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ : يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا ، وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا ، حَتَّى تَهْجُمَ عَلَيْهِ مَنِيَّتُهُ ، أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا . فَيَا لَهَا حَسْرَةً

(١) جديرة : كفيلة (٢) حرى : أحق وأجدر (٣) الأوبة : الرجعة (٤) الشقوة : الشقاء ضد السعادة

عَلَى ذِى غَفْلَةٍ : أَن يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّة ، أَوْ تُؤَدِيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ !

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبطِرُهُ نِعْمَةٌ ، وَلَا تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَتِهِ غَفْلَةٌ ، وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ فَزْعَةٌ[1] إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ، وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وَإِنَّهُ لَفَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ .

* * *

فى خطبة للمأمون يوم الأضحى بعد التكبير الأول

إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمٌ أَبَانَ اللهُ فَضْلَهُ ، وَأَوْجَبَ تَشْرِيفَهُ ، وَعَظَّمَ حُرْمَتَهُ ، وَوَفَّقَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ صَفْوَتَهُ ، وَابْتَلَى فِيهِ خَلِيلَهُ ، وَفَدَى فِيهِ مِنَ الذَّبْحِ نَبِيَّهُ ، وَجَعَلَهُ خَاتَمَ الْأَيَّامِ الْمَعْلُومَاتِ مِنَ الْعَشْرِ ، وَمُتَقَدِّمَ الْأَيَّامِ

(١) الفزعة : الخوف والرعب

الْمَعْدُودَاتِ مِنَ النَّفْرِ[١]، يَوْمٌ حَرَامٌ مِنْ أَيَّامٍ عِظَامٍ فِي شَهْرٍ حَرَامٍ، يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، يَوْمٌ دَعَا اللهُ إِلَى مَشْهَدِهِ[٢] وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِتَعْظِيمِهِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ: « وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا[٣] » الْآيَاتِ فَتَقَرَّبُوا إِلَى اللهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِذَبَائِحِكُمْ، وَعَظِّمُوا شَعَائِرَ اللهِ، وَاجْعَلُوهَا مِنْ طَيِّبِ أَمْوَالِكُمْ، وَبِصِحَّةِ التَّقْوَى مِنْ قُلُوبِكُمْ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: « لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا، وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ » ثُمَّ التَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ وَالْوَصِيَّةُ بِالتَّقْوَى، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذِكْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، عَظُمَ قَدْرُ الدَّارَيْنِ، وَارْتَفَعَ

(١) أى تفرق الحجيج بعد الوقوف بعرفة (٢) أى إلى شهوده وحضوره (٣) رجالا : مترجلين أى سيراً على أقدامهم

جَزَاءِ الْعَمَلَيْنِ[1]، وَطَالَتْ مُدَّةُ الْفَرِيقَيْنِ، اللهَ اللهَ ! فَوَاللهِ إِنَّهُ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ، وَإِنَّهُ الْحَقُّ لَا الْكَذِبُ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ وَالْبَعْثُ، وَالْمِيزَانُ وَالْحِسَابُ، وَالْقِصَاصُ وَالصِّرَاطُ، ثُمَّ الْعِقَابُ وَالثَّوَابُ، فَمَنْ نَجَا يَوْمَئِذٍ فَقَدْ فَازَ، وَمَنْ هَوَى يَوْمَئِذٍ فَقَدْ خَابَ، الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي الْجَنَّةِ، وَالشَّرُّ كُلُّهُ فِي النَّارِ.

* * *

خطبة له يوم الفطر بعد التكبير الأول

إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمُ عِيدٍ وَسُنَّةٍ وَابْتِهَالٍ وَرَغْبَةٍ، يَوْمٌ خَتَمَ اللهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَافْتَتَحَ بِهِ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، فَجَعَلَهُ خَاتِمَةَ الشَّهْرِ، وَأَوَّلَ أَيَّامِ شُهُورِ الْحَجِّ، وَجَعَلَهُ مُعَقِّبًا لِمَفْرُوضِ صِيَامِكُمْ،

(١) المراد بالعملين: عمل الخير، وعمل الشر. وفي بعض النسخ العاملين بدل «العملين»

وَمُتَنَفَّلِ قِيَامِكُمْ ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ ، وَحَرَّمَ فِيهِ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ ، فَاطْلُبُوا إِلَى اللهِ حَوَائِجَكُمْ ، وَاسْتَغْفِرُوهُ لِتَفْرِيطِكُمْ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : لاَ كَبِيرَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ ، وَلاَ صَغِيرَ مَعَ إِصْرَارٍ . ثُمَّ التَّكْبِيرَ وَالتَّحْمِيدَ ، وَذَكَرَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ، وَالْوَصِيَّةَ بِالتَّقْوَى ، ثُمَّ قَالَ : فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ ، وَبَادِرُوا الْأَمْرَ الَّذِى اعْتَدَلَ فِيهِ يَقِينُكُمْ ، وَلَمْ يَحْتَضِرِ[1] الشَّكُّ فِيهِ أَحَدًا مِنْكُمْ ، وَهُوَ الْمَوْتُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّهُ لاَ تُسْتَقَالُ بَعْدَهُ عَثْرَةٌ ، وَلاَ تُحْظَرُ[2] قَبْلَهُ تَوْبَةٌ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لاَ شَىْءَ قَبْلَهُ إِلَّا دُونَهُ ، وَلاَ شَىْءَ بَعْدَهُ إِلَّا فَوْقَهُ . وَلاَ يُعِينُ عَلَى جَزَعِهِ

(١) احتضر : مثل حضر (٢) تحظر : تمنع

وَعَلَزِهِ[١] وَكُرَبِهِ ، وَلاَ يُعِينُ عَلَى الْقَبْرِ وَظُلْمَتِهِ ، وَضِيقِهِ وَوَحْشَتِهِ ، وَهَوْلِ مَطْلَعِهِ ، وَمَسْأَلَةِ[٢] مَلاَئِكَتِهِ ، إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِى أَمَرَ اللهُ بِهِ ، فَمَنْ زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ قَدَمُهُ ، فَقَدْ ظَهَرَتْ نَدَامَتُهُ ، وَفَاتَتْهُ اسْتِقَالَتُهُ ، وَدَعَا مِنَ الرَّجْعَةِ إِلَى مَا لَا يُجَابُ إِلَيْهِ ، وَبَذَلَ مِنَ الْفِدْيَةِ مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ ، فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ ! وَكُونُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأُعْطُوهَا ، إِذْ مُنِعَهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتَمَنَّى الْمُتَقَدِّمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا الْمَهَلَ[٣] الْمَبْسُوطَ لَكُمْ . وَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللهُ ، وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِى يَجْمَعُكُمُ اللهُ فِيهِ لِوَضْعِ مَوَازِينِكُمْ ، وَنَشْرِ صُحُفِكُمُ الْحَافِظَةِ

(١) العلز : ما يصيب المريض عند حشرجة الموت من رعدة واضطراب
(٢) أى سؤالها له (٣) المهلُ : الأجل .

لِأَعْمَالِكُمْ ، فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَثْقُلُ بِهِ ، وَمَا يُمِلُّ[1] فِي صَحِيفَتِهِ ، الْحَافِظَةِ لِمَا عَلَيْهِ وَلَهُ ، فَقَدْ حَكَى اللهُ لَكُمْ، مَا قَالَ الْمُفَرِّطُونَ عِنْدَهَا ، إِذْ طَالَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْهَا ، قَالَ : « وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ[2] مِمَّا فِيهِ » الْآيَةَ ، وَقَالَ : « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ » وَلَسْتُ أَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّنْيَا بِأَعْظَمَ مِمَّا نَهَتْكُمُ الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَإِنَّهُ كُلُّ مَا لَهَا يَنْهَى عَنْهَا ، وَكُلُّ مَا فِيهَا يَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا ، وَأَعْظَمُ مِمَّا رَأَتْهُ أَعْيُنُكُمْ مِنْ عَجَائِبِهَا ، ذَمُّ كِتَابِ اللهِ لَهَا ، وَنَهْيُ اللهِ عَنْهَا ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : « فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ

(١) يمل : يُملى (٢) المشفقون : الخائفون

الدُّنْيَا ، وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ[1] » وَقَالَ : « إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ » الْآيَةَ ، فَانْتَفِعُوا بِمَعْرِفَتِكُمْ بِهَا ، وَبِإِخْبَارِ اللهِ عَنْهَا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ قَوْمًا مِنْ عِبَادِ اللهِ أَدْرَكَتْهُمْ عِصْمَةُ[2] اللهِ ، فَحَذِرُوا مَصَارِعَهَا ، وَجَانَبُوا خَدَائِعَهَا ، وَآثَرُوا طَاعَةَ اللهِ فِيهَا ، فَأَدْرَكُوا الْجَنَّةَ بِمَا تَرَكُوا مِنْهَا .

وَالآنَ : يَقِفُ بِنَا الْيَرَاعُ لِنُمْضِيَ مَعَكَ الْقَوْلَ فِي كِتَابِ التَّعْلِيقِ عَلَى الْمُقَدِّمَةِ ، حَيْثُ نُطَالِعُكَ فِيهِ بِأَثَرِ أَحَادِيثِ شَيْخِنَا مِنْ نَفْسِنَا ، ثُمَّ نُعَرِّجَ بَعْدَئِذٍ عَلَى أَسَاتِذَتِنَا ، مِنْ رِجَالَاتِ « دَارِ الْعُلُومِ » فَالصَّدِيقِ « صَهَ حُسَيْنٍ » فَأُسْتَاذِي الْمَرْحُومِ « ثَرْوَتْ بَاشَا »

(١) الغرور : الشيطان (٢) العصمة : الحفظ من الوقوع فى المعاصى

فَنُلِمُّ سَوِيًّا إِلْمَامَةً مُوجَزَةً عَنْ بَسَائِطِ الْأَدَبِ الْعَصْرِيِّ ، — وَأَثَرِ التَّارِيخِ وَالْبُطُولَةِ فِيهِ — مُرْجِئِينَ الْبَسْطَةَ فِي الْقَوْلِ إِلَى مَوَاضِعِهَا مِنْ كُتُبِنَا

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ أَوَّلًا وَآخِرًا ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أُرْسِلَ بِالْحَقِّ مُنْذِرًا وَمُبَشِّرًا

﴿ تم الكتاب ﴾

obeikandl.com

فهرست

كتاب التذييل على المقدمة

الصحيفة		الموضوع
من	الى	
٥	١٠	التذييل
١٠	١٢	المقدمة
١٢	١٤	حرص الكاتب على الحكمة
١٤	١٥	ثقافته
١٥	١٧	تضمينه للشعر والأمثال
١٧	١٨	صفات الكاتب
١٨	١٩	أزياء الكتاب
١٩	٢٠	طبقات الكلام
٢٠	٢١	بقية الطبقات
٢١	٢٣	سائر المخاطبين
٢٣	٢٧	تخير الألفاظ
٢٧	٢٨	صدور كتب السلف

obeikandl.com

الصحيفة		الموضـــوع
من	الى	
٢٨	٣٣	العبارات المنتقدة
٣٣	٣٤	رعاية الألفاظ والمعانى
٣٤	٣٥	محاكاة القرآن
٣٥	٤١	ما يسوغ شعراً لا كتابة
٤١	٤٣	فواتح الرسائل وخواتيمها
٤٣	٤٤	شأن الدواة فى الكتابة
٤٤	٤٧	الأقلام والقراطيس
٤٧	٤٨	النقط والشكل
٤٨	٤٩	الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم
٤٩	٤٩	إتراب الكتب
٤٩	٥٠	التـــاريخ
٥٠	٥١	إسحاء الكتب وختمها
٥١	٥٢	إلصاق القراطيس
٥٢	٥٤	قراءة الكتب المختومة
٥٤	٥٥	تخير الألفاظ

obeikandl.com

الصحيفة		الموضـــوع
من	الى	
٥٥	٥٧	أوقات الكتابة
٥٧	٦٠	آراء مختلفة فى الكتابة
٦٠	٦٢	المعانى والألفاظ
٦٢	٦٣	بين أبى العتاهية وابن مناذر
٦٣	٦٦	عرض الكتابة على العلماء
٦٦	٦٧	تعرف أقدار المخاطبين
٦٧	٦٩	أبلغ الكلام
٦٩	٧٠	تقدير المعانى
٧٠	٧٢	الرقة والجزالة
٧٢	٧٥	تنطع الكتاب
٧٥	٧٨	المعانى والألفاظ
٧٨	٧٩	الدال على المعنى
٧٩	٨١	قدر اللسان
٨١	٨٢	فضيلة الخط والكتابة
٨٢	٨٣	« « والقلم

obeikandl.com

الصحيفة		الموضـــوع
من	الى	
٨٣	٨٥	فضيلة البلاغة
٨٥	٨٨	ابن الزيات
٨٨	٩٦	البلاغة
٩٦	٩٧	ختام الرسالة
٩٧	١٠٠	الخاتمـــة
١٠٠	١٢٨	البيـــان
١٢٨	١٣٠	الاستدلال بالعين والاشارة والنصبة
١٣٠	١٣٨	الشعر
١٣٨	١٤٨	حسن التشبيه فى الشعر
١٤٨	١٦٣	الأبيات التى لا مثل لها
١٦٣	١٦٩	ألفاظ تقع فى كتب العهود
١٦٩	١٧٢	أصحاب السلطان
١٧٢	١٧٣	كتاب العيد
١٧٣	١٧٣	كتاب بيعة
١٧٣	١٧٤	مقروءاتنا على الشيخ

الصحيفة		الموضـــوع
من	الى	
١٧٤	١٧٧	الحث على الأدب
١٧٧	١٨١	تتمة كلام الشيخ
١٨١	١٨٢	أصول فن الأدب
١٨٢	٢٢١	فضل الأدب
٢٢١	٣٣٧	فصول كتابية
٣٣٧	٣٤٣	خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع
٣٤٣	٣٥١	خطبة أبى بكر رضى الله عنه
٣٥١	٣٥٢	خطبة عمر » » »
٣٥٢	٣٥٣	خطبة عثمان » » »
٣٥٣	٣٥٩	خطب على بن أبى طالب رضى الله عنه
٣٥٩	٣٦٢	خطبة لمعاوية
٣٦٢	٣٦٣	خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت أبيه
٣٦٣	٣٦٦	خطبتان لعتبة بن أبى سفيان
٣٦٦	٣٦٨	خطبة لعبد الله بن الزبير
٣٦٨	٣٧٤	خطبتان لزياد بن أبيه

obeikandl.com

الصحيفة		الموضـــوع
من	الى	
٣٧٤	٣٧٥	خطبة للحجاج حين دخل البصرة
٣٧٥	٣٧٧	» » أيضاً
٣٧٧	٣٧٨	» » حين أراد الحج
٣٧٨	٣٧٩	» » فى إظهار الجبروت
٣٧٩	٣٨٢	» لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
٣٨٢	٣٨٣	» لخالد بن عبد الله
٣٨٣	٣٨٤	» للحجاج أيضاً
٣٨٤	٣٨٥	خطبة سليمان بن عبد الملك
٣٨٥	٣٨٩	خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد
٣٨٩	٣٩٣	خطبة أبى حمزة الخارجى
٣٩٣	٣٩٤	خطبة لقطرى بن الفجاءة الخارجى
٣٩٤	٣٩٤	من خطبة ليوسف بن عمر
٣٩٤	٣٩٥	من خطبة للحجاج
٣٩٥	٣٩٦	خطبة للمنصور العباسى
٣٩٦	٣٩٩	خطبتان لداود بن على

obeikandl.com

الموضـــوع	الصحيفة	
	الى	من
خطبة لأعرابي	٣٩٩	٣٩٩
خطبة المأمون يوم الجمعة	٤٠٢	٣٩٩
خطبة المأمون يوم عيد الأضحى بعد التكبير الأول	٤٠٤	٤٠٢
« « « « الفطر « « «	٤٠٨	٤٠٤
الخاتمـــة	٤٠٩	٤٠٨

obeikandl.com